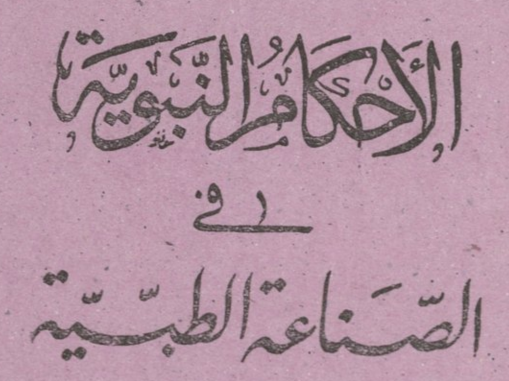


الأحكام النبوية
في
الصناعة الطبية



١-٢

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الأحكام النبوية

في

الصناعة الطبية

تأليف

أبى الحسن على بن عبد الكريم بن طرخان بن تقىّ الحموىّ

علاء الدين الكحّال

٦٥٠ — ٧٢٠ هـ

عنى بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ

عبد السلام هاشم حافظ

الجزء الأول

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

تقديم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم الإنسان مالم يعلم ، ووفقنا لهديه وإحياء سنته ، وتكرّم .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

وبعد ، فلقد كنت إلى جانب دراساتى للآداب ، مولعاً بالمسائل الطبية ونوادرها ، شديد الاهتمام بأنباء الطبّ وما يجدّ فى عالمه ... وهو العلم الذى تأتى منافعُه فى الدرجة الأولى للإنسان منذ وُجِد ومشى على وجه البسيطة ، ليأخذ به ، فيدرأ عن كيانه العامّ خطر الأذى والعِلَل ، ويقوى على ماقد يُصِيبُ طبائِعَهُ من تغيُّر أو مؤثِّر يضر بجسده وإحساساته .

وعلى الرغم مما قد أخذ به الطبّ الحديث من تنوُّع وتطور ، وما قد أحرزه من نجاح فى ميدان الاختراع لسعادة الإنسانية ، فإننا مازلنا فى حاجة قصوى لأن نعود بتفاؤل وطمأنينة ، إلى أبحاث طبنا العربىّ القديم ، نستخبرها بحق ، ونأخذ عنها الإرشاد والفضائل الخالدة ، كما علمها لنا المشرِّعُ الأول : صاحب الرسالة الإسلامية ، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وكان هذا كافيا ليجعلنى أهتم بهذا الكتاب الطبىّ « الأحكام النبوية ، فى الصناعة الطبية » وأتولى تحقيقه وتصحيحه ، وأسعى لنشره ، ليصيب منه الناس مايفيدهم فى أجسامهم ، لدفع الضر والأسقام عنها ، وجاب النفع والصحة إليها ، بالتدبير الغذائىّ ، والعلاج الناجع ، بأبخس الأثمان .

ومؤلف هذا الكتاب متأخر ، عاش فى القرن السابع الهجرىّ ، واشتغل بالأدب ؛ وكان يمارس المهنة الطبية كفنٍّ أو هواية شغف بها ، إلى جانب وظيفته المعيشيّة ، حتى إنه شهر بالكحّال ، لعكوفه على صنع الكحل ، وتصنيفه فيه بعض المؤلفات[1] .

وكتابه هذا الذى بين أيدينا ، وضعه فى جزأين ، جمع فيهما وشرح معظم ماوقف عليه من الأحاديث النبوية الصحيحة، المتعلقة بأمور الطب ، فى الأمر به ، والهداية إلى كثير من الفوائد الروحية ، وما أثِر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من العلاجات . وذكر أدوية بعينها لشتى العلل والأمراض ؛ كما جمع أشياء من المعجزات النبوية ، وآراء بعض الصحابة والعلماء الأفاضل ، وخواصّ كثير من المأكولات والبقول والعلاجات الطبيعية السهلة المأخذ ... فجاء كتابا كامل الأداء فى معناه ، طريفا فى مبناه .

وكان اعتمادى فى طبعه على النسخة الخطية المُذْهبة التى فى ملكى ... وهى بخط جميل ، غير مؤرخة ، ولم يذكر الخطاط اسمه عليها ، إلا أننى وجدت فيها كثيرا من التصحيف والأغلاط الخطية ، فراجعتها على نسختين خطّيتين[2]

---

(١) لم نعثر على شىء من مؤلفاته هذه أو غيرها . (٢) طب طلعت

بدار الكتب المصرية : إحداهما برقم [٥٨٠] خُطَّتْ عام ١٢٦١هـ . وفيها بعض الزيادات، والأخرى برقم [٥٥٧] بالخط الفارسى، كتبها أحمد حامد سنة ١٢٤٢هـ وهى طبق الأصل فى رسمها من نسختى . ولقد عانيت من الإشكال ما لم أكن أتصوره فى التحقيق والتصحيح ، لتشابك بعض الحروف والكلمات ، وتقطيعها أو تحريفها ، الأمر الذى أخذ من الزمن مايزيد على الخمسة الشهور . وقد أشرت فى تعليق الكتاب بحرف (ل) للنسخة الأصلية التى لدى، كما أشرت بحرف (خ) للنسخة الخطية الثانية . وحرف (خ ثالثة) للنسخة الثالثة . وكانت مراجعى فى ضبط الأحاديث ، وشرح بعض العلاجات ، والترجمة لبعض الرواة والأدباء ، من الكتب التالية : « صحيح البخارى ، صحيح مسلم ، المصابيح للإمام البغوى ، الطب النبوى ، زاد المعاد لابن قَيِّم الجوزية ، الترغيب والترهيب للحافظ زكى الدين المنذرى ، الجامع الصغير ، والفتح الكبير للسيوطى ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى ، تذكرة داود . الشعر والشعراء لابن قتيبة .

وكان يساعدنى فى البحث الصديق الأستاذ محمد جمال الدين الشوربجى ، المفهرس بدار الكتب المصرية ، فله عَطِر الثناء ، كما يجدر بى أخيراً أن أتقدم بشكرى الخالص إلى حضرة الأستاذ عبد القوى الحلبى ، الذى شجعنى على نشر هذا الكتاب وطبعه لحساب :

« شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر »

المعروفة بنشر الثقافة والعلوم . والله سبحانه نسأله دوام التوفيق لما فيه الصالح العام ، وأن يهدينا سواء السبيل ؟ .

مصر فى { ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٧٢هـ / أول أغسطس سنة ١٩٥٣م }

عبد السلام هاشم حافظ
نزيل مصر — ص . ب ٢٤٥ القاهرة

ترجمة المؤلف

لم نعثر للمؤلف فى كتب الأدب إلا على ترجمة موجزة ، وردت فى الجزء الثالث من كتاب [الدرر الكامنة — فى أعيان المائة الثامنة[1]] تأليف شيخ الإسلام — الحافظ شهاب الدين أحمد بن على الشهير بابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية . وهذا نصها :

« على بن عبد الكريم بن طَرْخان بن تقى الحموى ، علاء الدين الكحّال ، وكيل بيت المال بصَفَد ... ولد سنة ٦٥٠ هـ تقريبا ، وتعاطى الطب ، وشارك فى الآداب ، وكان خيِّرا متواضعا ، وله تصانيف فى الكحل وغيره . مات فى حدود سنة ٧٢٠ هـ » . اهـ .

---

(١) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩هـ بمطبعة دائرة المعارف العثمانية الكائنة فى الهند ببلدة حيدر آباد دكن .

« يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاء »
قرآن كريم

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي ونعم الوكيل

قال العبد الفقير إلى الله تعالى أبو الحسن على ابن الشيخ الإمام العالم مهذب الدين عبد الكريم بن طَرخان بن تقيّ الحموىّ، نسبة بلدة، ثم الصفدىّ، رحمه الله تعالى:

رُوى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: « كل كلام لا يُبدأ فى أوله بحمد الله فهو أبتر ».

فالحمد لله خالقِ الخلْقِ والبشَر، ومنشئ القَطْر والفِطَر، ومنوِّر الشمس والقمر، ومصرِّف السمع والبصَر، ليدرك العقل بواسطتهما من الحِكم فوائد الأثَر، ودقائق العِبَر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تنجى من حوادث القَدر، وخواطر الخطَر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الصادع بالحق، والناطق بالعبر، صاحب اللواء والكوثر، الشفيع المشفع فى الحشر، صلى الله عليه وعلى آله الذين أيدوا بالنصر والظفَر، وأُرشدوا بصحة الخُبْر والخبَر، وسلم تسليما دائما بدوام الدهر، ما أينع روض بزهر، ورَغام بمطر.

وبعد : فإنه لما كان علم الطب من أنفس العلوم وأشرفها ، وأجل الصناعات المنيفة وألطفها ، وكان مطلوبا لِقوام الحياة ، وكل الناس محتاجون إليه بالذات ، وكان طائفة من الناس تنكر فضيلته ، وتجحد منفعته ، فأحببت أن أخرِج من الأحاديث النبوية ، فى المعانى الطبية ، مايُشيِّد علم الأبدان ، وينوِّر مصباحه على ممر الزمان ، مضافا إلى ماتقدم لى من بعض شيوخى رحمهم الله تعالى . . . عن (رسول الله[1]) صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حفظ عن أمتى أربعين حديثاً مما يحتاجون إليه ، كنت له شفيعا يوم القيامة » .

فاجتهد كل واحد من العلماء فى رواية أربعين حديثا لهذا الخبر . . . فأردت أن أكون من جملتهم ، وأحشر فى زُمرتهم ، فخرَّجتُها أربعين حديثا من الأخبار المتفق على صحتها ، (مما روَاه[2]) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاريّ ، وأبو الحسين مُسْلِم بن الحجاج القُشَيرىّ ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى ، من الأسانيد المشهورة ، والكتب المنتخبة المأثورة ، المذكورة متونها ، المحذوفة منها أسانيدها ، مذكور فيها عند آخر كل حديث : تَفرّد بإخراجه فلان . ثم أردفها بكلام فى بيان أصل الطب ، وذكر الواضع له ، وفضيلته ، وموافقته للعقل والشرع ، وغير ذلك مما يذكر مفصّلاً ، فهى سِتّة أبواب (هذا[3]) الكتاب . وسميته « الأحكام النبوية ، فى الصناعة الطبية » ، وانتظم فى سلكه عشرة أبواب ، والله الموفق للصواب .

الباب الأول : فى الأحاديث الواردة فى ذكر الأمراض ومعالجتها ، والأمر بالتداوى . وفيمن تطبب ولم يعلّم منه الطب . . . وغير ذلك .

(١، ٢، ٣) : إضافة من المحقق .

الباب الثانى : فى الأحاديث الدالة على ما يتعلق بحفظ الصحة من صفة الأكل والشرب والنوم ... وغير ذلك .

الباب الثالث : فى بيان أصل الطب ، والواضع له ، وفضيلته ، وموافقته للعقل والشرع .

الباب الرابع : فى بيان الصحة وفضلها ، وذكر الأحاديث الواردة فيها .

الباب الخامس : فى بيان المرض وفضله ، وذكر الأخبار الواردة فيه ، وشىء من الرُّقى .

الباب السادس : فى بيان فضل عيادة المريض ، وما ورد فى ذلك من الأحاديث النبوية .

الباب السابع : فى ذكر أربعين حديثا طبية ، فُضِّلت على[1] الأربعين الأولى ، منبهة على شرح أكثرها .

الباب الثامن : فى ذكر الخلاف : هل التداوى أفضل أو تركه ؟ وحجة كل واحد من الطائفتين .

الباب التاسع : فى ذكر الحِمية وفضلها ، وما يكتب للحُمّى وغيرها ، وما ورد فى ذلك من الأخبار ، ونُكَت من معجزات النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفصول تتعلق بتدبير حفظ الصحة .

الباب العاشر : فى ذكر أدوية مفردة وقُواها ومنافعها ، وماورد فيها من الأحاديث الطبيَّة وغيرها ...

---

(١) ل : عن .

الباب الأول

في الأحاديث الواردة في ذكر الأمراض ومعالجتها ، والأمر بالتداوي ، وفيمن تَطَبَّب ولم يعلم منه الطب؛ وهي أربعة وثلاثون حديثا :

الحديث الأول

عن عمرو[(١)] بن شُعَيب، عن أبيه، عن جده، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ طَبَّبَ ولم يُعلَمَ مِنهُ الطبُّ قَبلَ ذٰلكَ ،فهُوَ ضامِنٌ[(٢)] ». أخرجه أبو داود والنَّسائى والدارَقُطْنِيّ وابن ماجه . وفي رواية لأبى نَعيم أنه قال : « من تطبب ولم يكن بالطب معروفا ، فأصاب نفساً فما دونها ، فهو ضامنٌ » . اه .

قال المؤلف :

الطِّب ، بكسر الطاء ، فى لغة العرب يقال على معان : منها الإصلاح ، يقال طببته إذا أصلحته . ويقال : لفلان طِب بالأمور — أى لطف وسياسة .. قال الشاعر :

وَإِذَا تَغَيَّرَ مِنْ تَمِيمٍ أَمْرُهَا ... كُنْتَ الطَّبِيبَ لَهَا بِرَأْيٍ ثَاقِبِ

ومنها (الحِذق) لاحتياجه إلى حذق قوىّ ... قال الجوهرىّ : وكل حاذق طَبِيبٌ عند العرب . قال أبو عبيدة : أصل الطب : الحذق بالأشياء والمهارة بها .

---

(١) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، أبو إبراهيم المدني نزيل الطائف . عن أبيه ، عن جده . « الخلاصة » .

(٢) أي ملتزم وكفيل بما ينتجه عمله .

يقال للرجل طَبٌّ وطبيب : إذا كان كذلك ، وإن كان فى غير علاج المريض . قال غيره : ورجل طبيب : أى حاذق ، سُمِّىَ طبيباً لحذقه وفطنته . قال علقمة :

فَإِنْ تَسْأَلُونِى بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِى بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

وقال عنترة :

إن تَغْدُفِى دُونِى الْقِنَاعَ فَإِنَّنِى طَبٌّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْئِمِ (١)

ومنها العادة ، يقال: ليس ذلك بطِبِّى ، أى عادتى ... قال فَرْوَة بن مُسَيْك :

فَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَـكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

وقال المتنبى :

وَمَا التِّيهُ طِبِّى فِيهِمُ غَـيْرَ أَنَّنِى بَغِيضٌ إِلَىَّ الجَاهِلُ المُتَعَاقِلُ (٢)

ومنها السِّحْر ؛ يقال للرجل مطبوب : أى مسحور ... قال الجوهرىّ : ويقال للعليل أيضا مسحور .. قال أبو عبيدة : إنما قالوا المسحور مطبوب، لأنهم كَنَوْا بالطب عن السحر ، كما كنوا عن اللديغ فقالوا سليم ، تفاؤلا (٣) بالسلامة ، وكما كَنَوا عن الفلاة المهلكة التى لا ماء فيها ، فقالوا : مفازة ، تفاؤلا (٤) بالفوز من الهلاك . . قال ابن الأنبارىّ : الطب من الأضداد ، يقال لعلاج الداء طب ، وللسحر طب ، وهو من أعظم الأدواء . والطب الشهوة أيضا ، حكاه البَطَلْيَوْسِىّ — وقد جاء بمعنى الداء مطلقا ؛ قال ابن الأسلت :

---

(١) صح . خ : أخرى . فى النسخة الأصلية : المستليم .

(٢) كذا فى خ : وفى ديوان المتنبي . وقد ورد البيت هكذا فى الأصل :

وما لبث طبى فيهم غير أنني بغيض إلى الجاهل المتغافل

(٣، ٤) ل : تفالا .

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِّي أَسِحْرٌ كانَ طِبُّكَ أَمْ جُنُونُ ؟

وقال الشاعر :

فَإِنْ كُنْتَ مَطْبُوباً فَلا زِلْتَ هكَذا وَإِنْ كُنْتَ مَسْحُوراً فَلا بَرِئَ السِّحْرُ

قال الجوهرى : والطِّب والطَّب : لغتان فى الطب .

وقال البطليوسى : الطَّب ، بالفتح : العالم بالأمور ، وكذلك الطبيب ، وبالكسر : فعلُ الطبيب ، وبالضم : اسمُ موضع ... وأنشد :

فَقُلْتُ هَلِ انْهَلْتُمْ بِطِبٍّ رِكَابَكُمْ بِجَائِزَةِ الماءِ الَّتِي طَابَ طِينُهَا

وأما فى اصطلاح علماء الطب فهو : علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان ، من جهة ما يصح و يزول عنها ، لتحفظ الصحة حاصلة ، وتُستَرَدّ زائلة . . . وهذا الحديث[1] ذكره ابن سينا[2] رحمه الله تعالى فى القانون ، وأورد عليه عشرة شكوك ، ليس هذا موضع ذكرها .

واعلم أن هذا الحديث فيه احتياط وتحرز على الناس ، وحكم سياسى ، مع ما فيه من الحكم الشرعى ، إذ فى ذلك خطر شديد . وقوله : (من تطبَّب) ولم يقل من طَبَّ ... لأن لفظ (المتطبب) يدل على المتعلم للطب ، أو المتعاطى له . وتطبَّبَ على وزن « تفعَّل »، ومعناها هنا للتعاطى، أى تعاطى علم الطب ، ولم يكن من أهله ، لأنّ « تفعّل » قد يأتى بمعنى إدخال المرء نفسه فى أمرٍ حتى يضاف إليه ، أو يصير من أهله ، كقولك تشجّعتُ وتكرّمت ؛ قال الراجز :

وقيسَ عَيلانَ ومن تقيَّسَا[3]

والطبيب : هو العالم بالطب ، المتمكن الحاذق فيه . ومعناه ،

---

(١) ل : الحد . (٢) ل : سينا . (٣) من أرجوزة للعجاج (ديوانه : ٣٣) .

(أى الحديث)[١] : مَنْ تعاطَى فعلَ الطب ، ولم يتقدم له به اشتغال، ومزاولة معالجةٍ ، وتدرُّب[٢] مع الفضلاء فيه ، فقتَل بطبِّه ، فهو ضامن ؛ لأن غالب من هذه حاله ، أن يكون قد تهجَّم بجهله على إتلاف الأنفس[٣] ، وأقدم بالتهور على مالم يعلمه ، فيكون قد غرَّر بالمهج ، فيلزمه الضمان لذلك . فأما من سبق له اشتغال بصناعة الطب ، وكثرة تجارب ، وأجازه علماء الطب ورؤساؤه ، فهو جدير بالصواب ، وإن أخطأ بعد بذل الاجتهاد الصناعىّ ، أو عن قصور الصناعة نفسها ، فعند ذلك لا يلزمه لومة لائم[٤] .

قال الخَطابىّ : لا أعلم خلافا فى أن المُعالج إذا تعدَّى ، فتلف المريض ، كان ضامنا ، والمتعاطى علماً أو عملا لا يعرفه متعدّ ، فإذا تولّد من فعله التلف ، ضمن الدِّية ، وسقطَ عنه القَوَد ، لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض ، وجناية المتطبب فى قول عامة الفقهاء على عَاقِلَتِه .

الحديث الثانى

عن أبى الزُّبير[٥] ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « إنّ لِكلِّ داءٍ دَواءً ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرِئَ بِإِذنِ اللهِ عَزَّ وجلّ » . أخرجه مسلم

قال المؤلف : فى هذا الحديث حثٌّ[٦] على استعمال الطب والمداواة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إن لِكُلِّ داءٍ دواءً » . فجزم بوجود الدواء للداء ، إلا ما استثنى

---

(١) إضافة من المحقق .
(٢) ل : يدرب .
(٣) ل : الأنيس .
(٤) ل : لايم .
(٥) محمد بن مسلم بن تدرس — الأسدى — أبو الزبير المكي أحد الأئمة . مات سنة ثمان وعشرين ومائة . « الخلاصة » .
(٦) ل : حيث .

منه فى أحاديث أُخَر ، كالهَرَم والسام . وفيه استحباب التداوى ، وهو مذهب الشافعىّ وجمهور السلف، وعامة الخَلَف . وفيه ردّ على من أنكر التداوى من غُلاة الصوفيّة ، فقالوا[١] : كل شىء بقضاء وقدر ، ولا حاجة إلى التداوى . وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم ، ونعتقد أن الله تعالى هو الفاعل ، وأن التداوىَ من قدَرِ الله ، وهذا كالأمر بالدعاء ، والتحصن من الأعداء ، ومجانبة الإلقاء[٢] باليد إلى التهلكة ، مع أن الأجل لا يتغير ، والمقادير لا تتقدم ولا تتأخر

رُوِى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ السّلامُ سَألَ اللهَ عزّ وجلّ فقَالَ : يا ربّ مِمّنِ الدّاء ؟ فقالَ سُبحانَهُ وتعالَى : مِنّى . فقَال : ومِمّنِ الدّواءُ ؟ فقَالَ اللهُ عزّ وجَلّ : مِنّى . فقالَ : يا ربّ فما بالُ الطّبيب ؟ فقَالَ : رجلٌ أُرْسِلُ الدّواء عَلَى يديه[٣] » .

والدواء : بفتح الدال ممدود ، وحُكِىَ بكسرها ، وهو شاذ .

وهذا الحديث عظيم النفع ، وجليل المقدار ، لما فيه من تقوية نفس المريض والطبيب معا ، بإخبار الصادق الأمين أن لكل داء دواء ... ومتى قويت نفس المريض انتعشت حرارته الغريزية ، وكان ذلك سببا لقوة القوى الحيوانية والنفسانية والطبيعية ، ومتى قويت هذه القوى المذكورة ، قهرت المرض ، فكانت سببا لدفعه ، وهو المطلوب .

والداء : (هو[٤]) المرض ، وهو حال للبدن ، خارج عن المَجْرَى الطبيعى ، تنال به الأفعال الضرر من غير متوسط ، ويلزمه خروج البدن أو العضو عن

---

(١) ل : وقال .
(٢) كذا فى خ . ل : الأكفا .
(٣) الطب النبوى .
(٤) إضافة من المحقق .

اعتداله فى مِزاجه أو هيئته[1] أو وضعه ، وذلك الخروج يكون فى إحدى الدرَج الأربع ، التى تعرفها الأطباء ، ولا شىء منه إلا وله ضد من الأدوية فى درجته ، فلهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : «فاذا أُصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى » فعلّق البُرْء لشرط وجود الدواء المضادّ للداء فى مزاجه ، المساوى له فى درجته ، لأن الدواء متى جاوز درجة الداء ، نقله إلى مرض آخر ، ومتى قصر عنها ، لم يف بمقاومته ، وكان العلاج قاصراً ... وقد عُلم من أصول الطب أن حفظ الصحة بالشبيه ، ومداواة المرض بالضدّ ؛ قال الرئيس :

بِالشِّبْهِ تُحْفَظُ صِحَّةٌ مَوْجُودَةٌ وَالضِّدُّ فِيــــهِ شِفَاءُ كُلِّ سَقَامَ

الحديث الثالث

عن عطاء ، عن أبى هريرة، قال (قال)[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلاَّ أَنزَلَ لَهُ شِفَاءً[3] » . أخرجه البخارى ومسلم .

قال المؤلف: «قوله ما أنزل الله داء»: أى لم يحدث الله داء إلا أحدث له دواء . وهذا كقوله تعالى (وأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) : أى أحدث لكم ثمانية أزواج، وقد يكون إنزاله إنزال الملائكة من السماء لمباشرة مخلوقات الأرض من داء ودواء . ويعضُد هذا قوله فى الحديث الآخر : « لَمْ يَضَعِ اللهُ دَاءً إلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً » . ويجوز أن يكون فى الكلام شىء محذوف ، وتقديره : داء من الأدواء التى قدّر شفاءها[4] ، إذا كانت بعض الأدواء لا ينجح فيها دواء

---

(١) ل : هيته .
(٢) إضافة من المحقق .
(٣) صحيح البخاري .
(٤) ل : شفاها .

ولا قدر لها فى الأزل شفاء ، لتتم[١] مقدرات الله تعالى بموت من يموت بها ، وسلامة من يسلم منها . والشفاء : هو الدواء الشافى .

واعلم أنه قد جاءت أحاديث كثيرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى ، رواها العلماء فى كتبهم ، وسنح لى أن أذكر منها شيئا فى هذا الموضع فمنها هذا الحديث :

عن زياد بن علاقة[٢] ، عن أُسامة بن شريك ، قال : « كُنْتُ عِندَ النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّم، وجاءَتِ الأَعْرَابُ فقَالُوا: يارَسُولَ اللهِ ، أنتَداوَى؟ فقَالَ: نَعَمْ ياعِبادَ اللهِ تدَاوَوْا، فَإنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ داءً إلاَّ وَضعَ لهُ شِفاءً غيرَ دَاءٍ وَاحدٍ ... قالوا ، ومَا هُوَ ؟ قَالَ الهَرَم[٣] » . قال أحمد بن حنبل، يبلغ به زياد ابن علاقة ، عن أسامة بن شريك،قال : « جاء أعْرَابىٌّ إلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا رَسُولَ اللهِ أنتَدَاوَى ؟ قالَ: نَعَمْ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَمْ يُنزِلْ دَاءً إلاَّ أنزَلَ لهُ شِفاءً ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه »[٤]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ دعَا طبيبينِ كانَا بالمَدِينةِ لِرَجُلٍ يوْمَ أُحُدٍ[٥] .فقال: عالجاهُ،فقَالا : يارَسولَ اللهِ إنما كُنَّا نُعالِجُ وَنحْتَالُ فى الجاهِلِيَّةِ ، فَلمَّا جاءَ الإسْلامُ فمَا هُوَ إلاَّ التَّوَكُّلُ .فقَالَ : عَالِجاهُ ،فإنَّ الَّذِى أنزَلَ الدَّاءَ أنزَلَ الدَّوَاءَ، ثُمَّ جَعَلَ فيهِ شِفَاءً. قالَ: فَعالَجاهُ فَبَرَأَ» .

---

(١) ل : ليتم .

(٢) هو زياد بن علاقة الثعلبى ، توفى سنة خمس وعشرين ومائة عن نحو مائة سنة . « الخلاصة » .

(٣) الطب النبوى . (٤) زاد المعاد .

(٥) يروى كثير من العلماء الأجلاء أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستبشر بيوم الأحد ، حتى روى بعضهم عنه عليه الصلاة والسلام بإسناد صحيح — أنه قال : « يوم الأحد ما بدئ فيه بأمر إلا وتم »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « أَنَّ رَجلاً قَامَ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ فقَالَ : يارسولَ اللهِ أينفَعُ الدوَاءُ مِنَ القَدَرِ ؟ فقَالَ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : الدَّوَاء مِنَ القَدَرِ ، وَهُوَ ينفعُ مَنْ يشاء بِمَا يشاء[1] »

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتداوَى ، ويَصِف الدواء ، وتُنعت له النعوت : [أى الوَصَفات الطبية[2]] ، فيستعملها .

الحديث الرابع

عن نافع ، عن ابن عُمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن شِدَّةَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فابْرُدُوهَا بِالماء» . أخرجاه فى الصحيحين[3]

قال المؤلف : هذا خطاب لأهل الحجاز ، إذْ كان أكثر الحميات التى تعرض لهم من نوع الحمى اليومية ، وينفعها الماء البارد شربا واغتسالا ، على ما سنبيِّنُه بعد … وقوله «فابْردُوها» بهمزة وصل ، وبضم الراء ، وهو الصحيح . وحكى القاضى عياض فى [المشارق] أنه يقال بهمزة قطع ، وكسر الراء ، فى لغة حكاها الجوهرى ، وقال : هى لغة .

وفى هذا الحديث دليل لأهل السنة أن جهنم مخلوقة الآن موجودة . وقوله « فَيح جهنم » هو بفتح الفاء : وهو شدة حرها ولهيبها وانتشارها ، الحادثةُ عن شدة حرارة الشمس ، قال الليث : الفيح : سطوعُ الحر ، يقال : فاحت القِدر تفيح : إذا غلَتْ . وقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من حُمَّ ثلاث

---

(١) الجامع الصغير .

(٢) إضافة من المحقق .

(٣) صحيح البخارى ومسلم . وفى رواية لنافع أيضا « أطفئوها بالماء » .

ساعاتٍ، فصبرَ فيهاشا كراً للهِ حامداً له، باهى اللهُ بهِ ملائكتَهُ، فقالَ: يا ملائكتى، أنظرُوا إلى عبدِى وصبرهِ على بلائى، اكتبُوا لعبدِى براءةً مِنَ النَّارِ. فيُكتَبُ لهُ بسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ براءةٌ مِنَ اللهِ لعبدِهِ[1] فُلانِ بنِ فُلانٍ، إنِّى قدْ أمَّنْتُكَ منْ عذابى، وَأوْجبتُ لكَ جَنَّتِى، فادخلهَا بسلامٍ » وعن مجاهد، فى قوله تعالى: (وَإنْ مِنْكم إلاَّ وَاردُهَا) وقال: «مَنْ حُمَّ مِنَ المسلمينَ فقدْ وَرَدها ». ويؤيده ماروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه: أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الحُمَّى حظ المُؤْمِنِ مِنَ النارِ يوْمَ القيامةِ[2] ». ومعنى الحمَّى من حيث اللغة: شدة الحر ومعظمه. وقد جاءت بمعنى التقدير؛ يقال حُمَّتِ الأمور: إذا قُدِرت، قال الشاعر:

أَبى اللهُ أنْ يَلقَى الرشادَ متيَّمٌ ... ألاَ كلُّ أمرٍ حُمَّ لابُدَّ واقعُ[3]

ومن حيث الطبُّ: حرارة غريبة تشتعل فى القلب، وتنبث فيه، بتوسط الروح والدم فى الشرايين والعروق إلى جميع البدن، فتشتعل فيه اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية. وهى تنقسم إلى قسمين: مرَضيَّة، وهى أجناس الحميات الثلاث التى تذكر، وعرَضية: كالحادثة عن الأورام. وأجناس الحمى المرضية ثلاثة، لأنها لا تكون إلا فى مادةٍ أولَى، ثم منها تسخُن سائر[4] الأجسام الأخرى، فإن كان مبدأ تعلقها بالروح، سميت حمَّى يوم، لأنها فى الغالب تزول فى يوم، ونهايتها

---

(١) ل: لعبدة.
(٢) الجامع الصغير.
(٣) فى خ زيادة بعد البيت ومن الأبيات الحماسية:

نحْنُ بنُو المَوْتِ إذَا المَوْتُ نَزَلْ ... لاَ عَارَ بِالمَوْتِ إذَا حَلَّ الأَجَلْ

(٤) ل: ساير.

ثلاثة أيام ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سميت عَفِنة[١] ، وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية، سميت : حُمَّى دِقّ . وتحت كل جنس من هذه الأجناس المذكورة أنواع من الحميات وأصناف ، ليس هذا موضع ذكرها ، وكثيرا ماتكون حمى يوم وحمى العفن سببا لإنضاج موادّ غليظة ، لم تكن تنضج بدونها ، وسببا لتفتّح سُدَدٍ[٢] لم تكن تصل إليها الأدوية المفتّحة . وأما الرمد الحديث والمتقادم فإنها تبرئ أكثر أنواعه برءا عجيبا وَحِيًّا مجرّبا . وهى تنفع من الفالج واللّقوة[٣] والتشنج الامتلائى ، وكثير من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة .

رُوِى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : «ذُكِرَتِ الحُمَّى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّمَ ، فَسَبَّها رَجُلٌ ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : لاتَسُبَّها ، فإنها تُنْقِي الذُّنوبَ ، كما تُنْقى النّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ[٤] » . رواه ابن ماجه .

ولما كانت الحمى تدبيرُها حِمْيةٌ عن الأغذية الرديّة ، وتناول الأدوية والأغذية النافعة ، وفى ذلك كله إعانة على تنقية البدن ، ونفى أخباثه وفضوله ، وتصفيته من أدرانه وعيوبه ، وتفعل فيه كما تفعل النار بالحديد فى نفى خَبَثه ، وتصفية جوهره ، شبّه نار الحُمَّى بنار الكِير، والبدن بالحديد، وفضول البدن بخَبَث الحديد. والذى صرح به فى الحديث: أنها تُنقى الذنوب، لأنها كفارة السيئات والخطايا . رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ اللهَ لَيُكفِّرُ عنِ المؤمِنِ خَطَايَاهُ كلَّها بحُمَّى لَيْلَةٍ[٥] » .

---

(١) ل : عفينة . (٢) كذا فى خ الثالثة . ل : سدداً .

(٣) اللقوة : داء يصيب الوجه . يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق .

(٤) زاد المعاد .

(٥) الترغيب والترهيب . ورواية الحديث عن الحسن رضي الله عنه ، فى خ — خ ٣ حديث آخر : «حمى يوم كفارة سنة» .

والكفارة تمحو ذنوب المكفَّر عنه، والمريض يتذكر العُقبى ويندم على مامضى، ويستغفر من الخطايا، ويقلع عن الذنوب، فيعود كمن لاذنب له، لأنه يتوقع موته فى حال مرضه. رُوى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «الحمَّى رَائدُ الموْتِ، وَسِجْنُ اللهِ فِى الأَرضِ». قال الأزهرىّ: معنى رائد: أى رسول الموت. رُوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلْتَ عَلَى المريضِ، فَمُرْهُ يَدْعُو لكَ، فإِنَّ دُعاءَه كَدُعاءِ الملائكةِ» رواه ابن ماجه وغيره[1]. وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «ما مِنْ مَرَضٍ يُصِيبُنِى أَحَبَّ إِلىَّ مِنَ الحمَّى، لِأَنهَا تَدْخُلُ فى كلِّ عُضوٍ مِنِّى، وإِنَّ اللهَ يُعْطِى كلَّ عُضوٍ قِسْطَهُ مِنَ الأَجْرِ». وأما قوله صلى الله عليه وسلم «إن شدة الحمى من فيح جهنم فابرُدوها بالماء»: فالذى يظهر أنه لم يرد بهذا الحديث من أقسام الحُمِّيات، سِوى ما كان من حُمَّى يوم عن حر الشمس. فإن وقوعها بالحجاز كثير، وتسكن عن المكان بالانغماس فى الماء البارد، وسقى الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر. فإن هذه الحمى مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح، فيكفى فى علاجها مجرد وصول كيفية باردة تسكّنها وتخمدها، فى أى وقت كان منها، من غير حاجة إلى استفراغ مادةٍ أو انتظار نُضج. ويجوز استعمال الماء البارد فى سائر الحميات الأُخَر، على ماشرطه جالينوس. قال جالينوس فى العاشرة من حلية البرء: ولو أن رجلا شابا حسن اللحم، خِصْب البدن، فى وقت القيظ فى وقت منتهى الحمى، وليس فى أحشائه ورم، استحم بماء بارد أو سبح فيه، لانتفع بذلك. ونحن نأمر بذلك بلا توقف. فهذا ما أمكن ذكره من شرح هذا الحديث، وما فى معناه من أمر الحُميات الدائمة، واليومية، وغيرها.

---

(١) ورواته ثقات — الترغيب والترهيب.

وأما الحميات العفنة التي يتقدمها برد ونافض ، فقد رُوِيَ فيها هذا الحديث ،

عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ، قال : « دخل رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ على أمِّ السَّائبِ ـ أو أم المسيَّب ، فقال مالكِ تُرَفرفِينَ ؟ قالتِ : الحُمَّى لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا . فقالَ : لا تَسُبِّى الحُمَّى ، فإنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِى آدمَ ، كما يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ » . رواه مسلم .

قال المؤلف : قوله « تُرَفْرِفين » بالراء المهملة المكررة ، والفاء المكررة : الحركة والانتفاض

قال الجوهرى : ورفرف الطائر : إذا حرك جناحيه حول الشىء ، يريد أن يقع عليه وروى : تُزفزفين ، بالزاى المعجمة المكررة والفاء المكررة . والزفيف السريع : أى تسرعين الحركة والاضطراب . قال الجوهرى : زَفَّ القوم فى مشيهم : أى أسرعوا . ومنه قوله تعالى : (فأقبلوا إليه يَزِفُّون) . وسبب البرد والنافض فى الحميات العفنة : هو سيلان المواد الحادة اللذاعة ، عند كون الحمى على الأعضاء الحسَّاسة منها ، إذ هى ضدها ، وتتوجه نحو القلب الذى هو أصلها ومنشؤها ، فيبردُ ظاهر البدن لذلك ، وتحصل الرعدة والقُشَعْرِيرة[1] والبرد على حسب كثرة المادة وقلتها ، وقلة العفونة وشدتها ، ويحصل عند ذلك العطش لميل الحرارة الغريزية إلى داخل البدن ، وتضادِّها على القلب .

وهذا ما أمكن ذكره فى هذا الموضع ، على سبيل الاختصار ، والله أعلم .

الحديث الخامس

عن أبى سَلَمة ، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم

(١) ل : القشعرا .

بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلاَّ السَّامَ ، والسَّامُ : الْمَوْتُ » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : الحبة السوداء بالعربية : هى « الشُّونيز » بالفارسية ، وهى الكمُّون الأسود أيضا ، ويسمى الكمون الهندى . قال ابن الأعرابى : هى الشُّونيز[١] كذا يقوله العرب[٢] . وذكر الهروى عن غيره ، أنها الحبة الخضراء ، ثمرة البُطْم ، قال : والعرب تسمى الأخضر أسود ، والأسود أخضر . والأشهر : أن المراد بالحبة السوداء : (هو[٣]) الشونيز . ومنافعه كثيرة ، ولأجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فيه شِفاء من كل داء » أى من أكثر الأدواء ، ويجوز أن يطلق كل ويراد بها الأكثر ، كضرب من المبالغة . وقد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى وهو قوله : (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) . ومعلوم أن الجنة والنار موجودتان ، وهما غير هالكين ، وكذلك أرواح الشهداء . ويجوز أن يكون فى الكلام شىء محذوف : تقديره ، شفاء من كل داء سببه البرد والرطوبة ، وحذف مثل ذلك من اللفظ جائز ، لدلالة المعنى عليه ، وقد ورد فى كتاب الله تعالى ، وهو قوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ) . قال المفسرون : فى الكلام حذف ، تقديره : وأوتيت من كل شىء عادةُ الملوك أن يكون عندهم . وهو[٤] نافع من جميع الأمراض الباردة الرطبة . ويجوز أيضا نفعه من الأمراض الحارة اليابسة ، باتصاله بقوى الأدوية الباردة الرطبة ، وسرعة تنفيذها ؛ إذا أخذ اليسير منه ، وخلط

---

(١) فى خ الثالثة : الشينيز . وكلاهما صحيح .

(٢) فى خ زيادة هنا (وذكر الحربى عن الحسن : أنها الخردل) .

(٣) إضافة من المحقق .

(٤) يعني الشُّونيز ، وهو نفسه الحبة السوداء ، كما هو معروف .

بالكثير منها . . وتأمل مثل ذلك من كلام الشيخ الرئيس[١] ، ولا يبعد منفعة الحار أيضا من أدواء حارة بخواصّ فيها ؛ فقد نجد ذلك فى أدوية كثيرة ، منها «الأَنْزَرُوت» وما يركب من أدوية الرمد «كالشونيز[٢] والنَّشا والسكر» ، وغير ذلك ، مع أنها جميعها حارة ، والرمد ورم حار بإجماع الأطباء . وكذلك نفع الكبريت من الجرب ، ونصه : على الزعفران فى قرص الكافور . ويبقى الحديث على عمومه خاليا من تقدير محذوف . وإذا ثبت ذلك جاز نفعه من الأمراض ، كما جاء فى الحديث النبوىّ ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . . . ومزاجه حار يابس فى الدرجة الثالثة ، مُذهب للنفخ ، مخرج لحب القَرَع ، نافع من البَرَص وحمى الرِّبْع والبَلْغَمية ، مُفتِّح للسُّدَد ، محلِّل للرياح مجفِّف لبِلَّة المعدة ، ورطوبتها . . . وإن دُقّ وعجن بالعسل ، وشرب بالماء الحار ، أذاب الحصاة التى تكون فى الكليتين والمثانة ؛ ويُدِرّ البول والحيض واللبن ، إذا أديم شربه أياما . وإن سحق بالخل ، وطُلِى على البطن ، قتل حب القرع ؛ فإن عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ ، كان فعله فى إخراج الديدان أقوى ، ويجلو ، ويقطع ويحلِّل ، ويشفِى من الزُّكام البارد إذا قُلِى وصُرّ فى خرقة ، واشتم دائما ، ودهنه نافع من داء الحية ، ومن الثآليل والخِيلان ؛ وإذا شُرب منه مثقال[٣] بماء نفع من البُهْر[٤] وضيق النفس ، والضِّماد به ينفع من الصداع البارد ، وإذا نُقع منه سبع حبات عَدَدا فى لبن امرأة ، وسُعِّطَ به صاحب اليَرَقان ، نفعه نفعا بليغا ؛

---

(١) فى خ زيادة هنا (ونصها : عن الزعفران فى قرص الكافور ، ويبقى الحديث على عمومه خاليا من تقدير محذوف) .

(٢) فى ل والنسختين : «كالشميزج» .

(٣) كذا فى خ الأخرى له : مثقاله .

(٤) البهر : تقطع فى النفس نتيجة علة أو إعياء .

وإذا طُبِخ بخلٍّ وخشب الصنوبر، وتُمضمض به، نفع من وجع الأسنان عن برد، وإذا أسعِط به مسحوقا بدهن الإبريسم[(١)]، نفع من ابتداء الماء العارض فى العينين، وإذا ضُمِد به مع الخل قلع البثور، والجرب المتقرح، وحَلَّل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من اللَّقوة إذا استُعِط بدهنه. وإذا شرب مقدار نصف مثقال إلى مثقال مع الشراب، نفع من لسع الرُّتيلا[(٢)]، وإن سحق ناعما، وخلط بدهن الحبة الخضراء، وقطِّر فى الأذن منه ثلاث قطرات، نفع من البرد العارض فيها، والريح، والسُّدَد وإن قُلى ثم دق ناعما، ثم نُقع فى زيت، وقطر منه فى الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام العارض منه عُطاس كثير، وإذا أحرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن أو دهن الحناء، وطلى به القروح التى[(٣)] تخرج فى الساقين، من بعد غسلها بالخل، نفعها وأزالها، وإذا سحق (وخلط)[(٤)] بخلّ، وطلِي به البَرص والبَهق الأسود[(٥)] والحَزاز الغليظ، نفعها وأبرأها، وإذا سُحقَ ناعماً، واستُفَّ منه كلّ يوم درهمين بماء بارد، مَن عضَّهُ كلْبٌ كَلِب[(٦)]، قبل أن يكرعَ[(٧)] من الماء، نفعَهُ نفعا بليغا، وأمِنَ على

---

(١) ل : أسقط به مسحقا بدهن الإبرسا .. والإبريسم هو الحرير — له فوائد جليلة لا يتسع هنا شرحها .

(٢) فى زاد المعاد : الرتيلاء بالهمزة . والرتيلا : من العناكب كبير البطن قصير الأرجل، بين صفرة وسواد، مسموم، ونهشه يؤلم، تذكرة داود .

(٣) ل : اللذي .

(٤) إضافة من المحقق .

(٥) البهق : بقع فى الجسد .

(٦) الكلب : مرض فتاك يصيب أدمغة الكلاب بما يشبه الجنون، فتعض الناس، فيصاب بنفس العلة، من أصابته العضة ولم يتحصن ضدها بلقاح معروف في الطب .

(٧) ل : يقرع .

نفسه من الهلاك؛ وإذا استعط بدهنه؛ نفع من الفالج والكزاز[١] وقطع موادهما، وإذا دخن به طرد الهوام.

قال ابن سينا: وإذا ديف العنزروت بماء ولطخ على داخل الحلقة[٢] ثم ذر عليها (الشونيز) ناعماً كان من الذرورات الجيدة؛ العجيبة النفع من البواسير، ومنافعه أضعاف ما ذكرناه، والشربة منه درهمان، وزعم قوم أن الإكثار منه قاتل.

الحديث السادس

عن أبي المتوكل: عن أبي سعيد الخدري: «أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي يشتكي بطنه ـ وفي رواية استطلق بطنه ـ فقال: اسقه عسلاً، فذهب ثم رجع فقال: سقيته فلم يغن عنه شيئاً، ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال له في الثالثة أو الرابعة: صدق الله، وكذب بطن أخيك، ثم سقاه فبرأ[٣]». أخرجاه في الصحيحين.

قال المؤلف: قد جاء في مسلم في بعض طرق هذا الحديث «إن أخي

---

(١) الكزاز: علة قد تأتي من شدة البرد أحيانا.

(٢) يقصد حلقة الدبر المصابة.

(٣) في صحيح مسلم رواية الحديث هكذا: عن أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسقه عسلا، فسقاه، ثم جاءه فقال: إني سقيته، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة، فقال اسقه عسلا، فقال: لقد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ».

عرِبَ بَطنُه . قال: اسقه عسَلاً » . قال القاضي عياض : كذا رويناه عن الأسدىّ وغيره . براء مكسورة ، قال : ومعناه فسدهضمه ، واعتلّت معدتُه. والاسم العرَب ، بفتح الراء ، والذَّرَب بالذال ، وعَرِبت وذَرِبت . والعسل : طَلٌّ خفِيٌّ يقع من السماء على الزهر وغيره ، فيجنيه النحل غالبا ، فينْسَب إليه ؛ وهو حار يابس فى الدرجة الثانية ، محلّلٌ للرطوبات أكلاً وطلاءً ، جالٍ للأوساخ التى فى العروق ، وغيرها ، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ، ومن كان مزاجُه باردًا رطبا ، مُغذٍّ ملينٌ للطبيعة ، حافظٌ لقُوَى المعَاجين وغيرها ، ذاهبٌ بكيفيَّات الأدوية الكريهة ، منقٍّ للكبد والصَّدر ، مدرٌّ للبول ، موافقٌ للسُّعال الكائن عن البلغم ، وإذا شُرب حارًّا بدُهنِ الورد ، نفعَ من نَهْشِ الهوامِّ ، وشُربِ الأفيون ، وإن شُربَ وحدَه ممزوجا بماء ، نفعَ من أكل الفطر القتَّال وعضةِ الكَلْب الكَلِب . وأجوَده الربيعِىّ ، وبعده الصَّيْفىّ ، وإذا جُعلَ فيه اللحمُ الطَّرىّ حَفِظَ طراءته[1] ثلاثةَ أشهر ، وكذلك إن جعل فيه الخيارُ والقثاء ، والقرْع ، والباذنجان ، وكثير من الفاكهة يحفَظُها ستةَ أشهر ، ويحفَظُ جثثَ الموتى ، وكلَّ ما يودَعُ فيه ، ولذلك يُسمَّى الحافظ الأمين ، وإذا لُطِّخَ به البدنُ المُقْمَلُ والشَّعر ، قتَل قمْله ، وصِئبانه[2] ، وطوَّل الشَّعر ونعَّمه وحسّنه ، وإن اكتُحِلَ به جَلا ظُلمةَ البَصر ، وإذا استُنَّ به بيَّض الأسنان وصقلَها وحَفِظَ صحَّتها وصحةَ اللِّثة ، ويفتح أفواهَ العُروق ، ويدرُّ الطَّمْث ، ولَعقُه على الريق يُذِيبُ البلغَم ويَغْسل المعدة ، ويدفع الفضل ، وينضجه

---

(١) ل : طراته .

(٢) الصئبان : بيض القمل

ويسخنه باعتدال ، ويفتح سُدَدها ، ويفعلُ مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة ، وهو أقل إضرارا لسُدد الكبد والطحال من كل حلو ، وهو مع هذه الفضائل الجمّةِ ، مأمونُ الغائلة(١) ، قليلُ المضار ، ومضرّتُه للصفراويين ، ودفع مضرّتِه بالخلّ ونحوه ، فيعودُ حينئذٍ نافعا لهم ، وهو غذاء من الأغذية ، ودواء وحدَه مع الأدوية ، وشراب فى الأشربة ، وحلو وفاكهة .

وبالجملة ، لم يخلق لنا شىء فيه معانيه أفضلُ منه ، ولا مثله . وقد رُوىَ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لعقَ العسَلَ ثلاثَ غدَوَاتٍ كلّ شهرٍ ، لَمْ يُصبْه عظِيمٌ مِنَ البَلاءِ » . رواه ابن ماجه وغيره

وقد كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يشرب الممزوج بالماء على الريق فى أيام صحته . فهذه حكمةٌ عجيبةٌ فى حفظ الصحةِ ، لا يدركها إلا العاقلون . وقد كان يتغذى بعد ذلك بخبز الشعير مع الملح والخل ونحوه ، فلا يضره ، لما قد سبق له من الإصلاح ، وكان يُراعى فى حفظ صحته أمورا فاضلة جدًّا ، تُذكر فى باب حفظ الصحة

وقد رُوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بالشفاءين : العسَلِ والقرآنِ(٢) » . فجمع فى هذا القول بين الطبِّ البشرىّ والطبّ الإلهىّ ، وبين طبّ الأجساد وطبّ الأنفس ، وبين الدّواء الأرضىّ والدواء السّماوىّ . وفى قوله صلى الله عليه وسلم « صدق الله ، وكذب بطنُ أخيك » إشارة إلى تحقيق نفع العسلِ من ذلك المرض ، لأنّه صلى الله عليه وسلم إنّما يأمر بالوحى (وَمَا يَنْطِقُ

---

(١) ل : الغايلة — وهى الضر أو الشر

(٢) الجامع الصغير .

عن الهوى) . وليس طبُّه صلى الله عليه وسلم كطب الأطباء، فإن طب النبي متيقن قطعى النفع به ، وطب الأطباء مظنون ، فافترقا . وفى تكرار سقيه العسل ، معنى طبى ، وهو أن كل دواء يجب أن يكون له مقدار ما عند تناوله ، لا يؤثر أقل من ذلك المقدار ، فإن الشرارة لا تسخن فضلاً عن أن تحرق ، فلما أمره صلى الله عليه وسلم بأن يسقيه عسلاً أسقاه مقدارًا قليلاً ، لم يبلغ الغرض المقصود ، فلم يجد ، فلما رجع إليه ثانيا علم صلى الله عليه وسلم أن الذى أسقاه منه لا يبلغ مقدار الحاجة ، فلما تكرر تردداه إلى النبى صلى الله عليه وسلم أكد عليه بأن يعطيه مقدارًا أكثر ، بقوله «صدق الله ، وكذب بطن أخيك» ليتيقن شفاء أخيه منه[1] ، فحصل له من تكثير الدفعات مقدار الشربة التامة ، فبرأ ؛ فاعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المريض ، واجب عند المداواة ، وهو من أكبر قواعد صناعة الطب وأصولها ، حتى نظم هذا المعنى بعض الشعراء ، فقال :

غَلِطَ الطَّبِيبُ عَلَيَّ غَلْطَةَ مُوْرِدٍ ... عَجَزَتْ مَوَارِدُهَا عَنِ الإِصْدَارِ
وَالنَّاسُ يَلْحُونَ الطَّبِيبَ وَإِنَّمَا ... غَلَطُ الطَّبِيبِ إِصَابَةُ المِقْدَارِ

واعلم أن الذى أمره النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بشرب العسل ، كان منطلق البطن ، عن تخمة أصابته من امتلاء ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بشرب العسل ، لدفع الفضول المجتمعة فى نواحى المعدة والأمعاء وهذا العلاج من أحسن ما عولج به هذا المرض ، لا سيما إن مزج العسل بالماء الحار ، لأن الأطباء مجمعون فى مثل هذا ، على أن علاجه بأن يترك الطبيعة وفعلها وإن

---

(١) ل : فيه .

احتاجتْ إلى معين على الإسهال ، مادامتِ القوّةُ باقية . قال القاضي عِياض : وفي قوله «صدَق الله ، وكذَب بطنُ أخيك» حجة للقائلين إن المراد بقوله تعالى : (فيهِ شِفَاءٌ للناسِ) العسل ، وأن الهاء ضميره ، وهو قولُ ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة . وقال آخرون : الهاء عائدة إلى القرآن ، وهو قول مجاهد . والأوّلُ أظهر . وقال بعضُ العلماء : الآيةُ على الخصوص : أي شِفاء لبعض الناس ، ومن بعض الأدواء[1] . والله أعلم .

الحديث السابع

عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص[2] ، عن أبيه ، سمعه يسألُ أسامةَ بن زيد : ماذا سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون ؟ فقال أسامةُ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الطَّاعونُ رِجزٌ أوْ عذابٌ أرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائيلَ ، أوْ عَلَى مَنْ كانَ قَبلَكم ، فإذا سَمِعتمُ به بِأرضٍ فَلاتَقْدَمُوا عليْهِ ، وإذَا وَقَعَ بِأرْضٍ وَأنتمْ بِهَا فَلاَ تَخرُجوا مِنهَا فِرَاراً مِنهُ» . أخرجاه في الصحيحين[3]

الحديث الثامن

في معنى ما تقدّمه وشرحهما معا

عن حفصة بنت سِيرين[4] ، قالتْ : قال أنس : قال رسول الله

---

(١) ل – خ : الأدوية .

(٢) هو عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني عن أبيه وعثمان والعباس . ثقة كثير الحديث . قال الواقدي : مات سنة أربع ومائة . «الخلاصة» .

(٣) صحيح البخاري ومسلم – وللحديث رواية أخرى في مسلم أيضا – باب الطب .

(٤) حفصة بنت سيرين الأنصارية أم الهزيل البصرية ، عن مولاها أنس وأم عطية . وعنها أخوها محمد وقتادة وأيوب . «الخلاصة»

صلى الله عليه وسلم : « الطَّاعُونُ شهادَةٌ لِكلِّ مُسْلِم » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : الطاعونُ من حيث اللغة : الموت من الوباء . قالَهُ صاحب الصحاح . ومن حيث الطبُّ : ورمٌ ردىء قَتَّال ، يخرج مع تلهُّبٍ شديدٍ مؤذٍ جدًّا مجاوزا المِقْدار فى ذلك . ويصيِّر ما حولَهُ فى الأكثر أسودَ أو أخضرَ أو أكد ، وغيرَ ذلك — ويئُولُ أمره إلى التَّقَرُّح سريعا . يحدثُ فى الأكثر فى أحدِ المواضع الثلاثة التى هِيَ الإبط وخلف الأذن والأرنبة ؛ وبالجملةِ فى اللَّحوم الرخوة . ويؤيِّد ذلك ماروى عن عائشةَ رضى اللهُ عنها : أنَّها قالتْ للنبى صلى الله عليه وسلم : عند قوله « والمطعونُ شهيدٌ » قالت : يارسُولَ اللهِ ، الطَّعنُ قد عرَفْناه ، فما الطَّاعُونُ ؟ قالَ : « غُدَّةٌ كغُدَّةِ البعيرِ ، تخرُجُ فى المرَاقِ[1] والآباط »[2]

قال الشيخ الرئيس : إذا وَقَعَ الخُرَاج فى اللحوم الرخوة والمغابن وخلف الأذن والأرنبة وكل ما كان من جنس فاسد ، سُمّى طاعونا . وسببه دمٌ ردىء مائل[3] إلى العُفونيَّة والفساد ، مستحيلٌ إلى جوهر سُمِّىٍّ يُفسِدُ العُضوَ ، ويغير[4] مايليه ، وربَّما رشَح دما وصديدًا ، ويؤدى إلى القلب كيفيَّةً رديئةً . فيحدُث القىء والخفقانُ والغَشْىُ . وهذا الاسمُ وإن كان يعمُّ كلَّ ورم يؤدِّى إلى القلب كيفيةً رديئةً ، حتى يصير لذلك قتَّالاً ، فإنه يختصُّ به الحادث فى اللحم الغُدَدى

---

(١) المراق : جلد البطن .
(٢) الطب النبوى .
(٣) ل : مايل .
(٤) هكذا فى خ . وفى ل : المحضور بغير

لأنه لرداءته[1] لا يقبله من الأعضاء إلاّ ما كان أضعف بالطبع ، وأردؤه ماحدث في الإبط وخلفَ الأذنِ ، لقربها من الأعضاء التي هي أشدُّ رئاسةً[2] وأسلمه الأحمر ثم الأصفر ، والذى إلى السّواد لا يُفلِتُ منه أحد . قال ابن سينا : والطواعينُ تكثر في الوباء[3] ، وفي بلادٍ وبيئة :

أقول : ولما كان ذلك كذلك ، كانوا يعبِّرون بالطاعون عن الوباء[4] ، لشهرة هذا الاسم عندهم ، ولملازمته للوباء في أكثر الأحوال . قال الخليل : الوباء : الطاعون ، وقيل هو كلُّ مرض عام . قال القاضى عِياض : أصلُ الطاعونِ : القروحُ الخارجةُ في الجسد ، والوباء : عمومُ الأمراض ، فسُمِّيَتْ طاعوناً لشَبَهها بالهلاك وإلا فكلُّ طاعونٍ وباء ، وليس كلُّ وباء طاعوناً . والصحيحُ الذى قاله المحققون في الفرق بينهما : أنّ الوباء مرضُ الكثيرينَ من النَّاس في جهةٍ من الأرض ، دونَ سائر الجهات ، ويكون مخالفا للمعتاد في الكثرة وغيرها ، ويكون مرضُهم نوعا واحدا ، بخلاف سائرِ الأوقات . والطّواعين قروحٌ بغير خُرَاجاتٍ ، وأورامٌ رديئةٌ حادثةٌ في أحد المواضع المقدَّمِ ذكرُها ؛ وفي نهيه صلى الله عليه وسلم عن الدُّخول في الأرضِ التي حلّ بها الطاعون فائدتان[5] : إحداهما : لئلا[6] يستَنشقوا الهواء الذى قد عَفِنَ وفسد ، فيمرضون والثانية : لئلا[7] يجاوروا المَرْضى الذين[8] قد مرضوا بذلك ، فتضاعَفُ عليهم البليَّةُ لوجودِ الأمرَينِ معا .

وقد رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ مِنَ القَرَفِ التَّلَفَ » رواه أبو داود .

---

(١) ل : لرداته .
(٢) ل : رياسة .
(٣-٤) ل : الوبا .
(٥) ل : فاسدتان .
(٦-٧) ل : ليلى .
(٨) ل : الذى .

وقد ذكر العتبي هذا الحديث في كتابه وفسره فقال : القرف: مداناة الوباء ، ومداناة المرضى وبالجملة فقوله : « لاتقدموا عليه » ، إثباتُ الحذر : والنهي عن التعرُّض للتلف . وفى قوله « لاتخرجوا فرارًا منه » إثبات التوكل والتسليم لأمر الله ؛ فأحد الأمرين تأديبٌ وتعليم ، والآخر تفويضٌ وتسليم . وسنذكر المعنى الطبي فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تخرجوا فرارا منه » فى شرح الحديث الذى يتلوه ، فيُعلم من هناك ؛ ومعنى الرِّجْز هاهنا : العذاب .

قال القاضي عِياض : وقوله « رِجزٌ أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم » ذُكِرَ أنه مات به من بنى إسرائيل فى ساعةٍ واحدة عشرون ألفا ، وقيل سبعون ألفا . قيل يحتملُ وجهين : الأول أنه أولُ ما بدأ فى الأرض ، وحدث بالناس ، حدث بهم . والوجهُ الثانى : أنهم عُذِّبوا به[١] . قال بعضُ أهل العلم : لم يَنْهَ عن دخولِ أرض الطاعون والخروج منها ، مخافةَ أن يصيبه غيرُ ما كُتِبَ عليه ، أو يهلِكَ قبلَ أجلِه ، لكن حذار الفتنةِ على الحىِّ مِنْ أنْ يظنَّ أنَّ هلاكَ مَنْ هلَكَ مِنْ أجل قُدومِه ، ونجاةَ مَن نجا لأجلِ فرارِه . وقد رُوِىَ عنِ ابْنِ مسعودٍ أنه قال : الطاعونُ فتنةٌ على المُقيم ، وعلى الفار . أما الفارُّ فيقولُ : فررْتُ فنجوْتُ ، وأما المقيمُ (فيقول)[٢] : أقمتُ فهلَكْتُ ، وإنما فرَّ من لَمْ يجِئْ أجلُه ، وأقامَ فماتَ مَن جاء أجله . قال المدائنى : ويقال ما فرَّ أحدٌ من الطاعون ، فسلِمَ مِنَ الموت .

وقد قيل فى قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ) : أنهم خرجوا فرَارًا من الطاعون فماتوا ، فدَعا لهُمْ نبىٌ من الأنبياء أن يحييهم اللهُ فأحياهم . قال ابن عباس رضى الله عنهما : كانوا أربعة آلافٍ

---

(١) فى خ زيادة : (وقال غيره رواية عن التوراة : إنه مات به فى يوم واحد من بنى إسرائيل أربعة وعشرون ألفاً) .

(٢) إضافة من المحقق .

خرجوا هروبا من الطاعون . قال التميمىّ : ولم تزلْ أرضُ الشام فى قديم الأيام إلى آخر مُلْكِ بنى مروان مطروقةً بحدوثِ الطّواعين فى كلّ عامٍ ، وخاصّةً أرضَ دمشق والأُرْدُنّ وفلسطين وأعمالها ، ومن السواحل التى تليها ، حتى إنّ ملوكَهم ورؤساءهم كانوا كذلك يهرُبون من قصورهم ومساكِنِهم : إلى البرارىّ والقفار ، ويسكنونها مدة أوقات فساد الهواء ، وحدوث الطّواعِين ، إلى أن تزولَ الأعراضُ المفسدةُ لأهوية بُلْدَانهم ، ثمّ يعودُونَ إلى مساكِنِهم وأوطانِهم .

وبلغنى أنّ أحدَ أعمامِ السَّفّاحِ لمّا دخلَ دمشقَ بعدَ هزيمةِ مروانَ الجعدىّ ، خطبَ أهلَها ، فلماقضَى خطبتَهُ قال : أحسنَ اللهُ إليكم يأهلَ الشامِ ، من أن يجمَعَكمُ إذْ رَفعَ عنكم الطاعونَ فى زمانِنا ؛ فقال له بعضهم : إنَّ اللهَ تعالَى أعدل من أن يَجْمَعَكم والطاعونَ علينا .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكلٍّ مُسْلِمٍ » : أى مَنْ ماتَ بالوباء — وهو الطاعون — من المسلمين ، كان له أجرُ الشهيد إذا قام وصبَرَ وسلّم ، فيكون أجرُه أجرَ الشهيد الذى قُتِلَ فى سبيل الله تعالى ؛ ويؤيِّدُهُ ما رُوِىَ عنه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر ، وهو قوله « إنَّ الطَّاعُونَ كَانَ عذَاباً يَبْعَثُهُ اللهُ تَعالَى عَلَى مَنْ يشاءُ ، فجعلَهُ رَحْمَةً لِلمؤمنينَ » .

وعن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « انتظَارُ أُمَّتِي الفرَجَ بالصَّبْرِ عِبادَةٌ » .

رُوِى عن جابر بن عَتيك[1] : « أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللهِ ابْنَ ثَابِتٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ غُلِبَ ، فَصَاحَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فلَمْ يُجِبْهُ

(١) جابر بن عتيك بن قيس الأنصاري : صحابى جليل ، اختلف فى شهوده بدرا . «الخلاصة» .

فاسترجع رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: غُلِبنا عليك يا أبا الرَّبيعِ؛ فصاحَ النِّسْوَةُ وبَكَيْنَ، فجعلَ ابنُ عتيكٍ يسكِّتُهنَّ، فقالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم: دعهنّ، فإذا وجبَ فلاَ تبكيَنَّ باكيةٌ، قالوا: ومَا الوجوبُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: الموتُ. قالتِ ابنته: واللهِ إنْ كنتُ لأرجو أنْ يكونَ شهيدا. فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: قدْ وَقعَ أجْرهُ على قَدْرِ نيَّتِهِ، قالَ: ومَا تعدُّون الشهادة؟ قالوا: القتْلُ في سبيلِ الله، فقالَ: إنَّ الشهَادَةَ سَبْعٌ سِوَى القَتْلِ في سبيل الله: المطعونُ شهيدٌ، وصاحبُ الحريقِ شهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ، وصاحبُ ذاتِ الجنْبِ شهيدٌ، والمَبْطُونُ شهيدٌ، والّذى يموتُ تحتَ الهَدْمِ شهيدٌ، والمرأةُ تموتُ بجُمْعٍ شهيد[1]» أخرجه مَالكٌ فى الموطأ، وأبو داود.

الحديث التاسع

عن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ[2] قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كانَ الوَباءُ بأرضٍ وأنتُمْ بِها فلاَ تخرجُوا فراراً منهُ، وإذا سمعتُمْ بِهِ بأرْضٍ فلاَ تقْدَموا عَليْهِ[3]». أخرجاه فى الصحيحين.

قال المؤلف: الوباءُ مهموزٌ مقصور وممدود، لغتان حكاهُما الجوهريّ، والقصْرُ أفصحُ وأشهرُ. والوباءُ: مرضٌ عامٌّ يُفضِي إلى الموتِ غالبا. وسببُهُ

---

(١) المصابيح للبغوى: أي والمرأة تموت وفى بطنها ولد. وقيل التى تموت بكرا. النهاية.

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث الزهرى أبو محمد المدنى. مات سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن خمس وسبعين سنة. «الخلاصة».

(٣) هذا الحديث تتمة للحديث الذى روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه فى خبر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وسيأتى هنا.

فسادُ جَوْهرِ الهواء الذى هومادةُ الرُّوحِ ، على مذهبِ بعض الحكماء ، ولذلك لاتمكن حياةُ الإنسان بدون استنشاقه ، ومتى عدِم الحيوان استنشاق الهواء ، وتَنَسُّمَهُ ماتَ مختنقا . والوباءُ مضرٌّ بالأبدان ، مزيلٌ لصحَّتِها ، معرِّضٌ لهلاكها ، فلذلك نهاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن الدخول بأرض حلَّ بها ، تعليما لَهُمْ ، وخَوْفاً عليهم . وفى نهيه عن الخروجِ منها معنيان : أحدهما : ثقةٌ بالله ، وتوكُّل عليه . والثانى ماقاله ابنُ سينا : أنه يجبُ على كل محترز من الوباء ، أنْ يُخْرِجَ عن بدنِه الرُّطوبات الفَضْلية ، ويقلِّلَ الغذاء ، ويَميلَ إلى التَّدْبير المجفف من كل وجه ، إلا الرياضة والحمام ، فإنهما مما يجب أن يحذرا ، لأن البدن لا يخلو غالبا من فَضْلٍ ردىء كامنٍ فيه ، فتُثيره الرياضة والحمام ، ويخالطانه بالكيموس الجيد ، وذلك يَجلُبُ بَليَّةً عظيمة ، بلْ يجبُ عند وقوعِ الوباء السكونُ والدَّعة ، وتسكينُ هَيجان الأخلاطِ ، إذْ لا يمكنُ الخروجُ من أرضِ الوباء إلاَّ بالحركة ، وهِى مُضِرَّة ، لما قد تقَدَّم ذِكرُه ، فَظهرَ المعنى الطِّبِّىّ من الحديث النبوىّ ، على صاحبه أفضلُ الصلاة والسلام . وحديثُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أمرِ الوباء معروفٌ[1] ، إذْ خرجَ إلى الشام ، حتَّى إذا كانَ (بِسَرْغ) لقيَهُ أهل الأجناد : أبُو عبيدةَ بنُ الجراح وأصحابُه ، فأخبروه أنَّ الوباء قد وقَعَ بالشام ، قال ابنُ عباس : قال عمر : ادعُ لى المهاجرينَ الأوَّلينَ ، فدعوتُهم ، فاستَشارَهُمْ ، وأخبَرَهم أنَّ الوباء قد وقَع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : خرجتَ لأمرٍ ، ولا نرى أن تَرجعَ عنه . وقال بعضُهم : معَكَ بقيَّةُ الناس ، وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نرى أن تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء . فقال ارتفعوا عنى

---

(١) والحديث عن عبد الله بن عباس .

ثم قال: أُدعُ لى الأنصار، فدعَوتُهم له ، فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عنى . ثم قال : ادعُ لى مَنْ كان ها هنا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْش، من مُهاجِرَةِ الفتح ، فَدعوتهم ، فلم يختلفْ عليه رجلان[1] فقالوا : نَرى أن تَرْجِعَ بالناس ، ولا تُقْدِمَهُمْ على هذا الوباء ، فنادى عمر فى الناس : إنِّى مُصْبِحٌ على ظَهْرٍ ، فأَصْبِحُوا عليه ، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قَدَرِ الله ؟ فقال عمر : لو غيرُكَ قالها ياأبا عبيدة! وكان عمر يكره خلافه ، نعم ، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيتَ لو كانتْ لك إبِلٌ فهبطَتْ واديًا لَهُ عُدْوَتان ، إحداهما خِصْبَةٌ والأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أليس إنْ رَعيْتَ الخِصبةَ رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجَدبة رعيتها بقَدر الله ؟ قال : فجاء عبد الرحمن ابن عوف ، وكان متغيبا[2] فى بعض حاجته ، فقال : إنَّ عندى من هذا عِلمًا ، وذكَرَ الحديثَ المقدَّم ذكره ، فحمِدَ الله عُمَر ، ثم انصرف .

فعلمنا من هذه الأحاديث حُكْمَ النبىّ فى القدُومِ على بلد الطاعون، والخروج منه فرارا منه. أما الخروجُ لعارض فلابأسَ به ، وهو مذهبُ الشافعى وجمهور العلماء ، ومنهم من جوَّزَ القدومَ عليه والخروجَ منه فرارا ، وتأوَّلوا معنى الحديثِ على أنَّه لم ينهَ عنِ الدُّخولِ عليه والخروج منه، مخافةَ أنْ يصيبه غيرُ المقدورِ عليه، لكنْ مخافةَ الفتنةِ على الناس، لئلاَّ يظنوا أنَّ هلاكَ القادم إنَّما حصَل بقدُومهِ عليه ، وسلامة الفارّ إنما كان لفراره منه، كما ذكرناه فى شرح الحديثِ الذى تقدَّمه .

وقد رُوِىَ عن جماعةٍ من السَّلف أنهم فرُّوا مِنَ الطاعون، منهم أبو موسى ومسروق والأسود بن هلال، وقال عمرو بن العاص: فِروا عَنِ هذا الرِّجْزِ فى الشِّعاب والأودية ورءوس الجبال . والصحيح ما قدَّمناهُ لظاهرِ الأحاديث . هكذا ذكرَه الشيخ

---

(١) فى خ : اثنان .

(٢) كذا فى خ — وفى ل : متعبا .

محيي الدين النووى فى شرح مسلم . وسَرْغ ، بسكون الراء : أشهر ما يقال فيه . قال القاضى عياض : وروينا عن بعضهم بسكونها وفتحها ، ولم يُصَوِّبْ ابنُ مكىّ غيرَ السكون . قال ابنُ حبيب : سَرْغ : قريةٌ بوادى تبوك ، وحكاه الجوهرىّ عن مالك ، وقيل : هى آخر عمل الحجاز الأول . وقيل : هى مدينةٌ بالشام . وقال ابنُ وضاح : بينها وبينَ المدينة ثلاثَ عشرةَ مرحلة . و «مُهاجِرَة الفتح» قيل : الظاهر أنهم همُ الذين هاجَروا قبل الفتح ؛ خصَّهُمْ بفضلِ الهجرة ، إذ لاهجرةَ بعد الفتح . ومعنى «مُصْبِحٌ على ظَهْرٍ» : أى على سفر ، وعلى ظهور الرَّكائب . وقول عمر «لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدة» : يُرِيدُ مَنْ ليس عنده مِنَ العلم ماعندكَ ، وإن رجوعى ليس بفرار مِنْ قَدرِ الله ، ولكنّه أخذ بالحزمِ والحذَر ، الذى أمرَنا الله به ، وطلبِ الأسبابِ التى هى سوابقُ القدرِ ، وأسرار القضاء ، كما أمرنا باجتنابِ المخاوفِ والمهالكِ .

واعلم أن سببَ فسادِ الهواء الموجبِ للوباء ، هو لاستحالَةِ جوهرِه إلى الرَّداءةِ ، لغلبةِ أحدِ الكيفيَّاتِ الرَّديئةِ عليه ، كالعُفونةِ والنَّتَنِ والسُّمِّيَّةِ وما أشبهها ، فى أىِّ وقتٍ كان من أوقاتِ السنة ، وإنَّ أكثر حدوثهِ فى أواخرِ الصيف ، وفى الخريف غالبا ، لكثرة اجتماع الفضَلات المرارِيَّة الحارَّةِ وغيرها فى فصل الصيف ، وعدم تحللها فى آخره فى الخريف ، لبردِ الجوِّ ، ورداءةِ[1] الأبخرةِ والفضَلاتِ التى كانتْ تتحلَّلُ فى زمنِ الصيف ، فتنحصر فتسخُن[2] ، وتَحدثُ الأمراضُ العفنة ، سيما فى الأبدانِ الرطبة القليلة الحرارة ، فإنها أكثرُ انفعالا لحدوثِ الوباء ، وإنّ أسلم الأوقاتِ ، وأصحّ الفصولِ : فصلُ الربيع ، ولذلك قال أبقراط : إن فى الخريف أحدَّ ما تكونُ الأمراضُ وأقتل ، وأما الربيعُ

---

(١) ل : وردع .
(٢) كذا فى «الطب النبوى» . وفى الأصل : فحمى .

فأصحّ الأوقات كلّها وأقلّها موتاً، ويؤيّدُ ذلك ماروى عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا طَلَعَ النَّجْمُ ارتفعَتِ العَاهَةُ عن كلّ بلدٍ ». والنَّجمُ هنا: النباتُ الذى لايقومُ على ساق[1]، بدليل قوله تعالى(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)، وكمالُ طلوعهِ وتمامُ نباته بكلّ بلدٍ، إنما يكونُ فى زمنِ الربيع؛ وزعمَ بعضُهم أن المرادَ بالنجم الثّريّا، وليس كذلك، بدليلِ مايُشاهَدُ مِنَ الأمراضِ وظهورِها وقتَ طلوع الثريّا وسقوطِها، ولذلك قال التميمىّ فى كتاب « مادة البقاء » : إن أشدّ أوقاتِ السنةِ فسادا، وأعظمَها بليّةً على الأجساد وقتان: أحدهما: وقتُ سُقوطِ الثريّا للمغيب، عند طلوع الفجر الثانى، والثانى: وقتُ طلوعها من المشرقِ قبلَ طلوع الشمسِ على العالَم بمنزلةٍ مِنْ منازلِ القمر، وهو وقتُ تصرّم فصلِ الرّبيع وانقضائه، غيرأن الفسادَ الـكائن عند طلُوعها، أقلُّ ضررا منَ الفسادِ الـكائنِ عند سُقوطِها. قال ابنُ قتيبة: يقالُ ماطلَعتِ الثريّا ومَا نأتْ إلا بعاهةٍ فى الناس والإبل، وغروبُها أعْوه[2] من طلوعِها.

قال طبيب العرب: النجمُ إذاطلع نفراللحمُ، وخيفَ السقم، وجرَى السّراب[3]، على الأكَمِ. ويجوز أن يكونَ المرادُ بالنجم الثريا، وبالعاهة: الآفةُ التى تَلحَق الزرعَ والثمارَ فى فصل الشتاء وصدر فصل الربيع، فيحصلُ الأمنُ عليها عند طلوع الثريا فى الوقتِ المذكور، ولذلك نهى النبىّ صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة وشرائها قبل أن يبدو صلاحُها، والله أعلم.

---

(١) فى خ زيادة: (فى قول ابن عباس وسعيد وسفيان — يقال نجم ينجم: إذا طلع، ونجم القرن والناب: إذاطلعا — وبه سمى نجم السماءلطلوعه، وهو الكوكب، ويؤيدذلك قوله تعالى).

(٢) أعوه من عوه المصاب بالعاهة، ومعنى أعوه: أشد عاهة.

(٣) ل: جر الشراب.

الحديث العاشر

عن عبدالله بن أبي بكر[١]، قال: سمعت أنسَ بن مالكٍ رضي الله عنه يحدِّثُ، قال: «قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُرَيْنَةَ وعُكْلٍ على النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فاجْتوَوُا[٢] المَدِينةَ، فشَكَوْا ذلكَ إلى النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلم، فقالَ لهُمْ: لَوْ خَرجتُمْ إلى إبلِ الصَّدقَة، فشَرِبْتُم مِنْ ألبانِهَا وأبْوالِهَا؟ ففعلوا. فلما صَحُّوا عَمَدُوا إلى الرُّعاةِ فقتَلوهُمْ، واستَاقوا الإبل، وحارَبُوا اللهَ ورسُوله. فبعثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في آثارِهِم، فأُخِذُوا،فقطَّعَ أيْدِيَهُمْ وَأَرجُلَهُمْ، وسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَأَقامَهُمْ في الشَّمْسِ حَتَّى ماتُوا» . أخرجه مسلم[٣]. قال المؤلف: الرهطُ: الجماعة اليسيرةُ من الرجالِ، مابين الثلاثةِ إلى التِّسعة، ولا يكونُ فيهم امرأة، قيل إنهم كانوا ثمانيةَ نفر. و «عُرَيْنَة وعُكْل» : قبيلتان من قبائل العرب. وقوله «فاجتَوَوا المدينة»[٤] – أي استَوْخَمُوها، ومعناه: كرهوها لسُقْمٍ أصابهم، أُخِذَ من الجوَى، وهو داءٌ في الجوْف.

قال أبو زيد: اجْتَوَيْتَ البلادَ: إذا كَرِهْتها، وإن كانتْ موافقةً لكَ في بدنك. (والمرادُ بالمدينةِ: مدينةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، يثرب[٥])، وإن الداء الذي كان أصابهم: هو مرضُ الاستسقاء، وهو مرضٌ ماديّ، سبَبُه

---

(١) هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، أبو محمد المدني، عن أبيه وأنس وعباد بن تميم، قال ابن سعد: توفي سنة خمس وثلاثين ومائة. «الخلاصة».

(٢–٤) خ فاجتنبوا. (٣) زاد المعاد.

(٥) العبارة التي بين القوسين: لا توجد في خ.

مادةٌ غريبةٌ تتخللُ الأعضاء، فتربُو بها : إمّا الأعضاء الظاهرة كلها ، وإما المواضعَ الخاليةَ من النّواحى التى فيها تدبيرُ الغذاء والأخلاط . وأقسامه ثلاثة : لحمِى ، وَزِقّى ، وطَبْلِى[1] . ولما كانت الأدويةُ المحتاجُ إليها فى ذلك هى الأدويةُ الجالِيَة ، والتى فيها إطلاقٌ معتدلٌ ، وإدرارٌ بحَسَبِ الحاجة ، وكانت المعانى المذكورة موجودةً فى أبوالِ الأبلِ وألبانِها ، أمرَهُم النبىُّ صلى الله عليه وسلم بشُرْبها ، وذلكَ أنَّ فى لبنِ اللقاحِ جِلاء وتليينا ، وإدرارا وتلطيفا ، وتفتيحا للسُّدَد إذ كانَ أكثرُ رَعْيها [أى الإبل][2] الشيحَ ، والقيصومَ ، والرَّازَيَانَج ، والبابُونَج ، والأُقحوان ، والإذخِر[3] ، وغيرُ ذلكَ من الأدويةِ النافعةِ للاستسقاء والدليلُ على أن مرضَهم كانَ الاستسقاء ، ماجاء فى الحديثِ من طريق آخر ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه : أن رهطا من عُرينة قَدِموا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالُوا : إنا اجتوَيْنا المدينةَ ، فعُظُمَتْ بطونُنا ، وارْتَهشَتْ[4] أعضادُنا ، فأمرَهمُ النبىُّ صلى الله عليه وسلم أنْ يَلْحقُوا بِرَاعى الأبل ، فيشربوا مِنْ ألبانِها وأبوالِها ، حتى صَلَحَتْ بطونُهم وألوانهم . قال : فقتلوا الراعىَ ، واستاقُو الإبِلَ ، فبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فبعثَ فى طلبهم ، فجىء بهم ، فقطّع أيدِيَهم وأرْجُلَهم ، وسَمَلَ أعينَهم . قال قُتادة : حدثنى ابنُ سِيرِين أن هذا قبلَ أنْ تنزلَ

---

(١) هذه الأقسام الثلاثة أسماء للاخلاط التى ينتج عنها أو عن أحدها ، مرض الاستسقاء ، وأشدها اللحمى .

(٢) إضافة من المحقق .

(٣) هذه أسماء لأعشاب برية جليلة النفع .

(٤) فى اللسان : وحديث العرنيين : عظمت بطوننا ، ودارتهشت أعضادنا ، أى اضطربت ويجوز أن يكون بالسين والشين .

الحدود[١] . واعلمْ أن هذا المرضَ لا يكونُ إلا مع آفةٍ فى الكبدِ خاصةً ، أومعَ مشاركة ، وأكثرُها عنِ السُّدد فيها ، ولبنُ اللِّقاحِ العربيةِ نافعٌ مِنَ السُّدَد ، لما فيه من التفتيح والمنافع المذكورة . قال الرازى : لبنُ اللِّقاح يشفى أوجاعَ الكبد وفسادَ المزاج . قال الإسرائيلىّ : لبنُ اللِّقاح أرق الألبان وأكثرُها مائيّةً وحِدّةً ، وأقلُّها غذاء ، ولذلك صارَ أقواها على تلطيف الفضول ، و إطلاق البَطْن ، وتفتيح السُّدد ، ويدلُّ على ذلك ملوحتُه اليسيرةُ التى فيه ، لأفراطِ حرارةِ حيوانِه بالطبع ، ولذلك صارَ أخصَّ الألبانِ لتطريةِ الكَبِد ، وتفتيح سُدَدِهَا ، وتحليل صلابةِ الطِّحَالِ إذَا كان حديثا ، والنَّفع من الاستسقاء خاصَّةً إذا استُعملَ بحرارتهِ التى يخرجُ بها من الضَّرْع ، مع سُكَّرِ العَسل ، وبَوْلِ الفصيل[٢] وهو حارّ ، كما يخرج من الحيوان ؛ فإن ذلك مما يزيدُ فى ملوحيته وتقْطيعه الفضولَ ، و إطلاقهِ البطنَ ، فإنْ تعذّرَ انحدارُه وإطْلاقُه البطنَ ، وجب أن يطلق بدواء مُسْهِل[٣] . قال ابنُ سينا : ولا تلتفت[٤] إلى ما يُقالُ من أن طبيعةَ

---

(١) فى صحيح البخارى نص الحديث (عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه : أن ناساً اجتووا المدينة ، فأمرهم النبى صلي الله عليه وسلم أن يلحقوا براعيه — يعنى الإبل — فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فلحقوا براعيه ، فشربوا من ألبانها وأبوالها ، حتى صلحت أبدانهم ، فقتلوا الراعى ، وساقوا الإبل ، فبلغ النبى صلي الله عليه وسلم ، فبعث في طلبهم ، فجىء بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم . قال قتادة : فحدثنى محمد بن سيرين أن ذلك قبل أن تنزل الحدود) .

(٢) الفصيل : هو ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمه .

(٣) خ زيادة : (قال جالينوس : إن لبن اللقاح ينفع من نوع الاستسقاء الزقى والطبلى ، ويصلح الكبد الفاسدة ، ويفتح سددها ، ويحلل غلظها ، وينفع الأورام التى يئول أمرها إلى الاستسقاء — إلا بعد استحكام الماء — فإذا استحكم الماء ، فاسقه اللبن إن لم يكن به حمى ، بسكر العسل)

(٤) ل : يلتفت .

اللَّبن مضادةٌ لعلاج الاستسقاء . واعلم أنَّه دواءٌ نافع ، لمـا فيه من الجِلاء برفق ، وبما فيه من خاصيَّةٍ ، وأن هذا اللَّبَنَ شديدُ المنفعة ، فلو أن إنسانا أقام عليه بدَل الماء والطعام ، لشفي به . وقد جرَّب ذلكَ قومٌ دُفِعُوا إلى بلاد العرب ، فقادتْهم الضَّرورة إلى ذلكَ فعُوفُوا . قال : وأنفعُ الأبوالِ بوْلُ الجمَلِ الأعرابىّ ، وهو النَّجيب[(١)] .

قال المؤلف : وفى هذا الحديث دليلٌ على طهارةِ أبوالِ الأبِل ، وحُجَّةٌ المالـكية وغيرهم فى طهارةِ بول ما يؤكلُ لحمُه ؛ واحتج به من يرى نجاسَتَهاَ بجواز[(٢)] التداوى بالمحرَّماتِ للضرورة . والله أعلم .

و « سَمَل » ، ويروى سَمَر بالراء ؛ فمعنى سملَها: فقأَها بشوكٍ أو غيره . قال أبو ذؤيب[(٣)] :

والعَيْنُ بعدَهُمُ كأنَّ حِدَاقَها ... سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهْىَ عُورٌ تَدْمَعُ

ومعنى سَمَرَها: كحلها بمسامير مُحْمِية . وقيل: هما بمعنى واحد ، والرَّاء تُبْدَلُ من اللام . والله أعلم .

الحديث الحادى عشر

عن سهل بن سعد الساعدىّ[(٤)] قال: « لَمَّـا كُسِرَتْ عَلَى رَأْسِ رسولِ اللهِ صلّى

---

(١) النجيب : من الإبل : القوى البنية النشيط .
(٢) خ : فى جواز .
(٣) أبو ذؤيب الهذلى : هو خويلد بن خالد ، جاهلى إسلامى ، كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلى . خرج مع عبد الله بن الزبير فى مغزى نحو المغرب ، فمات ، فدلاه عبد الله بن الزبير فى حفرته . ويقول صاحب الأغانى إنه مات بمصر . (الشعر والشعراء ج ٢)
(٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الأنصارىّ : مات بالمدينة سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة . « الخلاصة » .

الله عليه وسلم البيضة ، وأدمي وجهه ، وكسرت رباعيته ، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل الدم ، وكان علي يختلف بالماء في المجن ، وجاءت تغسل الدم عن وجهه، فلما رأت فاطمة عليها السلام الدم يزيد كثرة مع الماء ، عمدت إلى حصير ، فأحرقتها وألصقتها على جرح النبي صلى الله عليه وسلم ، فرقأ الدم » . أخرجاه في الصحيحين .

قال المؤلف : المراد هنا بالحصير : المعمول من البردي . والبردي : ورق نبات ينبت في المياه ، يكون في وسطه عسلوج طويل أخضر مائل إلى البياض ، ولرماده فعل قوي في حبس الدم، لأن فيه تجفيفاً قوياً وقلة لذع ، فإن الأدوية القوية التجفيف ، إذا كان فيها لذع هيجت الدم وجلبته ، وهذا الرماد إذا نفخ وحده مع الخل في أنف الراعف ، قطع رعافه . قال ابن سينا رحمه الله : ينفع من النزف ويمنعه ، ويذر على الجراحات الطرية فيدملها ، والقرطاس المصري كان قديماً يعمل منه ، ومزاجه بارد يابس ، ورماده نافع من أكلة الفم ، ويحبس نفث الدم ، ويمنع القروح الخبيثة أن تسعى . والمجن : الترس الذي يستتر به ، ومنه سميت الجن جناً لاستتارهم عن أعين الناس ، والجنة جنة لاستتارها بالأوراق .

الحديث الثاني عشر

عن عطاء بن أبي رباح [1]. قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح القرشي . قيل إنه حج أكثر من سبعين حجة ، قال حماد بن سلمة : حججت سنة مات عطاء سنة أربع عشرة ومائة . وقال ابن سعد : كان ثقة عالماً كثير الحديث ، انتهت إليه الفتوى بمكة . « الخلاصة »

الجنةِ ؟ فقُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : هذه المرأةُ السَّوداء ، أَتَتِ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم فقالتْ : إنى أُصْرَعُ ، وَإنى أَتَـكَشَّفُ ، فادْعُ اللهَ لى . قال «إن شئْتِ صَبَرْتِ ولكِ الجَنَّةُ ، وإنْ شئْتِ دعوتُ اللهَ لكِ أَنْ يُعافيكِ ، فقالَتْ : أَصْبِرُ ، فقالت : إنى أتَـكَشَّفُ ، فادْعُ اللهَ أَنْ لا أَتَـكَشَّفَ ، فدعَا لها» . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : الصَّرْعُ : عِلَّةٌ تمنعُ الأعضاءَ النفسيَّةَ عن أفعالِ الحسِّ والحركةِ والانتصابِ منعا غيرَ تام ، وسَببهُ فى الأكثر خِلْطٌ غليظٌ لزجٌ ، يسدُّ منافذَ بطُونِ الدِّماغ سَدَّةً غير تامَّة ، فيمنعُ نُفوذَ الحسِّ والحركةِ فيه وفى الأعضاء نفوذا تاما ، من غير انقطاع بالـكليَّة ، وقد يكونُ لأسبابٍ أخرى ، كريحٍ غليظةٍ تَحْتَبِسُ فى منافذِ الروح ، أو بخارٍ ردىء مرتفع إليه من بعض الأعضاء ، أو كيفيَّة لاذِعة ، فينقبضُ الدماغُ لدفع المؤذِى[1] ، فيتبَعهُ تشنُّجٌ فى جميع الأعضاء ، ولا يمكنُ أن يبقى الإنسانُ منه منتصبا ، بل يسقط ويظهَرُ من فيه الزَّبَدُ غالبا .

والقدماء كانوا يسمون الصَّرْع : المرضَ الإلٰهى ؛ فبعضُهم سماه كذلك ، لأنه رأى أن هذه العلَّة من الجن . وأفلاطون يجعلُ علة هذه التسميةَ لِـكَوْنِ هذه العلة تحدثُ فى الرأسِ ، فتضرُّ بالجزء الإلٰهى الظاهرِ ، الذى مسكَنُهُ الدماغ . ذكر ذلك جالينوس في المقالة الرابعة من شرحه لطيماوُس . وهذه العلةُ قد تُعدُّ من جملةِ الأمراضِ الحادَّةِ ، باعتبارِ وقتِ وجود النَّوْبَةَ خاصَّة ، وقد تُعدُّ من جملة الأمراضِ المزمنة ، باعتبارِ طول مكثِها وعسر برئها ، لاسيّما لمنْ جاوزَ فى السنِّ خمسا وعشرينَ سنة ، لِعلةٍ فى الدماغ ، وخاصَّةً فى جوهره ، فإنَّ صَرْعَ هؤلاء يكونُ لازما ، وقد قال أبقراط : إن الصرعَ يبقى فيهم إلى أن يموتوا .

---

(١) ل : المودى .

ولما كانت هذه العلة من الأمراضِ الرديئةِ العسيرةِ البرء ، وكانتِ المرأة المذكورةُ تجدُ من الألم المذكور المشقةَ والانكشافَ ما ذكِرَ فى الحديث ، وعدَها النبىّ صلى الله عليه وسلم الجنّة ثواباً لما تجدهُ من ذلك .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن شئتِ دعوتُ الله لكِ أن يُعافيكِ » ، دليلٌ على أن الدعاء يقومُ فى معالجةِ بعضِ الأمراضِ مقامَ الدواءِ الشّافى ، لاسيّما من الأنبياء والصالحين ، فتكونُ بركتهُ أعظمَ ، وفعله فى النفس أقوى[(١)] ، وفى فعلِ القُوَى النفسية ونفعها للأمراض العَجَب العُجاب .

واعلم أن الأدويةَ النافعةَ من هذا المرضِ منها عقاقيرُ وتعاويذُ وخواصٌ ، وغيرُ ذلك ، ورأيتُ أنْ أودِعَ شيئا من الخواصِّ النافعةِ منه فى هذا الكتاب .

قال الرّازى فى كتاب خَواصِّه : أَصبتُ فى اختيارات حنين ، أن ممّا يُضادُّ الصَّرْعَ بخاصيَّة عجيبة فيه ، أنْ تتّخِذَ سيرا من جلدِ جبهة حمار ، ويُلْبَسَ السّنةَ كلَّها ، ثمّ يُجَدَّدَ فى السنةِ المقبلةِ ، فإنّه يحجبُ الصَّرْعَ البتّة . وفى كتاب يُنسب إلى [هرمس] أنه إنِ اتُّخِذَ خاتَم من حافرِ الحمارِ الأيمنِ ، ولبِسَه المصروعُ لم يُصْرَعْ . قال [جالينوس] : أصل « الفاوينا »[(٢)] إذا شُدَّ فى شىء ، وعُلِّقَ على الصبيان الذين يُصرعون شفاهم ، وقدِ امتحنتُ ذلك وجربْتُه .

وقال المؤلف : (الفاوينا) : هو عود الصليب ، وهو نوعان ذكرٌ وأنثى ، والنافعُ منه بالتعليق للصرع هو الأنثى خاصة ، وزعَم قوم : إنْ قُطِعَ

---

(١) ل : وانفعاله النفس عنه أقوى .

(٢) كذا فى ل ، وخ — وفى تذكرة داود : الفوانيا . ويقال عود الصليب والكهينا . وفى المغرب : ورد الحمير نبت دون ذراع وورق ، له فوائد عظيمة وخطيرة .

[العودُ[(١)]] بحديد أبطلَ منه هذه الخاصيّة، وإذا تُدخّن بقشرِهِ نفعَ مِنَ الصَّرعِ والجنُون، وإن دُقّ وشُدّ في خرقةٍ واستُنشق، نفعهم، وهذه خاصيّة فيه، والله أعلم.

قال ابنُ سينا: إنّ أوّلَ بطنِ الخطّاف إذا شُق وُجِدَتْ فيه حصاتان: إحداهما ذاتُ لون واحد، والأخرى ذاتُ ألوان كثيرة، إذا جُعلتا في جِلدِ عِجْل، قبلَ أنْ يُصيبَهُ ترابٌ، ورُبِطَ على عَضُدِ المصروع أو رقبتِهِ، انتفع به، قال قد جرّبتُ ذلكَ، وأبرأ الصَّرْعَ. قال (دِيسقوريدوس): إذا شُويَتْ كبدُ الحمار وأُكِلَتْ على الرِّيق، نفعتِ المصروعين. ويقالُ إنّ الزوائدَ الظّاهرةَ قربَ رُكَبِ الخيل وحوافرها، إذا دُقتْ وسُحِقَتْ وشُربتْ بالخل، أبرأتْ مِنَ الصرع. وإن حوافِرَ الحمير إذا أحرِقتْ وشُربَ منها أياما كثيرةً وزْنَ مِثقال ونصف في كل يوم، نفعت المصروعين. قال البصريّ: حِرَازُ الخيل، وهو الشيء الصّلبُ النابتُ على الحوافر، إذا دُقّ وشُربَ مع الخمر، نَفعَ من الصّرع. قال أرسْتَطَاليس: من تقلد بحجر الزُّمُرُّدِ أو تختم به، دَفَع داء الصّرع عنه، إذا كان لِبْسُه لَهُ قبلَ حدوثِ الدّاء به[(٢)] ... ومنْ قِبَلِ هذا صِرْنا نأمُرُ الملوكَ أنْ تعلقهُ على أولادها عند ولادَتِهم، لِيَدْفَعَ دَاء الصرع عنهم. قال (ديسقوريدوس): أصنافُ الزَّبَرْجُدِ كلها ــ وهو الزُّمُرُّدُ ــ يَصلحُ لأنْ يُعلقَ على الرّقبة وعلى العَضُد للتعْويذِ، وعَلَى الفخذ لسرعة الولادَة.

---

(١) إضافة من المحقق.

(٢) ل: الدابة – وفي خ كما صححناها

الحديث الثالث عشر

عن سعيد بن جُبير،(١) عن ابنِ عباس، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «الشِّفَاءُ فى ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نَارٍ. وَإِنَّمَا أَنْهَى أُمتِى عَنِ الكَىِّ». أخرجه البخارى(٢). وفى رواية عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فى الْعَسَلِ والحَجْمِ الشِّفَاءُ»(٣).

قال المؤلف: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن المازرىّ: وذلك أنّ سائرَ الأمراض الامتلائية إمّا أنْ تكون دموية، أو صفراوية، أو بلغمية؛ أو سوداوية؛ فإن كانت دموية فشفاؤها إخراج الدم، وإنْ كانتْ من الثّلاثةِ أقسامِ الباقية، فشفاؤها بالإسهالِ الذى يَليقُ بكلّ خلطٍ منها، فكأنه صلى الله عليه وسلم نبّه بالعسلِ على المُسْهلات، وبالحجامة على الفَصْد. قال: وقد قال بعضُ النّاس إنّ الفَصْدَ قد يَدْخُلُ فى قوله صلى الله عليه وسلم: «شَرْطَةُ مِحْجَم»؛ فإذا أعياهُ الدّاء فآخِرُ الطبّ الكىّ». فذكَرَهُ صلى الله عليه وسلم فى الأدوية، وحيث لا يَنفعُ الدواء المشروب. وقوله «وَإِنَّمَا أَنْهَى أُمّتِى عَنِ الكَىّ». وفى الحديث الآخر: «وما أُحِبُّ أنْ أَكْتَوِى»: إشارةٌ إلى أن يؤخّرَ العلاجَ به، حتى تدْفعَ الضّرورةُ إليه، ولا يُوجَدُ الشفاء إلاّ فيه، لِمَا فيه من استعجالِ الألمِ الشّديد فى دفع ألمٍ قد يكونُ أضعفَ من ألم الكىّ. إلى هنا انتهى كلام المازرى.

قلت: قوله صلى الله عليه وسلم: «الشفاء فِي ثلاثٍ... الحديث» لِأنّ الأمْرَاضَ المِزاجيّة: إمّا أن تكونَ بمادّةٍ أو بغير مادّة، والمادّيّة منها: إمّا

---

(١) هو سعيد بن جبير الوالبى الكوفى الفقيه، أحد الاعلام. قتل سنة خمس وتسعين كهلا، قتله الحجاج، فما أمهل بعده. «الخلاصة».

(٢،٣) صحيح البخارى.

حارَّةٌ أو باردةٌ أو رطبةٌ أو يابسة أو ما يَتركَّبُ منها، وهذه الكيْفيّاتُ الأربع، منها كيفيّتان فاعلتان: هما الحرارةُ والبرودة، وكيْفيّتان منفعِلتَانِ، هما الرُّطوبةُ واليبُوسَة؛ ويلزمُ مِنْ غَلبَةِ إحدى الكيْفيّتيْن الفاعلتَيْن، استِصْحاب كيفيةٍ مُنْفعِلةٍ معَها، ولذلك كان كلُّ واحدٍ من الأخلاطِ الموجودة في البدَنِ وسائرِ المركبات ذَا كيفيّتَيْن: فاعلة ومُنْفعِلَة، فحصلَ من ذلك أصلُ الأمراضِ المزاجيَّةِ، وهي التابعةُ لأقوى كيفيَّاتِ الأخلاطِ التي هي الحرارة والبرودة، فجعلَ كلامه صلى الله عليه وسلم في أصْلِ مُعالجَةِ الأمراضِ التي هي الحارَّةَ والبْاردَةُ، عَلَى طَريقِ التّمْثِيلِ، فإنْ كانَ المرضُ المادىّ حارًّا عالَجْنَاهُ بإخْرَاجِ الدَّمِ بالفَصْدِ أوْ بالْحِجامَةِ، لأنّ في ذَلِكَ اسْتِفرَاغًا المادَّةِ، وتبرِيدًا لِلْمزَاجِ، وإن كان باردا عالجناه بالتسخين، وذلك موجود في العسل، وَإنْ كانَ يحتاجُ مع ذلك إلى استفراغِ المادةِ الباردة، فالعسلُ أيضا يفعلُ بما فيه منَ الإنضاج، والتقطيع، والتلطيفِ، والجلاء، والتليين، فيحصلُ بذلك استفراغُ تلك المادة برفقٍ وأمْنٍ مِنْ نِكَايَةِ المُسْهلاتِ القوية. وأما الكىُّ فلأنّ كلَّ واحد من الأمراض المادِّية إما أن يكون حادا، فيكون سريعَ الانقضاء لأحدِ الطرفيْن، فلا يحتاجُ إليه فيه، وإما أن يكون مزمنا، وأفضلُ علاجه بعدَ الاستفراغ: الكىّ في الأعضاء التي يجوز الكىّ فيها، لأنه لا يكونُ مزمنا إلا من مادةٍ باردةٍ غليظة، قدْ رسَخَتْ في العضْو، وأفْسدَتْ مزَاجَهُ وأحالَتْ جميعَ ما يصلُ إليه إلى مُشابهةِ جوهرها، فتَسْتَفحِلُ في ذلك العضْوِ فتُسْتَخْرَجُ بالكىِّ تلك المادةُ من ذلك المكان الذى هىَ فيهِ، بإفناء الجزْء النارى الموجودِ، بالكى لتلك المادة. فعلمنا من هذا الحديث أصلَ مُعالجة الأمراض المادِّية جميعِها، كما اسْتَنْبطْنَا مُعالجةَ الأمراضِ السّاذَجةِ من قوله صلى الله عليه وسلم: « إنّ شِدَّةَ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهنّمَ، فابْرُدُوهَا بِالمَاءِ ».

قد سَبق شَرْحُه . وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى رواية أخرى « كتابة آية » ، بدلا من قوله « كية نار » ، فذلك لما اشْتَمَلَتْ عليه كثيرٌ من آيات الكتابِ العزيز من الخواصّ ، والمنافع الشافية لكثيرٍ من الأمراض ، وسيأتى بيان ذلك فى شرحِ الحديث التاسع عشر من الأربعين حديثا الأولى ، وغيره من أحاديثِ الرُّقى المذكورةِ فى كتابنا هذا مُسْتوْفيا إن شاء الله تعالى

الحديث الرابع عشر

فى معنى ما تقدّمه

عن عاصم بن عمر بن قتادة[1] « أنَّ جابرَ بنَ عبدِ الله عادَ المُقنَّع ، ثم قالَ : لا أبرحُ حتَّى تحتجِمَ ، فإنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « فيه شِفاء[2] » . وفى رواية أخرى عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنْ كانَ فى شئ منْ أدْوِيَتِكُمْ أوْ ما تَداوَيتُمْ بِهِ خيرٌ ، فَشَرْطَةُ مِحْجم ، أو شَرْبَةُ عَسَل ، أوْ لَذْعَةُ نار تُوافقُ الدّاء ، وَمَا أُحِبُّ أنْ أَكْتَوِيَ » أخرجاه فى الصحيحين[3] .

قال المؤلف : تقدّمَ الكلامُ فى العسل ومنافِعِه ، وأمّا الحِجامة فإنّها تُنقّى سطحَ البَدن أكثر مِن الفصد ، والفَصْدُ لأعماق البَدن أفضل ، وهى تَستخرجُ الدّم من نواحى الجلدِ ، وتَصْلح للصّبيان ، ولِمَنْ لايقوى على الفصد وأسلم عاقبه ،

---

(١) هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصارى الظفرى أبو عمرو المدنى . عن أبيه وجابر ، وقد كان له علم بالسير . توفى سنة عشرين ومائة . « الخلاصة » .

(٢) صحيح مسلم . (٣) صحيح البخاري ومسلم .

وسيأتى الكلام فى منافعها مستوفيا عند ذكرى للأحاديث الواردة فيها . والمقنع المذكور فى الحديثِ هو بفتح القاف والنون المشدّدة . والمِحْجَم بكسر الميم وفتح الجيم : الآلة التى يُمتَصُّ وَيُجْمَعُ بها موضِعُ الحجامةِ ، والمرادُ بها هنا الحديدة التى يُشرط بها موضِعُ الحجامة ، ليخرجَ الدم . وأما الكىُّ فعلى قسمين : كىّ بالنار ، وكىٌّ بالزّيتِ المغْلَى ، وقال ابنُ قُتَيْبَة : الكىُّ جنسان : كى الصحيح لئَلا يعتل ، فهذا الذى قِيلَ فيه ، لَمْ يتوكل مَن اكتوى لأنه يُرِيدُ أن يدفع القدرَ به عن نفسِه . الثانى كىّ الجُرْح إذا نَغَل[1] ، والعُضو إذا قطع ، ففى هذا الشفاء ، وأمّا إذا كانَ الكىُّ للتّداوى الّذى يجوزُ أن يَنْجَح ويجوزُ أن لايَنْجَح ، فإنّهُ إلى الكراهةِ أقربُ . وفى الصحيح من حديثِ جابرٍ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بعثَ إلى أبَىّ بنِ كعبٍ طبيباً ، فقطَع له عِرْقاً وكواهُ عليه رواه مسلم وأبو داود . ولما رُمِىَ سعدُ بن معاذ فى أكْحَلِهِ حَسَمهُ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم ورِمتْ ، فحسَمهُ ثانية . وجاء من طريق آخرَ «أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كَوى سَعْدَ بن معاذ فى أكْحله[2] » بِمشقص ، ثم حسَمه سعد بن معاذ أوغيره من أصحابه . وجاء من طريق آخر أنَّ رجلاً من الأنصارِ رماه[3] فى أكْحَلِهِ[4] بمشقص ، فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فكوى[5] . قال أبو عبيدة : المِشقصُ هو نَصْلُ السَّهم إذَا كان طويلاً ليسَ بالعريض . وقال الخليل : هو سهمٌ فيه نَصْلٌ عريض . وقال الجوهرىّ : المِشْقَص ماطال وعَرُضَ ، والمِشْقَصُ بكسر الميم وفتح القاف ، والله أعلم . وأما قوله ثُمَّ حسَمَه ، فالحَسْم

---

(١) نغل هنا : بمعنى فسد : أو فيه شىء من الفساد — ونغل قلبه على فلان : أى أصابته الضغينة عليه .

(٤،٢) ل : الحكلة . (٣) ل — ح : كواه . (٥) زاد المعاد .

أصله القَطع، و إنمَّا أرادبالحسْم أنه قَطَعَ الدَّمَ عنه بالـكَىّ. قال أبو عبيدة «وفَدَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ نُعِتَ له الـكِيُّ، فقالَ أَكْوُوه وأرْضِفوه». قال الرَّضَفُ: الحجارةُ تُسْخَنُ ثم يُـكْمَدُ بها. قال الفَضْل: حدَّثنا سُفيان عن أبى الزُّبير عن جابرٍ قال: «كَواهُ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الحلَـكَة».

وروى نافعٌ أنَّ ابنَ عُمَرَ اكتوَى لِلقَوْة. وعن أبى الزُّبيرِ المـكِّى قال: رأيتُ عبد الله بن عمر بن الخطاب وقدِ اكتوى فى وجهه من اللَّقوَة. وقد روَى أحاديثَ فى النّهى عن الـكىِّ، وفى جواز استعماله، ووجهُ الجمع بينهما: أن النهى عن الـكىِّ لمن كان صحيحا، كما تقدَّم ذكرُه؛ ويَقصِدُ بذلك دوامَ صحتِه، لِيدفع عن نفسه بذلك. وأمَّا إذا كان مريضا، وجزَمَ الأطباء بنفعِه له، فالمستحبُّ استعماله، ومتى حصل التَّرَدُّد كانَ إلى الـكراهةِ أقرَب.

قال الخطّابى: إنما كُوِى سعد، لِيَرْقأَ الدَّمُ من جُرحِه، وخافَ عليه أنْ يُنزَفَ فيهلِكَ؛ والـكىُّ مستعملٌ فى هذا الباب، كما يُـكوَى من تقطَع يدُه أو رجله. فأما النهىُ عن الـكىِّ، فهو أنْ يكتوى طلبا للشفاء، وكانوا يعتقدون أنه متى لم يكتوِ هلك، فنهاهُمْ عنه، لأجلِ هذه النِّيَّة، و قيل إنما نهى عِمرانَ خاصَّةً عن الـكىّ، لأنه كان به ناصور، وكانَ موضِعُهُ خطِراً، فنهاهُ عن كيه، فيشبه أن يكون النهىُ منصرفا إلى الموضعِ المَخُوفِ مِنهُ، والله أعلم.

الحديث الخامس عشر

عن عُبيدِ الله بن عبد الله (١) عن عائشةَ رضى الله عنها، قالتْ: «لَدَدْنا

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى — أبو عبد الله المدنى الأعمى الفقيه أحد السبعة. قال البخارى: مات سنة أربع وتسعين. «الخلاصة».

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأشَارَ أنْ لا تلُدُّونى ، فقلنا : كراهية المريضِ للدَّواء . فلما أفاق قال : (ألَمْ أنْهكُمْ أنْ لا تَلُدُّونى) لا يَبْقَى مِنْكُمْ أحَدٌ إلاَّ لُدَّ ، غيرَ العباسِ ، فإنهُ لم يَشْهَدْكُمْ[1] » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : قال أبو عبيد عن الأصمعىّ : اللَّدود[2] : ماسُقِىَ الإنسان فى أحد شقِىّ الفم ، أُخِذَ من لَدِيدَىْ الوادى : وهما جانباه . وأمَّا الوَجُورُ فهو فى وسَطِ الفم . قال غيره : اللَّدود ، بفتح اللام : هو الذى يُصبُّ فى أحدِ جانبى فم المريض ويسقاه ، أو يُدْخلُ بالأصْبَعِ ويُحَنَّكُ به . قال أبو عبيد : نَرى والله أعلم ، أنه إنما فَعَلَ ذلك عقوبة لهمْ ، لأنهم فعلوه من غير أنْ يأمُرَهُمْ بِهِ

رُوِىَ عنْ أمِّ سَلَمَة أنها كانتْ تحَدِّثُ قالت : « بدَأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمرَضِهِ فى بيتِ ميْمونة ، وكان كلَّما خفَّ عليهِ خَرجَ ، وصلى بالناس ، وكانَ كلما وَجَدِ ثِقَلاً قال : مُرُوا أبا بكر فليُصَل بالناس ، واشْتَدَّ شكوَاه حتى غُمِرَ[3] : من شِدَّة الوجَع ، فاجْتَمَعَ عنده نساؤه وعمُّه العباسُ رضى الله عنهم ، وأمُّ الفَضْل بنتُ الحارث ، وأسماء بنت عُميس ، فتشاوروا فى لَدِّه حين أُغْمِى ، فلَدُّوه وهو مغمورٌ ، فوَجَد النبىُّ صلى الله عليه وسلم حفلاً لَمَّا أفاقَ ، قالَ : مَن فَعلَ هذا بى ؟ هذا عَمَلُ نساء جئْنَ مِن ها هُنا ، وأشارَ بيده إلى أرضِ الحَبَشَةِ ، وكانتْ أمُّ سَلَمَة وأسماء هُمَا لَدَّتاه ، فقالوا يارسول الله خشينا أنْ تكُونَ بكَ ذاتُ الجَنْب ، قال : فِيمَ لَدَدْتمونى ؟ قالوا : بالعُودِ الهِنْدِىِّ

---

(١) صحيح مسلم — والجملة التى بين القوسين لا وجود لها .

(٢) أيضا اللديد — واللدود : وهو دواء يصب بالمسعط فى شقى الفم .

(٣) أى أغمى عليه — فى : ل — خ : غمره . وفى النهاية لابن الأثير : وحديث مرضه : أنه اشتد عليه حتى غمر عليه ، أى أغمى عليه ، كأنه غطى على عقله وستر .

وشىء من وَرسٍ ، وقَطَراتٍ من زيتٍ ، قال : ما كان اللهُ ليعذِّبَني بذلك الدَّاء ثم قال : عَزَمْتُ عليكم : لا يبقى فى البيت أحدٌ إلاّ لُدَّ ، إلاّ عمِّي العبَّاس[1] »

قال القاضى عياض فى تفسير ذلك : فيه مُعاقَبةُ الجانى ، والقِصاصُ بمثلِ ما فَعَلَ . قال بعضُ أهلِ العِلْم : فيه تعزير المتعدى بنحو فعْلِه ، إلاّ أن يكون فِعلاً محرَّما . وفيه أنّ الإشارةَ المُفْهِمةَ كصريحِ العبارة فى نحو هذه المسألة . والله أعلم

قال عبد الرحمن : ولُدَّتْ ميمونة فى ذلكَ اليومِ وكانتْ صائمة ، بقسَم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابنُ عباس رضى الله عنهما : فجعلَ بعضُهم يَلُدُّ بعضا . وكانتْ أمُّ سلَمَةَ تقولُ : لدَدْتُ أسماءَ بنت عُميس ، ولدَّتنى [هى][2] ، وكانتا هُما اللّتان أمرَتَا بِلَدِّه ، ولَدَّتْ ميمونةُ زينبَ بنت جَحش ، ولَدَّتْ زينبُ ميمونة ، ولَدَّتْ عائشةُ صفيةَ بنت حُيَيّ ، ولَدَّتْ صفيةُ عائشة رضى الله عنهم أجمعين .

الحديث السادس عشر

عن عُقْبَةَ بن عامر الجهَنى[3] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تُكْرِهوا مَرْضاكم عَلَى الطّعامِ والشراب ، فإنّ الله عزّ وجلّ يُطْعِمُهُمْ

---

(١) الطب النبوي . (٢) إضافة من المحقق .

(٣) هو عقبة بن عامر الجهنى ، له خمسة وخمسون حديثا ، اختط البصرة ، وولى مصر لمعاوية ، وحضر معه بصفين ، وولي غزو البحر ، وكان فصيحا شاعرا مفوها ، كاتبا قارئاً لكتاب الله عالما ، قال خليفة : مات سنة ثمان وخمسين .

ويَسْقيهم[١] » . رواه ابن ماجة والترمذى

قال المؤلف : ما أغزر فوائدَ هذه الكلمة النبوية : المشتملة على جملٍ من الحكم : حكمٍ إلهيةٍ ، لا سيما للأطباء وخَدَم المرضى . وذلك أنَّ المريض إذا عاف الطَّعامَ أو الشَّراب ، فذلك لاشتغالِ الطبيعةِ بمجاهَدةِ المرضِ : أو لسقوطِ شهوتِه أو نقْصانِها ، أو لضعفِ الدم الحارِّ الغريزيِّ أو خمودِه ، وكيفما كانَ فلا يجوزُ حينئذٍ إعطاء الغذاء فى هذا الحال . واعلم أنَّ الجوعَ إنَّما هو طلبُ الأعضاء للغذاء ، لِتُخْلِفَ الطبيعة به عنها عِوَضَ ما تَحلَّل منْها ، فتَجذب الأعضاء القُصوَى من الأعضاء الدنيا ، حتَّى ينتهى الجذبُ إلى المعدةِ ، فيُحِسُّ الإنسانُ بالجوع ، فيطلبَ الغذاء ؛ فإذا وُجِدَ المرضُ اشْتَغَلَتْ الطبيعة بمادَّتِه وإنْضاجِها وإصلاحِها ، عن طلبِ الغذاء والشراب ، فإذا أُكره المريضُ باستعمال شىء من ذلكَ ، تعطَّلتْ به الطَّبيعةُ عن فِعْلِها ، واشتغلتْ بهضمِه وتدبيرِه ، عَنْ إنْضَاجِ مادَّة المرَضِ ودَفعِه ، فيكونُ ذلكَ سَبَبا لضَرَرِه ، ولا سيما فى أوقات البَحَارِينِ[٢] وضعفِ الدمِ الحارِّ الغريزيِّ أو خموده ، فيكونُ ذلكَ زيادةً فى البليةِ . وتعجيلِ النَّازِلَةِ المُتَوَقَّعة . ولا يجبُ أن يَستعمِلَ فى هذا الوقت إلاَّ ما يَحفظ عليه قوَّتَه ويقوِّيها ، من غير اشتغال مزعج للطبيعة البتَّة ، وذلك يكون بما لَطُفَ قِوامُه من الأشربةِ والأغذية ، واعتدلَ مزاجُه ، كشراب النوفل[٣] والتفاح ،

---

(١) المصابيح ، غريب زاد المعاد .

(٢) البحارين : جمع بحران ، بضم الباء ، وسكون الحاء ، وهو التغير الذى يحدث للعليل دفعة فى الأمراض الحادة . عن التاج .

(٣) فى خ : النوفر — والصحيح (النفل) وهو نبت من جيد البقول أصفر الزهر طيب الرائحة — ويقال إن الخيل تسمن عليه .

والورد الطرى ، وما أشبه ذلك ، ومن الأغذية أمْرَاقُ الفراريج المعدلة المطيَّبة فقط ، وإنعاش قواهُ بالروائح[1] العطرة الموافقة ، والأخبار السارَّة ، فالطَّبيبُ خادمُ الطبيعة ، ومعينها لا مُعيقها .

واعلم أنَّ الدم الجيد هو المغذى للبدن ، وأن البلغم دَمٌ فِجٌّ قد نَضِجَ بعضَ النضج ، فإذا كان بعضُ المرضَى فى بدنه بلغمٌ كثير ، وعُدِمَ الغذاء ، عطفت الطبيعة عليه ، وطَبختهُ وأنضجتهُ ، وصيَّرته دماً ، وغذَّتْ به الأعضاء ، واكتفتْ به عما سواه .

ومعنى الحديث : أن المريض قد يعيشُ أياما بلا غذاء ، لا يعيش الصحيح فى مثلها للسبب المذكور أعلاه ، والطبيعة هى القوةُ المدبِّرة للبدن بإذن الله عز وجل ، الموكلة بحفظه وحراسته مدة حياته

وعلم أنه قد يحتاج فى النُّدرة إلى إجبار المريض على استعمال الطعام والشراب ، وذلك فى الأمراض التى[2] يكون معها اختلاطُ العقل .

الحديث السابع عشر

عن زينب بنت أبى سلمة[3] عن أم سلمة : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ رَأَى فِى بَيْتِهَا جَارِيَةً فِى وَجْهِهَا سَفْعَةٌ ، فقَالَ : اسْتَرْقُوا لَهَا ، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ[4] » . أخرجاه فى الصحيحين .

---

(١) ل : الأراييح — خ : الأرايح . (٢) ل : الذى .

(٣) زينب بنت أبى سلمة المخزومية : صحابية ، توفيت بعد السبعين .

(٤) صحيح مسلم، ورواية الحديث هكذا ... «إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجارية فى بيت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، رأي بوجهها سفعة فقال : بها نظرة ، فاسترقوا لها » يعني : بوجهها صفرة .

قال المؤلف : النَّظْرة : العين ، وصبيٌّ منظورٌ : أصابته العين. قال أبو عبيدة : يقال رجلٌ به نظرة ، أى شُحوب . والنظرة : العيب أيضا ، يقالُ به نظرة وردَّةٌ : أى قبحٌ يرد النظرَ عنه ، ويقال بفلانة ، نظرة فاسْتَرْقوا لها ، يعنى بها عينٌ من الجنِّ أصابتْها . قال الشاعر :

وجاءُوا إليهِ بالتَّعاوِيذِ والرُّقى وَصَبُّوا عليهِ الماءَ مِنْ أَلَمِ النُّكس
وَقالُوا بِهِ مِنْ أَعْيُنِ الجِنِّ نَظْرَةٌ وَلَوْ عَلِمُوا قَالُوا بِهِ أَعْيُنُ الأنس

رُوِىَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أنَّهُ كانَ يعوِّذُ حسَنًا وحُسَيْنًا [بقوله] : أعيذُ كُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّة مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّة ، وَمِنْ كُلِّ عَيْن لامَّة . ويقول : هكذا كانَ أبى إبْرَاهِيمُ يعوِّذُ إسْماعِيل وَإسْحَاقَ [1] » . وفى رواية : « مَنْ قَالَ إذَا أَصْبَحَ : أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّة ، مِنْ كلِّ عَيْنٍ لامَّة ، ومنْ كلِّ شَيْطَانٍ وهَامَّة ، لَمْ يَضُرَّهُ عَيْن ، وَلاَ عَقْرَب [2] » . الهامة : إحدى الهوامّ ذوات السموم ، كالحية والعقرب ونحوها وعينٌ لامة : معناه ذاتُ لَمَم ، وهى التى تصيبُ ما نظرتْ إليه بسوء . وفى الصحيحين ، عن أبى هريرة ، عن النبيِّ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهُ قَالَ : « العين حَقٌّ [3] » . وعن عبد الله بن شدّاد عن عائشة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذِنَ أنْ يُسْتَرْقَى من العينِ » . أخرجاه فى الصحيحين ، و إذا ثبتت الإصابة بالعين ، فعلاجها المشهور هو الرُّقى ، ويكون بالقرآن والتعاويذ والدعاء ؛ وقد يعالج بصفة أخرى ، وهو أن العائن يتوضَّى للمعيون ، و يُصَبُّ ذلك الماء المتوضَّى به على رأس

---

(١) المصابيح للبغوى — والرواية عن ابن عباس .
(٢) الطب النبوي . (٣) صحيحا البخارى ومسلم .

المعيون من خلفه ، وسيأتى الـكلام فى هذا المعنى مستوفيا فى شرح الحديث السادس عشر ، من الأربعين المذكورة فى الباب السابع من هذا الـكتاب

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «القُرْآنُ هُوَ الدَّوَاء» . وأنه قال : « عليكم بالشفاءين : العَسَلِ والقرآن[١] » . وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم، أنه كان يعوذ بهذه[٢] الـكلمات: «أَذْهِبِ البَاس رَبَّ النَّاس، اِشْفِ وَأَنْتَ الشافِي، لاشِفَاء إِلاَّ شِفَاؤُكَ،شفاءً لايُغَادِرُ سَقَماً[٣]» وأنه كان إذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفثُ .

واعلم أن الرُّقَى والتعاويذ وما أشبه ذلك إنما تُفيد إذا أُخِذتْ بالقبولِ وحسن الاعتقاد، وصادفتِ الإجابةَ وفُسحةَ الأجل. وبالجملة ، فإن الرُّقَى والعُوَذ التجاء إلى الله تعالَى، ليهب العافيةَ بسبب سؤاله ، كما يهبها بالسبب الذى وضعه له بالدواء . والرُّقَى جمع رُقْية، تكتب بالياء. قال الخطَّابي: فأما الرُّقَى المنهى عنه ، فهوما كان بغير لسان العرب ، فإنه لايُدْرى ماهو ، فأما إذا كان مفهومَ المعنى، وكان فيه ذكرالله. فإنه مستحبٌّ متبركٌ به . وأما السَّفْعة : فبسينٍ مهملة مفتوحة ، ثم فاء ساكنه وهى الأثر الأسود، فسَّرها بعضُ رواة الحديث بالصفرة ، وفيه نظر. قال الحربى به سَفْعة وسَفْع من الشيطان : أى سواد فى وجهه . قال ابن قتيبة : هى لون يخالف لون الوجه . قال الأصمعيّ : هى حمرة يعلوها سواد . قال ابن خالويه : وفلان به سَفْعة، أى جنون . وفى كِتاب العين: السَّفْعة سواد وشُحوب فى الوجه ، وقيل غير

---

(١) الجامع الصغير . (٢) ل : لهذا .

(٣) صحيح مسلم وصيغة روايته: عن عائشة قالت :« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكي منا إنسان، مسحه بيمينه، ثم قال :» — الحديث .

ذلك . قال أبو عبيد : هو مأخوذ من قوله تعالى : « لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَة » . قال المهدوىّ : هو مأخوذ من سَفَعته النار : إذا غيَّرَتْ وجهه . معناه : لنسوِّدنّ وجهه ، استغنى بذكر الناصية عن الوجه ، قال الشاعر .

في يوم دَجْنٍ يريكَ الليلَ أسفعُه كأنما هو في ظلمائه حَلَكُ

حكى أن معاوية مرض ، فدخل عليه الحسن بن على عليهما السلام يعوده ، فتجلّد معاوية ، وجلس عند دخول الحسن عليه ، وأنشد لأبي ذُؤَيْب :

وَتَجَلُّدِى لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ أَنِّى لِرَيْبِ الدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَعُ

فأتم الحسن البيتين وأنشد :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

التميمة : واحدة التمائم ، وهى التعويذة[١] . وجمعها : تمائم ، ويقال للهيا كل القلائد المكتوب فيها ذلك : تمائم ، قال الشاعر :

بِلاَدٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِى وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرَابُهَا

رُوى عن عمران بن حصين[٢] ، عن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم : أنه قال : «لا رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عينٍ أوْ حُمَةٍ[٣]» . رواه ابن ماجه . قال الخطابىّ : الحمة

---

(١) ل : وهو التعويذ وجمعه .

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعى ، أبو نجيد : أسلم أيام خيبر ، وكان من علماء الصحابة ، وعنه ابنه . « الخلاصة » .

(٣) رواية الحديث فى مسلم : عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، قال : «سألت عائشة عن الرقية؟ فقالت : رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيت من الأنصار فى الرقية من الحمة» . وفى البخارى فقالت : « رخص النبى صلى الله عليه وسلم الرقية من كل ذى حمة » .

سم ذوات السموم، وقد تسمى إبرة العقرب والزنبور حُمة، لأنها مجرى السم. وليس في هذا نفي جواز الرقية في غيرهما من الأمراض؛ لأنه قد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه رَقى بعض أصحابه من وجع كان به، وقال للشفاء بنت عبد الله: عَلِّمِي حَفْصة رُقْيَةَ النملة. وإنما معناه: لارقية أنفع من رقية العين والسّم، وهذا كما يقال: لا فتى إلا عليّ، ولا سيف إلا ذو الفقار. والنملة: قروح تخرج في الجسد تعالج بالرُّقى وغيرها، فتبرأ بإذن الله تعالى. وعن أنس رضي الله عنه: «أنَّ النَّبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم رخَّصَ في الرُّقيَةِ مِنَ الحُمَةِ والعيْنِ وَالنَّمْلَةِ». رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه. وسيأتي الكلام في شرح النملة مستوفيا في الحديث الرابعَ عشر من الأربعين الحديث المذكور في الباب السابع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الحديث الثامن عشر

عن نافع[1] عن ابن عمر، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم، قال: «المُؤمنُ يَأكلُ في مِعًى واحِدٍ، والْكافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أمْعاءٍ»[2]. أخرجاه في الصحيحين. هكذا وجدته في الجَوْزقيّ، وأخرجه الحميديّ في أفراد مسلم

قال المؤلف: قال الشيخ: إن الله سبحانه وتعالى لعنايته بالإنسان، خلق أمعاءه التي هي آلات دفع الفضلات، كثيرة العدد والتلافيف، ليكون للطعام

---

(١) نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو سهيل المدني. قال الواقدي: هلك في إمارة أبي العباس. «الخلاصة».

(٢) الفتح الكبير، في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير

المنحدر من المعدة ، مُسكْث صالح فيها ، ولو جُعلت واحدة ، لانفصل الغذاء سريعا عن الجوف ، واحتاج الإنسان كل وقت إلى تناول الغذاء على الاتصال ، وإلى التبرُّز والقيام للحاجة ، وكان من أحدهما فى شغل شاغل . وعددها بالمعدة سبع والمعدة تشبه قرعة طويلة العنق ، ورأسها الأعلى يسمّى المرىء ، والأسفل يسمّى البواب . ثم ثلاثة أمعاء دقاق متصلة به ؛ فالأول يسمى الاثنى عشر ، لأن طوله فى أكثر الأبدان اثنى عشر أصبعا ، والثانى يسمى الصائم ، لأنه فى أكثر الأوقات يكون خاليا ، والثالث طويل ملتف دقيق يسمى اللفائفى ، ثم ثلاثة غِلاظ : الأعور ، وهو واسع ، وليس له منفذ فى الجانب الآخر ، وفيه يَنْتَن البراز ، والقَوْلُون ، والمستقيم ، وطرفه الشَّرْم .

قال الخطابى : مِعًى[1] ، مكسورة الميم ، مقصورة لاتمد ، ولقائل أن يقول : إن المعدة غير المِعَى ، فكيف عدتم المعدة من جملة الأمعاء ، فنقول : إن العرب قد تحمل أحد الاسمين على الآخر ، طلبا للتَّخفيف ، كقولهم : سُنَّة العمرين : لأبى بكر وعمر ، والقمرين : للشمس والقمر ، والمروتين : للصفا والمروة ، والأسودين : للتمر والماء ؛ ومثله فى كلامهم كثير ومعنى الحديث والله أعلم : إن المؤمن يأكل فى مِعًى واحد ، وهو المعدة ، ولا يستوفى ملأها ، بل يأكل قليلا دون شبعه ، ويؤثر على نفسه ، ويبقى من زاده لغيره ، فيكون ممن قال الله عز وجل فى حقهم : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) والكافر بخلاف ذلك ، أى بشرهه وعدم تسميته ، فلا يكفيه إلا ملؤها جميعها ، وقيل : أراد تسمية المؤمن عند الطعام ، فيكون فيه البركة ، والكافر لايفعل ذلك ، فيشركه الشيطان . وقال

---

(١) قال فى المصباح : المعى : المصران ، و قصره أشهر من المد ، وجمعه : أمعاء ، مثل عنب وأعناب . وجمع الممدود : أمعية ، مثل حمار وأحمرة

بعضهم: إن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ذلك خاصا لرجل بعينه ، على جهة التمثيل ، كان يكثر الأكل قبل الإسلام ، ثم أسلم ، فنقص ذلك . ومعنى الحديث ليس على ظاهره ، وأنه يريد : أن ذلك الرجل أكل عنده قبل أن يسلم سبعة أمثال ما أكل عنده بعد أن أسلم، وهو أحسن ماقيل فى ذلك . وقيل أراد بالمؤمن هنا التام الإيمان ، المعرِضَ عن الشهوات ، المقتصر على سدٍّ خَلَّته

وروى عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر ، فأمر له بشاة ، فحلبت ، فشرب حِلابها ، ثم أخرى حتى شرب حِلاب سبع ، ثم أصبح فأسلم ، فشرب حلاب شاة ، ولم يستتم أخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المُؤمِنُ يشْرَبُ فى مِعًى واحِدٍ ، والكافِرُ يشْرَبُ فى سَبْعَةِ أمْعَاء» أخرجه مسلم ومالك فى الموطأ . وفيه أن المؤمن لايتناول من الغذاء إلا ما لابد منه ، بقدر مايمسك رَمَقه ، ليقتدر به على العبادة ، فيتناول دون شبعه ، لما يتبع الشبع من طلب النوم والراحة الموجِبةِ لقلة العبادة ، التى خلق الإنسان لها ، ومن جهة الطبّ : كلما قل مقدار الغذاء تمكنت الطبيعة من هضمه وإصلاحه ، ودام بذلك صحة البدن وسلامته ، وكذلك يقول الحكماء : الكثرة عدوّ الطبيعة وقال أبقراط : استدامة الصحة تكون بالتحفظ من الشبع ، وترك التكاسل عن التعب . روى عن النبيّ صلّى الله عليه وَسلم أنه قال : « مَا مُلِئَ وِعاءٌ شرًّا مِن بَطْنِ ابْنَ آدَم » وحكى عن ثابت بن قرة : أنَّه قال: راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة الروح فى قلة الآثام ، وراحة القلب فى قلة الاهتمام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

الحديث التاسع عشر

عن أبي سعيد الخُدْرِىّ(١) : «أن قوماً مِن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانو فى سفر ، فمروا بحىٍّ مِن أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فلم يُضيفُوهم ولا قَرَوْهم(٢) فلُدِغَ رجلٌ منهم ، فأتوا أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هل فيكم راقٍ فقالوا : لم تُنزِلونا ولم تقرُونا ؟ لا ، حتّى تجعلُوا لنا شيئاً . قال : فجعلوا لهم قطيعاً من الغنم ، قال : فجعل رجلٌ منهم يقرأ بفاتحة الكتاب ويَرقِى ويتفل ، حتّى برأ ، فأخذوا الغنمَ ، وسألوا عن ذلكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : ومَا يُدْرِيكمُ أنَّها رُقْيَة ؟ كلُوا واضْرِبُوا لِى معَكمُ فِيها بِسَهْم» أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : الرقية واحدة الرُّقاء(٣) . وقد تقدم الكلام فى نفعها وجوازها سيما بأم القرآن ، لما فيها من الإخلاص بالعبودية لله ، والثناء عليه ، وتفويض الأمر إليه ، بالاستعانة به . وقوله « وَمَا يُدْرِيكَ أنّها رُقْيَةٌ » : دليل أن القرآن وإن كان كله مرجوَّ البركة ، فيه ما يختص بالرُّقية دون جميعه . قيل : وموضع الرقية من أم القرآن ، قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لعموم التفويض إليه . ورُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الرُّقى والتَّمائمْ

---

(١) سعد بن مالك بن سنان بن عبد بن ثعلبة بن عبيد بن خدرة ، الخدرى أبو سعيد ، بايع تحت الشجرة ، وشهد مابعد أحد ، وكان من علماء الصحابة . مات سنة أربع وسبعين . «الخلاصة»

(٢) قروهم : منحوهم القرى ، وهو ما يقدم للضيف . وفى الأصل : أقروهم . واللفظة ساقطة من صحيح مسلم .

(٣) الرقاء : غير صحيحة . وجمع رقية : رقى .

شِرْكٌ(١) » . ووجه الجمع بين معنى هذا الحديث والذى تقدمه، وما يذكر بعد من حديث الرُّقَى : أنهم كانوا يخلطون فى الجاهلية برقاهم كلمات من الشرك ، فنهاهم النبىّ صلى الله عليه وسلم لذلك . فإذا سلمت منه فلا بأس بها ، فقد روى مسلم فى أفراده من حديث عوف بن مالك ، قال : « كُنَّا نَرقى فى الجاهلِيَّةِ ، فقالوا يا رسولَ الله كيفَ ترَى فى ذلك ؟ فقال اعرضُوا علىَّ رُقاكم ، ولا بأسَ بالرُّقَى ما لَمْ يكُنْ فِيها شِرْكٌ » . وقد ذكر أيضا فى بعض طرقه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه رجل، فقال : يارسول الله، إنك نهيتَ عن الرُّقَى، وأنا أرْقِى من العقرب فقال صلى الله عليه وسلم : « مَنِ استَطاعَ مِنْكُمْ أنْ يَنفَعَ أخاهُ فَليَفعَلْ(٢) » فيحتمل أن يكون النهى ثابتا ، ثم نسخ ، أو يكون أنهم كانوا يعتقدون منفعتها بطبيعة الكلام ، كما كانت تعتقد الجاهلية . فلما استقرَّ الحق فى أنفسهم ، وارتضوا بالشرع أباحها لهم ، مع اعتقادهم أن الله تعالى هو النافع والضار . أو يكون النهى عن الرُّقَى الكفريّة(٣) دون غيرها كما تقدم . وأما التميمة فيقال أيضا : إنها خرزة كانوا يعلقونها ، يرون أنها تدفع عنهم الآفات . واعتقاد هذا الرأى جهل وضلال إذ لا مانع ولا دافع إلا الله تعالى . وقيل : التميمة قلادة يعلق فيها العُوَذ ، واعلم أن بعض الكلام له خواصّ ومنافع بإذن الله تعالى ، شهدت العلماء بصحته فى كتبهم ، فما ظنك بكلام الله عز وجل الذى كل الخيرات منه أصلها وينبوعها وإليه عوْدها ومرجعها ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى فى كل سورة وآية منه

---

(١) المصابيح .

(٢) صحيح مسلم ، والرواية هكذا : عن أبي سفيان عن جابر قال : كان لى خال يرقى من العقرب ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى ، فأتاه فقال : — الحديث

(٣) أصح من هذا التعبير أن يقال : الرقى المكفرة : أى تكفر مستعملها

منافع وخواص لم يكن في غيرها ، وذلك معروف عند العلماء ، مشهور بين الفضلاء ، لا ينكره إلا الجاهلون . رُوى عن عليّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ الدَّوَاءِ القُرْآن[1] » رواه ابن ماجه . وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنِ اشْتَكَى مِنْكُمْ شيئًا ، أوِ اشْتَكَاهُ أخٌ لَهُ ، فليَقُلْ : رَبُّنَا اللهُ الذى فى السَّماءِ تقدَّسَ اسْمُكَ ، أمرُكَ فى السَّماء والأرْضِ ، كما رَحْمَتُكَ فى السَّماء ، فاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فى الأرْضِ . اغفِرْ لَنَا حُوْبَنَا وَخطَايَانَا ، أنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ، أنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحمَتِكَ ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ ، عَلَى هَذا الوجع ، فيَبْرَأُ بِإذْنِ اللهِ[2] » أخرجه أبو داود . وعن أبى سعيد الخدرىّ : أنَّ جبريلَ عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمّدُ اشتكيت ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ فقال جبريل : « باسمِ اللهِ أرْقيك ، من كلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيك ، ومِنْ شرِّ كلِّ نفسٍ أوْ عيْنِ حاسِدٍ اللهُ يَشْفيك ، باسمِ اللهِ أرْقِيكَ » . أخرجه مسلم والترمذى ، وقوله فى هذا الحديث « لا » ، حتَّى تجْعَلُوا لنَا شيْئاً ، فجعَلُوا لهُمْ قَطيعاً منَ الغَنَمِ » . القطيع : معروف ، وهو الطائفة من الغنم وسائر النَّعم . والمراد به فى هذا الحديث ثلاثون شاة . كذا جاء مبينا فى رواية أخرى : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الطب والرُّقى ، وأخذ أجر معلوم[3] عليه ، وأنه من حِلّ ما يؤكل ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « كلُوا وَاضْرِبُوا لِي معَكُمْ فيها بِسَهْم » وفيه جواز المعاوضة على ترك المعروف ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، لقوله

---

(١) الجامع الصغير . (٢) الترغيب والترهيب

(٣) ل : أجراً معلوماً

استضفناكم فلم تضيفونا ، فمنعوهم معروفهم فى الرّقية إلا بأجر ، مكافأة لهم ، وقوله « اقسِموا واضربوا لى بسهم » قيل إنما قسموها بمرضاة الرّاقى ، إذ كانت الأجرة للراقى وحده ، فقسمها عليهم تبرّعا ومواساةً ومروءة ، وهذا الراقى هو أبو سعيد الخُدرى الرّاوى للحديث ، كذا جاء مبينا فى رواية أخرى . وقيل فى قوله « كلُوا واضرِبوا لِى معَكُمْ فيها بِسَهْمٍ » : إنما قاله تطييبا لقلوبهم ، ومبالغة فى تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه ، والله أعلم .

وأما التّفْل والنفْثُ فقد شرحتهما فى الحديث الثانى من الأربعين الثانية[١] ، فيعلم من هناك

روى عن عبد الله بن مسعود قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، إذ سجد فلدغته عقرب فى أصبعه ، قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « لعَنَ اللهُ العقرَبَ ، ما تدَعُ نَبيًّا وَلا غيْرَهُ إلاّ لدغَتْهُمْ »[٢] . قال : ثمّ دَعا بِإناءٍ فيهِ ماء وَمِلحٌ ، فجَعَلَ يضَعُ مَوْضِعَ اللّدْغَةِ فى المَاءِ والمِلْحِ ، ويَقرَأُ : قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ ، حتّى سَكَنَتْ » . رواه ابن أبى رشيد قيل : إنما رَقى بالمعوِّذات ، لأنهنّ جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلا ، ففيها الاستعاذة من شر ماخلق ، ويدخل فيه كل شىء ، ومن شر النفاثات فى العقد ، وهنّ السواحر ، ومن شر الحاسدين ، ومن شر الوسواس الخنّاس وغير ذلك ، وهذا الحديث فيه تنبيه[٣] على ما فى الملح من النفع للدغة العقرب ، وكثير من السموم . قال ابن سينا : إنه يُضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب ، وكذا ذكره الغافقىّ وغيرهما ، وفيه إثبات علم الطب إذ قاوم السموم الباردة بالأدوية الحارة ، ولما فى الملح من القوة التى تجذب بها السموم وتحللها . وعن أبى أمامة الباهلىّ قال :

---

(١) انظر الباب السابع . (٢) الجامع الصغير . (٣) خ : منها تصحيح هذه الجملة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قالَ حينَ يُمْسِي صلّى اللهُ عَلَى نُوحٍ وعليهِ السلامُ ، لم تلْدَغهُ عقربٌ في تِلكَ اللّيلةِ » . وعن أبي هريرة قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالَ : يارسولَ اللهُ ما لقيتُ مِن عقربٍ لدغتنى البارحةَ ، فقال : أمَا لوْ قُلْتَ حِينَ أمْسَيْتَ : أعُوذُ بِكلِماتِ اللهِ التّامّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ، لمْ يضُرّكَ » أخرجه مسلم ومالك فى الموطأ .

الحديث العشرون

عن عُروة[١] ، عن عائشة رضى الله عنها : أنها كانت إذا مات الميت من أهلها ، اجتمع لذلك النساء ثم تفرّقن ، إلا أهلَها وخاصتها ، أمرت ببُرْمة من تلبينة ، فطبخت ثم صُنعَ ثريدٌ ، فصُبّتِ التلبينة عليها ، ثم قالت : كلن منها ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « التّلْبِينَةُ مَجَمّةٌ لِفُؤادِ المَرِيضِ ، تذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ » . أخرجاه فى الصحيحين[٢] . قال المؤلف : البُرمة قدرة من حجارة ، والتلبين بفتح التاء المثناة والنون : هو الحساء الرقيق، الذى هو فى قوام اللبن، ومنه اشتقّ اسمه . قال الهرويّ : سميت تلبينة تشبيها باللبن لبياضها ورقتها، وهذا هو النافع المرضَى ، وهو الرقيق النضيج ، لا الغليظ النِّيء ، وإذا شئتَ أن تحصى فوائد التلبينة فأحص منافع ماء الشعير ، ولا سيما إن كان بنخالته ، فإنه حينئذ يجلو وينفذ سريعا ويغذّى غذاء لطيفا ، وإذا شُربَ حارًّا كان جلاؤه

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، أبو عبد الله المدنى أحد الفقهاء السبعة وأحد العلماء ، كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن ، ومات وهو صائم سنة اثنتين وتسعين . وكانت ولادته سنة تسع وعشرين . أرخه مصعب .

(٢) البخارى ومسلم .

أقوى ، ونفوذه أسرع ، و إنماؤه للحرارة الغريزية أكثر ، وتمليسه لسطوح المعدة أوفر . والمَجَمَّة بفتح الميم والجيم ، ويقال بضم الميم وكسر الجيم ، والأول أفصح وأشهر ؛ ومعناها هاهنا المريحة : أى تريح الفؤاد ، لأن الغم والحزن يبردان المزاج ، ويضعفان الحرارة الغريزية ، بزيادته فى مادتها ، فيزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن . قال القاضى عياض : التلبينة مجمة : معناه : تسْرُو همّه . وهو كالحديث الآخر «الحساء يسْرُو عنْ فُؤادِ السَّقيمِ (١) » . وفى حديث طلحة رضى الله عنه «أنّ النبى صلى الله عليه وسلم رَمى إلىَّ سفرْجلةً ، وقال دُونكها فإنّها تَجِمُّ الفؤادَ » ، قال عن عائشة : معناه تريحه . وقال غيره : الجَامُّ : المستريح الكامل النشاط ، ومنه قولهم الفرس الجَامُّ . والفؤاد هاهنا : رأس المعدة ، وفؤاد الحزين يضعف باستيلاء اليبس على أعضائه وعلى معدته خاصة ، لتقليل الغذاء ، وهذا الحساء يرطبها ويقويها ، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض ، وكثيرا ما يجتمع فى فم معدته خِلطٌ مراري ، أو بلغمي ، أو صديدي ، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ، ويَسْرُوه ، ويحدِّرُه ، ويمنعه ، و يعدِّل كيفيته ، ويكسر سَورته ، فيريحها لذلك . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالْبَغِيضِ النّافِعِ : التّلبين » . قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحد من أهله لم يُزل البُرْمة عن النار حتى ينتهى أحد طرفيه ، يعنى : يبرأ أو يموت . أخرجه ابن ماجه . وسماه البغيض النافع ، لأن المريض يعافه وهو نافع له . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قيل له إن فلانا وجِعٌ لا يطعَم الطعام ، قال : « عَلَيْكُمْ بِالتَّلْبِينَةِ ، فَحسُوهُ إيَّاها » ويقول :

(١) أى يزيل عنه الغم ، ويبعد الهم .

« والّذِى نفسِى بِيَدِهِ إنّها تغسِلُ بطْنَ أحَدِكم ، كما تغسِلُ إحْدَا كُنَّ وجْهَهَا مِنَ الوَسَخ »

الحديث الحادى والعشرون

عن عمرو بن حُريث[1] يقول: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « الـكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ الّذِى أنزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَلَى بنى إسْرَائيل، وَمَاؤُها شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ » أخرجاه فى الصحيحين[2]

قال المؤلف : الـكَمْأة معروفة ، وهى بفتح الكاف و إسكان الميم ، و بعدها همزة مفتوحة ، وفى تسميتها من جهة العربية أمر غريب ، كمء مفرد ، وكمأة جنس ، بخلاف ماعليه جمهور الكلام ، مثل تمر وتمرة ، وشجر وشجرة ، فإن الهاء المفرد ، وحذفها للجنس . قال ابن الأعرابى: الـكمأة جمع ، واحده : كمء وحكى أبو زيد أن الـكمأة تـكون واحدة وجمعا، وحكى غيره كمأة واحدة وكمأتان وكمآت ، على القياس ، يقال هذا كمء ، وهذان كمآن، وهؤلاء أكمؤ ثلاثة و إذا كثرت فهى الـكمأة . وتكون فى الأرض من غير أن تزرع ، سميت كمأة لاستتارها فى الأرض، يقال: كمى الشهادة : إذا أخفاها وسترها ، و يقال للرجل الشجاع الذى يخفى شجاعته كمى: أى يسترها، والجمع كماة والكمأة : أصل مستدير لاورق له ولا ساق، وتكونه مابين تكوُّن النبات والمعدن ، ومادته من جوهر أرضى بخارى محتقن فى الأرض [قرب] سطحها، يحتقن ببرد الشتاء، وتنميه رطوبة أمطار الربيع، فيتكون مندفعا نحو

---

(١) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبيد الله بن عمر بن مخزوم أبو سعيد الـكوفى صحابى ، وعنه ابنه جعفر والحسن العرنى . قال البخارى : توفى سنة خمس وثمانين . « الخلاصة »

(٢) البخارى ومسلم .

سطح الأرض وتتجسد ، ولذلك شبه بالجدرى ، لأن الجدرى مادته رطوبة رطبة دموية تندفع عند سن الترعرع فى الغالب ، وفى ابتداء استيلاء الحرارة وإنماء القوة . وهى مما يوجد فى الربيع ، ويؤكل نيئا ومطبوخا ، وتسمى نبات الرعد ، لأنها تكثر بكثرته وتنفطر عنها الأرض ، وهى من أطعمة الأعراب ، وتكثر بأرضهم ، وأجودها ما كان بأرض رملية قليلة الماء . وهى أصناف ، منها صنف قتال يضرب لونه إلى الحمرة ، يحدث لآكله الاختناق ، وهى باردة رطبة فى الدرجة الثانية ، رديئة للمعدة ، بطيئة الهضم ، إذا أدمنت أورثت القُولنج(١) والسكتة والفالج(٢) ، ووجع المعدة ، وعسر البول . واليابسة أضرُّ من الرطبة ، فان أحبَّ أحد أكلها فليدفنها فى الطين المرطب ، وتسلق بالماء والملح والصعتر ، وتؤكل بالزيت ، والمُرِّى(٣) والتوابل الحارة ، لأن جوهرها أرضى غليظ ، وغذاؤها ردىء ، لكن فيها جوهر مائى لطيف ، يدل عليه خفتها ، والاكتحال بمائها نافع من ضعف البصر والرمد الحادّ ، وما أحسن قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الكَمْأَةَ من المنِّ الذى أنزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَلَى بَنى إسْرَائيل » ! فهذا يدل على أنه لم يكن المنزل على بنى إسرائيل هذا المنّ الحلو فقط ، بل أشياء كثيرة من النبات التى توجد عفوا من غير صنعة ولا حرث ، فإن المنّ هو اسم مصدر مَنّ كالمنة ، سمى به ؛ فكل مارزقه الله للعبد عفوا من غير كسب ، فهو منّ من الله تعالى محض لم يشبه كسب العبد ، ولم يكدره تعب العمل ، فهو لذلك منه خالص . قال أبو عبيد فى جماعة من العلماء : إنما قال الكمأة من المنّ : تشبيها بالمن المنزّل من السماء ، لأنه كان ينزل على

---

(١) هو المغص . (٢) هو الشلل .

(٣) المرى : من الأدوية القديمة التى استخرجها الكلدانيون والقبط .

بنى إسرائيل ، فيجمعونه من غير تعب ولا كُلفة ، ولا زرع بزر ولا سقى والكمأة[١] .. وقد كان قولهم أيام التيه الكمأة، وهى تقوم مقام الخبز، والسلوى إدامهم ، والمن ، وهو هذا الطل الحلو حلواؤهم ؛ فحينئذ كمل عيشهم .

وأما قوله وماؤها شفاء للعين، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أن ماءها يخلط فى الأدوية التى تعالج بها العين ، لا لأنها تستعمل بحتا . ذكره أبو عبيد . الثانى : أنه يستعمل بحتا . رُوِى عن أبى هريرة قال : أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسة أو سبعة، فعصرتهن وجعلت ماءهن فى قارورة ؛ فكحلت به جارية لى فبرأت ، رواه الترمذى . الثالث : أنه أشار إلى الماء الذى يتكون به ، وهو أول مطر ينزل إلى الأرض . ذكره ابن الجوزى ، والثانى أصح . قال ابن سينا : وماؤها كما هو يجلو العين ، مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم . واعتراف عن مسيح الطبيب وغيره

الحديث الثانى والعشرون

عن ابن سيرين[٢] : أنه سمع أنس بن مالك يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « دَواء عِرْقِ النَّسَا أَلْيَةُ شاةٍ أعرابيةٍ ، تُذَابُ ثم تُجزَّأُ ثلاثةَ أجزاء ، ثم تُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ ، فى كلِّ يومٍ جُزْءٌ » . أخرجه ابن ماجه[٣] .

قال المؤلف : عرقُ النَّسا : وجع يبتدئُ من مفصِل الورك ، وينزل من خلف

---

(١) فى خ زيادة « كذلك » .

(٢) محمد بن سيرين الأنصارى ، يروى أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما . مات سنة عشر ومائة . « الخلاصة » .

(٣) فى سننه ، الطب النبوى .

على الفخذ ، وربما امتدّ على الكعب . وكلما طالت مدّته زاد نزوله ، وتهزل معه الرِّجلُ والفخذ . وهذا الحديث فيه معنى لغوىّ ، وَمعنى طبىّ : فالأول إجازة قول من سمّى هذا المرض عرق النّسا ؛ لأن النّسا هو العرق نفسه ، فيكون من باب إضافة الشىء إلى نفسه . والثانى : أن النّسا هو المرضُ الحالُّ بالعرق المذكور ، فيكون من باب إضافة الشىء إلى غيره ، وسُمِّىَ بذلك لأن ألمه يُنسِى ما سواه ، وهذا العرق يمتدُّ من مَفصِل الورك ، وينتهى إلى آخر القدم من وراء الكعب ، من الجانب الوحشى، فيما بين عظم الساق والوتر. وأما المعنى الطبىّ فإن هذه المعالجة تصلح للأعراب، والذين يعرض لهم هذا المرض من يبس ، وقد ينفع ما كان عن مادة غليظةٍ لزجة، بالإنضاج والإسهال ، فإن الألْيَة تُنضِج و تلين وتسهل : وقصد بالشاة الأعرابية قلّة فضولها،وصغر مقدارها، ولطف جوهرها، ولمكان رعيها أعشاب البر الحارة ، كالشيح والقيصوم ونحوهما . وقد روى هذا الحديث من طريق آخر، فقال: «ألْيَةُ كبْشٍ عربىّ ، ليْسَتْ بالصَّغِيرةِ ولا الكبِيرةِ » . قال حبيب قال أنس: فلقد نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكثر من ثلاثمائة كلهم يبرءون. ورُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم: «إنَّ إسْرائيلَ اشْتكى عِرْقَ النَّسا،فترَكَ ألْبَانَ الإبِلِ ولُحومَها ، فحرَّمَها على نفسِهِ فبرأ »

الحديث الثالث والعشرون

عن أسماء بنت عُمَيس [1] قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) هى أسماء بنت عميس الخثعمية، من المهاجرات الأول وأخت ميمونة لأمها . هاجرت مع جعفر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها أبو بكر ثم على وماتت بعده — وعنها ابناها عبد الله وعون ابنا جعفر . « الخلاصة »

« بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ ؟ قالت : بالشُّبْرُمِ ، قال : حارٌّ جارٌّ ؛ ثم قالت : استمشَيْتُ بالسَّنا ، فقال : لَوْ كانَ شَيْءٌ يَشْفِي مِنَ المَوْتِ كانَ السَّنَا » . أخرجه ابن ماجه والترمذى»[1]

الحديث الرابع والعشرون

فى معنى الإسهال وشرحهما معا

عن إبراهيم بن أبى عبلة[2] ، قال : سمعت عبد الله بن أم حزام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين ، يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ ، فإنَّ فيهِمَا شِفَاءً مِنْ كلِّ دَاءٍ إلاَّ السَّامَ قيل يا رسول الله : وما السامُ ؟ قال : المَوْتُ » . أخرجه ابن ماجه وغيره .

قال المؤلف : هذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحبة السوداء : إن فيها شفاء من كل داء إلا السام : أى من أكبر الأدواء . وقد تقدم ذلك فى الحديث الخامس . والسنا : ورق نبات حجازى ، أفضله المكىّ . قال أبو حنيفة الدينورىّ : السَّنا مقصور ، يُثنّى سنوان . قال الفراء : ويمدّ أيضا ، وهو هذا الذى يُتداوى به ويسمى السَّنا المكىّ . قال بعض الرواة : للسَّنا حَمْلٌ [أبيض] إذا يَبِسَ فحركته الريحُ ، سمعتَ له زَجَلا . والواحدة سناة ، وأنشد لجميل :

صَوْتُ السَّنَا هَبَّتْ بِهِ عُلْوِيَّةٌ ... هَزَّتْ أَعالِيَهُ بِسَهْبٍ مُقْفِرِ[3]

---

(١) الترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه .

(٢) إبراهيم بن أبى عبلة : شمر بن أبى اليقظان العقيلى ، توفى سنة اثنتين وخمسين ومائة بفلسطين . « الخلاصة » .

(٣) العبارة من كلام أبى حنيفة الدينورى (اللسان : سنا) . البيت فى (اللسان : سنا) ونسبه إلى حميد بن ثور ، (ديوانه طبعة دار الكتب ص ٩٦) .

والسنا : دواءٌ شريف مأمون الغائلة ، قريب من الاعتدال ، حارٌّ يابس في الدرجة الأولى، يُسهل الصفراء والسوداء، ويقوِّي جِرمْ القلب ، وهذه فضيلة شريفة فيه . وخاصته النفع من الوسواس السوداويّ ، ومن الشُّقاق العارض في البدن ، وتفتُّح العضل ، وانتشار الشعر ؛ ومن الصداع العتيق والجرب والبثور والحِكة والصرْع ، وشُرب مائه مطبوخا أصلح من شربه مدقوقاً ، ومقدار الشربة منه إلى ثلاثة دراهم ، ومن مائه مطبوخا إلى خمسة دراهم . وإن طبخ معه شيء من زهر البنفسج والزبيب الأحمر المنزوع العجَم ، كان أصلح . قال الرازيّ : السنّا والشاهترَج يُسهلان الأخلاط المحترقة ، وينقّيان من الجرب والحكة ، والشربة من كل واحد منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم . ومعنى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم « بِماذا كنتِ تَستَمْشِين » أى تستسهلين ؛ لأن المسهول يكثر المشى والاختلاف للحاجة ، فيكون ذلك كناية عن الإسهال . وروى مكان تستمشين: تستشفين بالفاء، أى تلتمسين به الشفاء: وذلك معروف . وأما السنوت فقد اختلفوا فيه على ثمانية أقوال: أحدها: أنه العسل، والثانى: رُبّ عُكة السمن، تخرج خططا سوداً على السمن ــ حكاهما عمر بن بكر السكسكى . الثالث : حبٌّ يشبه الكمون ، وليس به ، قاله ابن الأعرابيّ . الرابع : أنه الكمون الكرمانيّ . الخامس : أنه الرازيانج ، حكاهما أبو حنيفة الدينورى عن بعض الأعراب ، السادس : أنه الشِّبِت . السابع: أنه التمر، حكاهما أبو بكر السُّنى. الثامن: أنه العسل الذى يكون فى زِقاق السمن . حكاه عبد اللطيف البغداديّ ، وهو أجدر بالمعنى ، وأقرب إلى الصواب ، أى يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ، ويلعق ، فيكون أصلح من استعماله مفردا ، لما فيها من إصلاحه وإعانته على الإسهال ،

وقوله صلى الله عليه وسلم عن الشُّبْرم إنه حارٌ جارٌّ : أى حار جدا، والجار بالجيم : الشديد الإسهال . قال أبو حنيفة الدينورى . و يروى حار يار : بالياء، قال أبو عبيد وأ كثر كلامهم بالياء . و يارٌ وجارٌ ونحوهما : اتباع يستعمل للتأكيد ، كما يقال حسنٌ بسن ، وقبيح شقيح . قال أبو على صاحب الأمالى : ومذهبهم فى الإتباع أن يكون أواخر الكلم على لفظ واحد، مثل القوافى والسجع ، كقولهم : حسنٌ بسَن : فمعناه حسن كامل الحسن ، و يقال حسن قسَن ، يجوز أن تكون النون زائدة . والقسُّ تتبع الشىء وطلبه ، فكأنه حسن مقسوس أى متبوع مطلوب[1] ؛ وحارٌّ جار؛ فالجار الذى يجرُّ الشىء يصيبه ، من شدة حرارته ، كأنه ينزعه و يسلخه . و يمكن أن يكون يار — لغة فى جار — كما يقال : الصهاريج والصهارى ، وصهريج وصهرى لغة تميم . وقبيح شقيح ، فالشقيح مأخوذ من قولهم : شَقَح البُسْر — إذا تغيرت خضرته بحمرة أو صفرة ، وهو حينئذ أقبح ما يكون ، وتلك البسرة تسمى شقْحة . والشُّبرم من جملة الأدوية اليَتُوعية ، وهو قشر عروق شجيرة، أجوده المائل إلى الحمرة، الخفيف الرقيق، الذى يشبه الجلد الملفوف ، ومزاجه حار يابس فى الدرجة الرابعة ، وهو من جملة الأدوية التى ترك الأطباء استعمالها ، لخطرها وشدة إسهالها

الحديث الخامس والعشرون

عن قتادة[2] ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال : « رخص رسولُ الله

---

(١) ويقال قسس الإبل والماشية : أى أحسن رعيها — وقسس وتقسس الشىء تتبعه — وتقسس أصواتهم بالليل : أى تسمعها .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى أبو الخطاب البصرى الأكمه ، أحد الأئمة الأعلام . توفى سنة سبع عشرة ومائة . « الخلاصة »

صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزُّبير بن العوَّام رضى الله عنهما فى لُبْسِ الحرير، لحكة كانت بِهِما». أخرجاه فى الصحيحين. وفى رواية: «أن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوَّام رضى الله عنهما شَكيا القَملَ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غَزاةٍ لهما، فرخَّص لهما فى قميص الحرير، ورأيتُه عليهما». متفق عليه.

قال المؤلف: الحرير: من الأدوية التى يتخذها صنف من الحيوان، ولذلك ينسب إلى الأدوية الحيوانية، وهو كثير المنافع، جليل الموقع. ومن خاصيته تقوية القلب وتفريحه والنفع من كثير من أمراضه، ومن غلبة المرة السوداء والأدواء الحادثة عنها، مقوٍّ للبصر إذا اكتُحِل به، والخام منه، وهو مستعمل فى الطب، حار يابس فى الدرجة الأولى، وقيل حارٌّ رطب فيها، وقيل معتدل، وإذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة فى مزاجه، مسمِّنا للبدن، ليس يسخن له، وربما برَّده بتسمينه إياه. قال الرازىّ: الإبريسم أسخن من الكتان، وأبرد من القطن، يُربى اللحم، وكلُّ لباس خشِنٍ فإنه يَهزِل ويصلِّب البشرة وبالعكس. واعلم أن جميع الملابس تَسْخَنُ مِنَّا أوَّلا، ثم تدفِّينا وتسخِّننا؛ فالحار هو الذى يسخِّننا أكثر مما يسخُنُ منَّا، كالوبر والصوف، والبارد هو الذى يسخُنُ منا أكثر مما يسخِّننا، كالكتان، والحرير والقطن متوسطان؛ فثياب الكتان باردة يابسة، وثياب الصوف حارة يابسة، وثياب القطن معتدلة الحرارة لدنَة، وثيابُ الحرير ألينُ من القطن، وأقل حرارة. قال ابن جزلة: ولُبسُه لا يسخِّن، بل هو معتدل، وكلُّ لباس أملس صقيل، فإنه أقلُّ إسخاناً للبدن، وأقل عوناً فى تحلل مايتحلل منه، وأحرى أن يُلبس فى الصيف فى البلاد الحارة. ولما كانت ثيابُ الحرير

كذلك ، وليس فيها شيء من اليبس والخشونة الـكائن فى غيرها ، صارت نافعة من الحـكة ، ولا تكون إلا عن حرارة و يبس وخشونة ، فلذلك رخص لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لباسها المداواة ، ولأن ثياب الحرير تُبعد عن قبول تولد القمل فيها ، إذْ كان مزاجُها مخالفا لمزاج ما يتولّد منه القمل . وفى هذا الحديث أيضا دليلٌ على جواز التداوى بالمحرمات للضرورة ، ومنعها مالكٌ ، وهذا الحديث حجة عليه ، والصحيح من مذهب الشافعىّ جواز لبس الحرير للحكة ونحوها فى السفر والحضر جميعا ، وهو مما حُرِّم لباسُه على الرجال دون النساء

رُوى عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ اللهَ أحلّ لإناثِ أُمّتى الحريرَ والذهبَ ، وحرّمهُما عَلَى ذُكُورها » . رواه النّسائى [١] . وعن أبى موسى الأشعرىّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حُرِّمَ لِباسُ الحَرِيرِ والذّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمّتى ، وَأُحِلّ لإنَاثِهِمْ » رواه الترمذىّ . قلت : وهما بمعنى واحد . وعن حُذيفة بن اليمان قال : «نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن لُبسِ الحريرِ والدِّيباجِ ، أو أن نَجْلِس عَلَيْهِ ، وقال : هُوَ لَهُمْ فى الدُّنيا ، ولَكُمْ فى الآخِرَةِ [٢] » . قال العلماء : إن كان نصفُه قطنا ونصفه حريرا حلّ ، على أصح الوجهين ، وما غلَبَ عليه الحريرُ فحرام . قال الشافعىّ : ويستثنى ما إذا دعت ضرورةٌ إلى لُبسه ، كدفع الحر والبرد المهلـكين ، أو حاجة به ، بأن كان به جرب أو حِكة ، أو لدفع القمل به ، والله أعلم .

---

(١) الطب النبوى .   (٢) صحيح البخارى .

الحديث السادس والعشرون

عن زيد بن أرقم[١] رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَدَاوَوْا مِنْ ذاتِ الجَنْبِ بِالقُسْطِ البَحْرِىِّ والزَّيْتِ[٢] » . أخرجه الترمذىّ وغيره .

قال المؤلف: ذات الجنب : قسمان ، حقيقىّ وغير حقيقىّ . فالحقيقىّ ورم حارّ يعرِضُ فى الغشاء المستبطن للأضلاع ، وغير الحقيقى ألم يشبهه ، يعرض فى نواحى الجنبين، عن رياحٍ غليظة مؤذية ، تحتقن بين الصِّفاقات، فتحدث وجعا قريبا من وجع ذات الجنب الحقيقىّ ، إلا أن الوجع فى هذا القسم ممدود ، وفى الحقيقى ناخس[٣] . قال ابن سينا : إنه قد يعرضُ فى الجنب والصِّفاقات ، والعَضلِ التى فى الصدر والأضلاع ونواحيها، أورام مؤذيةٌ جدا موجعةٌ تسمى شوْصة و بِرساما، وذات الجنب قد تكون أيضا أوجاعا فى هذه الأعضاء ، ليست من ورمٍ ، ولكن من رياح غليظة ، فيُظَنُّ أنها من هذه العلة ، ولا تكون

واعلم أن كلَّ وجعٍ في الجنب قد يسمى ذات الجنب ،اشتقاقا من مكان الألم ، لأن معنى ذى الجنب: صاحب الجنب ، والغرض به هاهنا وجع الجنب، فإذا عرض فى الجنب ألم عن أى سبب كان، نُسبَ إليه ؛ وقد ذهب إلى مثله الرئيس موسى القرطبىّ عند وقوفه على كلام أبقراط ، فى ثالثة الأمراض الحادة ، وجالينوس فى شرحه لذلك الكلام

---

(١) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى ، شهد الخندق ،وغزا سبع عشرة غزوة ، ونزل الكوفة . وعنه عبد الرحمن بن أبى ليلى وطاوس وغيرهما . مات سنة ست وستين . « الخلاصة » .

(٢) الطب النبوى . (٣) كذا فى الطب النبوى . وفى ل . خ : لفظة لا معنى لها .

أن أصحاب ذات الجنب وذات الرئة ينتفعون بالحمّام . قال : والذى يبدو لى أنهما يريدان بذلك : من وجع جنب أو وضع رئة من سوء مزاج ، أو من أخلاط غليظة أو لذّاعة ، من غير ورم ولا حُمّى . وأما معنى ذات الجنب فى لغة اليونان فهو ورمُه الحار ، وكذلك ورمُ كلٍّ واحد من الأعضاء الباطنة ، إنما يسمّى ذات الجنب فى ذلك العضو ، إذا كان ورما حارًّا فقط . وتلزم ذاتَ الجنب الحقيقى خمسة أعراض : وهى : الحمى ، والسُّعال ، والوجع الناخس ، وضيق النفس والنبْض النّشار . والعلاج المذكور فى الحديث ليس هو لهذا القسم ، لـكن للقسم الثانى الكائن عن الريح الغليظة ، فإن القُسط البحرىّ ، وهو العود الهندى ، على ما جاء مفسرا فى أحاديث أخرى ، هو صنف من القُسط إذا دُقّ ناعما ، وخُلطَ بالزيت المسخّن ، ودُلك به مكان الريح المذكور أو لُعق ، كان موافقا لذلك ، نافعا له ، محللا لمادته مذهبا لها ، مقوّيا للأعضاء الباطنة ، مفتّحا للسُّدَد ؛ والعود المعروف فى منافعه كذلك . قال المسيحى : العود حارّ يابس قابض لحبس البطن ويقوّى الأعضاء الباطنة ، ويطرد الريح ، ويفتح السدد ، نافع من ذات الجنب ، ويُذهب فضلَ الرطوبة ، والعودُ جيدٌ للدماغ . أقول : ويجوز نفعه من ذات الجنب الحقيقية أيضا ، إذا كان حدوثُها عن مادةٍ بلغمية ، لا سيما فى وقت انحطاط العلة . والله أعلم .

الحديث السابع والعشرون

عن عمرو بن الشَّريد[١] ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله

(١) عمرو بن الشريد بن سويد الثقفى أبو الوليد الطائفى ، عن أبيه وأبى رافع ، وعنه إبراهيم بن ميسرة وغيره . « الخلاصة » .

عليه وسلم قال : « لاتُدِيمُوا النَّظرَ إلى المَجْذومين » . أخرجه ابن ماجه وغيره .
وفى حديث آخر رواه النسائىّ والترمذىّ ، عن جابر ومسلم فى أفراده : أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّا قدْ بايَعْنَاكَ فارْجِع » وروى البخارىّ تعليقا من حديث أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « فِرَّ منَ المَجْذومِ كما تفِرُّ منَ الأسدِ[1] »

الحديث الثامن والعشرون

فى ضد معنى ما تقدمه وشرحهما معا

عن جابر بن عبد الله : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذَ بيدِ رجلٍ مجذومٍ ، فأدخلَها معهُ فى القصعة ، وقال : كُلْ بِاسْمِ اللهِ ، ثقةً باللهِ ، وتوَكلاً عليْهِ[2] » . أخرجه ابن أبى شيبة وابن ماجه . وأخرجه الترمذىّ عن عبد الله ابن عمر . وفى حديثٍ رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُورِدَنّ مُمرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : الجذام : علةٌ رديئةٌ ، تحدُثُ من انتشار المِرّة السوداء فى البدن كله، فتُفسِد مزاجَ الأعضاء وهيأتها، وشكلَها ، وربما فسد فى آخرِة اتصالها، حتى تتأكل الأعضاء وتسقط ، ويُسمى داء الأسد . وفى تسميته بذلك ثلاثة أقوال :

---

(١) صحيح البخارى ، وصيغة الرواية هكذا : وقال عفان عن سليم بن حيان عن سعيد ابن ميناء قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر ، وفر ... » الحديث .

(٢) زاد المعاد .

أحدها لكثرة اعترائه للأسد ، والثانى لأنه يجهِّم وجه صاحبه، ويجعله فى سَحْنة الأسد ، والثالث لأنه يفترس من يقر به أو يدنو منه، افتراس الأسد[١] وهو عند الأطباء مما يُعدِي ويُتوَارَث . وفى ظاهر هذه الأحاديث تناقضٌ ظاهر ، لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن إدامة النظر إلى المجذوم ، وتارة يرسل إليه فيبايعه و يردُّه لئلا يلقاه ، وتارة يؤا كله ، وتارة يقول : لايُورِدنّ مُمرِض على مُصِح . ووجه الجمع بينهما أن الأمر باجتنابه والفرار منه ، على الاستحسان والاحتياط، لاللوجوب[٢] ، وأما الأكل معه فقعله لبيان الجواز ، ولأن كلّ واحد من الناس خاطبه النبىّ صلى الله عليه وسلم بما يليق به ، فبعض الناس يكون قوىّ الإيمان فخاطبه بطريق التوكل ، و بعضهم لايقوى على ذلك ، فخاطبه بالاحتياط والأخذ بالتحفظ ، وكذلك هو صلى الله عليه وسلم فعل الحالتين معا : تارةً بما فيه من البشرية ، وتارة بما يغلب عليه من القوة الإلهية ، وأيضا ليُتأسَّى به فى ذلك ، ويكون لكل طبقة من الناس حجة بحسب حالهم، وعلى ما يليق بهم. وقد روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلِّم المَجْذوم وَبيْنَكَ وَ بيْنَهُ قِيدُ رمْح أوْ رُمْحيْنِ[٣] » . [ومن] حديث ابن عمر وأنس عن النبى صلى الله عليه وسلم: أنه قال: « لاعَدْوَى وَلا طِيَرَةَ[٤] ». وظاهرُ كل واحدٍ من هذين الحديثين أيضا يخالف الآخر كما تقدم، ووجه الجمع بينهما مع ما ذكرناه[٥] : أنّ الجاهلية كانت

---

(١) كذا كما صححناها من كتاب « الطب النبوي » .

(٢) فى خ : الاستحباب والاختيار، لا الوجوب .

(٣) عن عبد الله بن أبي أوفى ، رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب ، الجامع الصغير .

(٤) صحيح البخارى . وفى الحديث زيادة : « والشؤم فى ثلاث : فى المرأة، والدار، والدابة » .

(٥) جملة « مع ما ذكرناه » : سقطت من خ .

تعتقد أن الأمراض المعدية تعدى بطبعها ، من غير إضافة شىء من ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، فأبطل النبىّ صلى الله عليه وسلم اعتقادهم فى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : «لاعَدْوَى» وأرشد فى الحديث الآخر إلى مجانبة ما يحصل عنده الضرر عادةً بقضاء الله وقدره ، و إلى هذا نحا الشيخ محيى الدّين النووى وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى ، وقد ذكر ابنُ قتيبة أيضا جوابا : وهو أنه قد يَسْقَم مقاربُ المجذوم وصاحبِ السُّل بالرائحة لا بالعَدْوى . وقد ذهبت عائشة وغيرها إلى نسخ الأحاديث المقدمة بقوله صلى الله عليه وسلم : «لا عَدْوى» ، و بفعله بمؤاكلته المجذوم وإدخال يده معه فى القصعة . وذهب بعضهم إلى الجمع بين الحُكمين كما تقدم ، بغير طريق النسخ ، بأن أمره صلى الله عليه وسلم بتجنب ذلك على سبيل الاحتياط ، ومخافة ما يقع بالنفس من العَدْوى ، ثم فعله بخلاف ذلك ليرى أن أمره ليس على الوجوب والتحريم ، و إلى هذا نحا الطبرىّ ، وذهب الباجىّ إلى أنه بمعنى الإباحة : أى إذا لم تصبر على أذاه ، وكرهت مجاورته ، فيباح لك أن تفر منه . وذهب بعضهم إلى إثبات العدوى . واستدلّ بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يحدث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بحديث «لاعَدْوى» ، و بحديث «لايُورِدَنّ ممرض على مُصِحّ» . ثم إن أبا هريرة اقتصر على رواية حديث «لايوردنّ ممرض على مصح» وأمسك عن حديث «لاعَدْوى» وراجعوه فيه وقالوا له : سمعناك تحدثه ، فأبى أن يعترف به ، قال أبو سلمة الرّاوى عنه : فلا أدرى أنسِىَ أبو هريرة أو نسخ أحدُ الحديثين الآخر ، ومما يُسْتدلُّ به على أمر العدوى قوله صلى الله عليه وسلم : «لاتُدِيمُوا النَّظَرَ إلى المَجْذُوم » ، و « ارْجِعْ فقَدْ بايَعْنَاكَ » ، و « فِرَّ مِنَ المَجْذومِ كما تفِرُّ مِنَ الأسدِ » ففى ذلك دلالة على العدوى ، وشفقة النبىّ صلى الله

عليه وسلم على من فيه تهيؤ واستعداد لقبول أسباب هذا المرض ، إما لكونه في الجسد ، وشعور النفس بذلك مع ضعفها وتخوفها ، وإما أن الرائحة تصل من المجذوم . وأما قول ابن قتيبة : إنه قد يسقم مقاربُ المجذوم وصاحب السل بالرائحة لا بالعدوى ، فأقول : إن الرائحة من أحد أسباب العدوى ، وإنه مع ذلك لابد من وجود استعداد البدن لقبول ذلك الداء ، وكلٌّ بقدر الله . ومعنى لاعَدْوى على ماقاله المحققون: أي لايُعْدى شيء شيئا بطبعه ، حتى يكونَ الضرر من قِبَله ، وإنما هو بتقدير الله عزَّ وجل وفعله وإرادته . واختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم : « لاعَدْوى » ، فقيل : هو نهى عن أن يقال ذلك ويُعتقد . وقيل : هو خبر ، أي لاتقع عدوى بطبعها . ومعنى الطِّيَرة : التشاؤم ، مأخوذ من التطيُّر ، وهو مصدر تطيَّر ، يقال : تطيَّر يتطيَّر طِيَرةً كما قالوا : تخيَّر يتخيَّر خِيَرةً . قالوا : ولم يجيء من المصادر على هذا القياس غيرهما . والطيرةُ : مأخوذ من اسم الطير ، وقد كانوا يتطيرون بالبارح من الطير ، ويردُّهم ذلك عن مقاصدهم . وذلك أن العرب كانت إذا أرادت أمرا جاءت إلى وكر الطير فنفرَّته ، فإن تيامنَ تيمَّنت به ، وسمَّتْ ذلك الطَّيْر : السَّانح ، ومضت للأمر الذي عزمت عليه ، وإن تياسر سمَّتْه البارح ، وتشاءمتْ به ، وأغضت عنه ، فزجرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وعرَّفهم أنها لاتضرُّ ولا تنفع . وأما قوله : « لايُورِدنَّ مُمرِض على مصحّ » : قال الخطابي وأبو عبيد : ليس المراد به الرجل المريض على الصحيح ، لكن المرْض : هو الذي مرضتْ ماشيته ، والمصح : صاحبُ الصِّحاح كما قالوا : رجل مُضْعِفٌ : إذا كانت إبْلِه ضعافا ، ومقوٍ إذا كانت أقوياء ، وليس النهيُ من أجل أن المرض يعدي الصحاح ، بل إذا مرضت وقع في نفس صاحبها أن ذلك من قِبَل

العدوى ، فيفتنه ذلك ، و بشككه فى أمره ، فأمر باجتنابه ، والمباعدة عنه لذلك ، لا للعدوى

الحديث التاسع والعشرون

عن أبى بكر بن أبى مريم الغسانى[(١)] ، قال : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا صُدِعَ غَلَّفَ رأسه بالحناء و يقول : إنهُ نافعٌ بإذنِ اللهِ من الصداعِ[(٢)] »

وجاء من طريق آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانَ إذَا نزَلَ عليهِ الوَحْىُ صُدِعَ ، فيُغلِّفُ رَأسَهُ بالحنَّاء » . أخرجه ابن ماجه[(٣)] وغيره .

قال المؤلف : الصُّداع : ألم فى بعض أجزاء الرأس ، فما كان منه فى أحد شِقّى الرأس لازما سُمى شَقِيقة ، وما كان شاملا لجميعه لازما سمى بيضة وخُوذة ، تشبيها ببيضة السلاح التى تشتمل على الرأس كله ، وربما كان فى مقدم الرأس وفى مؤخره . وأنواعه كثيرة . وأسباب أنواعه مختلفة مذكورة فى الكتب الطبية ، والحنَّاء: ممدود مشدَّد ... وهو ورق شجر يكثر نباته بالديار المصرية والبلاد الحارة ، يشبه شجر السِّدْر وله فاغية طيبة الرائحة . والفاغية : كل نورة طيبة الرائحة ، وخصت فاغية الحنَّاء بذكر الفاغية ، فتعرف من غير نسبة . وقوة ورق شجرة الحناء وأغصانها مركبة من قوة محللة ، اكتسبتها من جوهر فيها مائى حار باعتدال ،

---

(١) ورد ذكره فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال دون ترجمة .

(٢) رواه ابن ماجه — الطب النبوى .

(٣) رواه ابن السنى ، وأبو نعيم فى الطب . والفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير .

ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها أرضى بارد ، والغالب على [مزاجه أنه] بارد فى الأولى ، يابسٌ فى الثانية . ومن منافعه أنه رادع محلّل نافع من حرق النار إذا صُبَّ طبيخُه عليه ، وفيه قوة موافقةٌ للعصب ، إذا ضمد به سكن أوجاعه ، وفيه قبض يشدّ به الأعضاء . و ينفع إذا مُضغ من خروج القم والسُّلاق العارض فيه ، و يبرئ القُلاع الحادث فى أفواه الصِّبيان . و إذا تضمد به نفع من الأورام الحارة الملتهبة . و إذا دُقَّ زهرُه وضُمدت به الجبهةُ مع الخل سكن الصداع ، و ينفع من الحمرة ، و يفعل فى الجراحات فعل دم الأخوين[1] ، و إذا خلط نوْرُ الحناء[2] مع الشمع المصفّى ودهن الورد نفع من أوجاع الجنب . ومن الخواص أنه إذا بدأ الجُدَرِىُّ يخرج بصبىّ ، فاخضِب أسافل رجليه بحناء معجون بالماء ، فانه يُؤْمَن على عينيه أن يخرج بهما شىء منه ، صحيح مجرَّب ؛ ومن خَضَبَ به إحدى رجليه أصبح بوله مثل بول المحموم ، و إذا جُعل نوْرُه بين طيات الصوف طيَّبها ومنع السوس عنها ، و إذا نُقِعَ ورقُه فى غمرة ماء عذب ، ثم عُصرَ وشُرِبَ من صفوه عشرين يوما ، كلَّ يوم وزن أربعين درهما ، مع عشرة دراهم سكر ، نفع من ابتداء الجذام ، و يُتَغَذّى عليه من لحوم الخِرفان ، فإن فَعلَ ذلك المدّة المذكورة ، ولم يبرأ ، فاعلم أنه لم يبق فيه بُرْء ، يَفعل ذلك بخاصيَّة عجيبة فيه[3] .

---

(١) يقال له دم التيس ودم الثعبان — قيل إنه صمغ نخلة بالهند — والصحيح أن اسمه مشتبه فيه ، و إنما يجلب هكذا من نواحى الهند وأجوده الخالص الحمرة ، الإسفنجى الخفيف الجسم ، شربته إلى نصف درهم .

(٢) النور هو الزهر — ونور الحناء الفاغية .

(٣) فى خ زيادة (ذكر ذلك عبد الله بن البيطار عن الشريف ، في الأدوية المفردة) .

وحُكى أن رجلا تعقفت أظافير أصابع يديه، وأنه بَذلَ مالا كثيرا لمن يبرئه، فلم يجد، فوَصفت له امرأة أن يشرب عشرة أيام حناء، فلم يجسر عليه، فنقعه بماء وشربه، فبرأ، ورجعتْ أظافيرُه إلى حسنها، والحناء إذا ألزمت به الأظفارُ معجونا حسَّنها ونفعها، وإذا عجن بالسمن وضُمد به بقايا الأورام الحارة التى ترشح ماء[1] نفعها، ونفع من الجرب المتقرِّح المزمن منفعة بليغة، وهو يُنبتُ الشعر ويقوِّيه ويحسِّنه، ويقوِّى الرأس وينفعُ من النفّاطات[2] والبثور العارضة فى الساقين وفى الرجلين وسائر البدن، فقد رُوِى مسندا عن البخارىّ فى تاريخه، قال: «ماشكى أحدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا فى رأسِه إلاّ قالَ لهُ: احْتَجِمْ، ولا شكى فى رِجليه إلاّ قالَ لهُ اخْتَضِب بالحِنَّاء»[3]. ورواه أبو داوِد أيضا. وعن سَلْمى أم رافع خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: «كان لا يُصِيبُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قرْحةٌ وَلا شوْكةٌ إلا وضعَ عليها الحنَّاء». أخرجه الترمذىّ[4].

واعلم أن كثيرا ما يكون سببُ الشقيقة مادةً فى شرايين الرأس وحدها، حاصلة فيها أو مرتقية إليها، فيقبلُها[5] الجانبُ الأضعف، وتلك المادة إما بخارية، وإما أخلاط حارة أو باردة. وعلامته الخاصة به: ضَرَبانُ الشرايين، وخاصة فى الدَّموىّ، وإذا ضُبطتْ بالعصائب، ومنعت من الضَّربَان سكَنَ الوجع؛ وربما كان هذا النوعُ يصيبُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم، فقد رُوى أنه ربَّما أخذته

---

(١) ل: تسترشح ما.

(٢) النفاطات واحدها (النفاطة) وهى البثرة ج بثور — وهى خراجات صغيرة.

(٣) صحيح البخارى.

(٤) الطب النبوي.

(٥) ل: فيقلها.

الشقيقة، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج[1]. وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال : «خَطَبَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فجلسَ على المِنبَرِ وقد عَصَبَ رأسهُ بعصابةٍ، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه[2]» . رواهما أبو نعيم فى الطب النبوىّ

الحديث الثلاثون

عن أبى الدَّرْداء[3] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ أنزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ داءٍ دَواءً ، فتَدَاوَوْا ، وَلاَ تَتَدَاوَوْا بحَرَامٍ[4] » . أخرجه أبو داود .

قال المؤلف : اشتمل هذا الحديث على معان ثلاثة : وهى الإخبار ، والأمر والنهى ؛ فالإخبار فيه معروف ، والأمر قوله صلى الله عليه وسلم : « تَدَاوَوْا » وأقل مراتب الأمر الندب والاستحباب ، والنهى قوله : «ولا تَتَدَاوَوْا بِحَرَام» فإن قيل : يحمل الأمر هاهنا على إباحة[5] . قلنا: إنما يحمل على الإباحة إذا تقدمه حَظْر كقوله تعالى : (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) فإنه لما منعهم الصيد ، ثم جاء بلفظ الأمر، علِمْنا أنه للإباحة ، وكقوله تعالى: (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ) ، ثم قال بعده : (فإذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الأَرْضِ) . وهاهنا لم يتقدم حَظْر، فدلّ

---

(١) رواه أبو نعيم — الطب النبوى . (٢) الطب النبوى .

(٣) هو عويمر بن زيد أو ابن عامر أو ابن مالك بن عبد الله بن قيس ... أسلم يوم بدر وشهد أحدا ، وألحقه عمر بالبدريين ، جمع القرآن وولى قضاء دمشق ، ومات سنة اثنتين وثلاثين.

(٤) الجامع الصغير . (٥) فى خ : الإباحة .

على أنه أمر نَدْب . ويوضّحُ هذا ما ذُكر من تداوِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يحسن أن يُقال : إنما فعل ذلك لشأن الإباحة ، لأنه قد كان يكفى فى ذلك قوله : « تَدَاوَوا » ، وفعله ذلك فى حق نفسه مرة ، وقد رُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان يقدَمُ عليه وفودُ العرب من كل وجه ، فينعت لهم الأنعات ، فيستعملونها » ، وأنها قالت : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت أسقامه ، فكان يقدَم عليه أطباء العرب والعجم ، فيصفون له فنعالجه » . فيدل [هذا] على أنه كان يديم التطبب ، ولم يكن النبىّ صلى الله عليه وسلم يداوم إلا على الأفضل . وأما النهى عن المعالجة بالمحرمات ، فمن وجهين : عقلا وشرعا . أما العقل فلأن كلّ ما أضرّ بالدماغ من الأدوية وغيرها ، أو دخل عليه بسببه داخل ردىء ، وجب اجتنابه عقلا ، كالخمر وسائر المسكرات التى تحول بين الإنسان وعقله الذى شرّفه الله تعالى به ، وبمنعه من حسن تصرفاته لأمر دنياه وآخرته ، وأنفعها الخمر وهو مع ما فيه من المنافع شديد المضرّة بالدماغ ، الذى هو مركز العقل على مذهب الأطباء ، ويدل عليه قول أبقراط فى الأمراض الحادة ، حيث قال : ضرر الخمر بالرأس شديد ، لأنه يُسرع الارتفاع إليه ، وترتفع بارتفاعه الأخلاط التى تعلى فى البدن ، وهو لذلك يضر بالذّهن . قال صاحب الكامل : إن خاصة الشراب الإضرار بالدماغ والعصب ، فتثبت أضرارُه بالعقل بالنص المذكور ، ولا يجوز استعماله إلا حيث لا يوجد من الأدوية غيره ، فيخرج حينئذٍ عن أن يكون محرّما ، وأما غير ذلك من الأدوية فقسمان : أحدهما ماتعافه الأنفس ، ولا تنبعث لمساعدة الطبيعة على دفع المرض به ، كالسّموم ولحوم الأفاعى وغيرها من المستقذرات ، فيبقى كَلاًّ على الطبيعة مثقّلا لها ، فيصير حينئذ داء لا دواء . وما لا تعافه النفس

كالتراب[١] الذى يستعمله الحوامل مثله ، وضرره أكثر من نفعه ، والعقل يقضى بتحريم مثل ذلك . وفيه من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ الطِّينَ فكأنما أعانَ عَلَى قَتْلِ نفسِهِ » . وأما الشرع فما رُوى فى ذلك عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة ، ما رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَدَاوَى بِالحَلَالِ كانَ لهُ شِفَاء ، وَمَنْ تَدَاوى بِالحَرَامِ لَمْ يجعَلِ اللهُ لهُ فيهِ شِفَاء[٢] » . وفى حديث آخر : « أَنَّهُ سُئلَ عنِ الخمرِ يجعل فى الدَّواء . فقال : « إنها دَاء ، وليْسَت بِالدَّوَاء » . رواه أبو داود والترمذىّ . وفى حديث آخر : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَدَاوَى بِالخمرِ ، فَلَا شَفَاهُ اللهُ » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدَّواء الخبيثِ[٣] » . رواه ابن ماجه . قال وكيع : يعنى [بالخبيث] : السم . قال الخطابىّ : قد يكون خبث الدواء من وجهين : أحدهما خبث النجاسة ، وهو أن يدخله المحرم كالخمر ونحوه . الثانى من جهة الطعم والمذاق لما فيه من المشقة على الطباع . كأنه يشير إلى أنّ التوكل فى الشفاء على الله ، فلا يتحمل المريض مشقة ذلك الدواء ، بنية أن الشفاء فيه . قال ابن الأعرابىّ : الخبيثُ فى كلام العرب : المكروه ؛ فإن كان من الكلام فهو الشتم ، وإن كان من المِلَل فهو الكفر ، وإن كان من الطعام فهو الحرام ، وإن كان من

---

(١) هو طين خاص فيه شبه حلاوة ، يستعذب أكله بعض النساء ، غافلات عن أضراره الجسيمة بالكلى وتسميم الدم .

(٢) الجامع الصغير وغيره ، رواه أبو نعيم . ولا وجود لعبارة (من تداوى بالحلال كان له شفاء) ولعلها زيادة من المؤلف .

(٣) الفتح الكبير للسيوطى ، بخمسة من الرواة الثقات

الشراب فهو الضارّ . وعن عثمان بن عبد الرحمن : « أنَّ طَبِيباً ذَكَرَ ضِفْدَعاً عِنْدَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهُ عَنْ قَتْلِها[١] » .. رواه النسائيّ . وعن طارق بن سويد الحضرَميّ قال : « قلتُ يارسولَ الله إنّ بأرْضِنا أعْناباً نعْتَصِرُها ، فنَشْرَبُ مِنها ؟ قال : لا ، فراجعْتُهُ ، قلتُ : إنَّا نَسْتَشْفى بِها المريضَ ، قالَ إنّ ذَلِكَ ليسَ بِشفاء ، ولَكِنَّهُ دَاءٌ » . رواه مسلم والترمذيّ قال الخطابيّ : إنما سمّاها لما فى شربها من الإثم ، ومعلوم أن الخمر من جهة الطب دواء من بعض الأسقام ، وفيها مصحّة للبدن ، ولكنه صلى الله عليه وسلم نقلها من باب الدنيا إلى باب الآخرة ، ومن الطبيعة إلى الشريعة ، وهذا كقوله : « مَنْ تَعُدُّونَ المُفْلِسَ فِيكُمْ ؟ قالوا : الّذِى لا مَالَ لهُ ، قالَ : بَلِ المُفْلِسُ الّذِى يَأْتِى يوْمَ القِيامَةِ وقَدْ ظَلَمَ هٰذا ، وشَتَمَ هٰذا ، وضَرَبَ هٰذا ، فيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ لهُمْ ، ويُؤْخَذُ مِنْ سيئَاتِهِمْ لهُ ، فتُلْقَى عليْهِ ، فيُطْرَحُ فى النّارِ » ثم قال : وكان الناس يشربون الخمر قبل تحريمها ، ويَشْغفون بها ، ويتبعون لذتها ، فلما حُرِّمت صعُبَ عليهم تركها ، فغلّظ عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم الأمر فيها ، ليرتدعوا عن شربها ، وحسم الباب فى تحريمها على الوجوه كلها : شرباً وتداوياً ، لئلا يستبيحوها بعلة التساقم والتمارض

الحديث الحادى والثلاثون

عن طاوس[٢] ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله

---

(١) المصابيح .

(٢) طاوس بن كيسان اليماني الجندي ، مات سنة ست ومائة

عليه وسلم : « احْتَجَمَ ، وأعْطى الحجَّام أجْرَهُ ، واسْتَعَطَ » . أخرجاه في الصحيحين[1]

الحديث الثاني والثلاثون

في معنى الحجامة ، وشرحهما معا

عن حميد الطويل[2] ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه أبو طَيْبَةَ ، فأمَرَ لهُ بصاعين منْ طعام ، وكلَّمَ مَوَاليهِ فخففوا عنهُ منْ ضريبَتِه[3] » . وقال صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بهِ الحجَامَةُ والقُسْطُ البَحْرِيُّ ، وَلا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بالغَمْزِ منَ العُذْرَةِ[4] » . أخرجاه في الصحيحين

قال المؤلف : الحجامة تفرق اتصال إرادي ، يتبعه استفراغ الدم من نواحي الجلد غالبا ، وهي تنقى سطح البدن أكثر من الفصد ، وتستخرج الدم الرقيق ، وتصلح للصبيان ولمن لا يقوى على الفصد . وتستحب الحجامة في البلاد الحارة دون الفصد في سائر الشهر و بُعَيْدَ الوسط . و بالجملة : في الربع الثالث من أرباع الشهر ،

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) حميد بن أبي حميد ؛ مولى طلحة الطلحات أبو عبيدة الطويل ، مختلف في اسم أبيه ، البصري ، عن أنس و الحسن وعكرمة ، وعنه شعبة ومالك . مات وهو قائم يصلى سنة اثنتين وأربعين ومائة .   « الخلاصة »

(٣) الحديث في صحيح البخاري هكذا . عن أنس رضي الله عنه « أنه سئل عن أجر الحجام ، فقال : احتجم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، حجمه أبو طيبة ، وأعطاه صاعين من طعام ، وكلم مواليه ، فخففوا عنه » . وقال : « إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري » وقال : « لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة ، وعليكم بالقسط » .

(٤) العذرة : تهيج في الحلق من الدم .

لأن الدم فى أول الشهر لم يكن بعد قد هاج وتبيَّغ[١]، وفى آخره يكون قد سكن وأما فى وسطه و بُعَيْدَهُ [فيكون] فى نهاية التزيد . قال ابن سينا : ويؤمر باستعمال الحجامة لا فى أول الشهر لأنَّ الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ، ولا فى آخره ، لأنها تكون قد نقصت ، بل فى وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة فى تزيدها ، لتزيُّد النور فى جرم القمر . وقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحَجْمُ والفِصادُ[٢] »

قلت : الفصد تفرق اتصال إرادي، يتبعه استفراغ كلى من العروق التى تُفصد كثيرا ، ولفصد كل واحد منها نفع طبى ؛ ففصد الباسِليق[٣] ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما وفى الرئة من الدم ، وينفع الشوْصة وذات الجنب ، ووجع الأمراض الدموية العارضة من أسفل الركبة إلى الورك ؛ وفصد الأكحل[٤] ينفع من الامتلاء العارض فى جميع البدن إذا كان دمويًّا وكذلك إذا كان الدم قد فَسَدَ فى جميع البدن ، وفصد القيفال[٥] ينفع من العلل العارضة فى الرأس والرقبة من كثرة الدم وفساده ، وفصد الأُسَيْلِم[٦] ينفع من أمراض الطِّحال الدموية ، وفصد الوَدِجين[٧] ينفع من وجع الطحال والربو

---

(١) التبيغ : تحير الدم وتردده لشدة هيجانه وضيق الأوعية عنه .

(٢) رواه أبو نعيم فى الطب — الجامع الصغير .

(٣) الباسليق : عرق فى الذراع يعرف بعرق البدن ، (اسمه من الألفاظ الدخيلة) .

(٤) الأكحل : عرق في الذراع يفصد، وقيل هو عرق الحياة ، ويدعى نهر البدن ، ولا يقال : عرق الأكحل .

(٥) القيفال : عرق فى الذراع يفصد لأمراض الرأس — معرب ، وقيل عربى .

(٦) الأسيلم مصغرا : عرق بين الخنصر والبنصر، يفصد لأمراض الصدر .

(٧) الودجان هما عرقا الأخدعين اللذين يقطعهما الذابح ، فلا يبقى معهما حياة .

والبَهَر ووجع الجنبين . وقوله : « خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحَجْم » إشارة لأهل الحجاز ، لأن دمهم رقيق ، وهو أميل إلى ظاهر أبدانهم، لجذب الحرارة الخارجة له ، فيجتمع فى نواحى الجلد ؛ ولأن مسامّ أبدانهم واسعة ، وقواهم متخلخلة ، فيكون الخطر فى الحجامة أقل من الفصد بكثير ، فيكون أنفع لهم من الفصد وفى معنى الحديثين إباحة نفس الحجامة ، وأنها من أفضل الأدوية ، وفيهما إباحة التداوى واستحبابه، وجواز أخذ الأجرة على المعالجة بالطب . وأبو طيبة : هو عبدٌ لبنى بياضةَ ، اسمه نافع ، وقيل غير ذلك .

[والحجامة على الكاهل[١]] تنفع من أمراض الرأس ، ومن أمراض أجزائه كالوجه والأسنان ، والأذنين والعينين، والأنف والحلق ، إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده أو منهما جميعا . روى عن قتادة عن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحتجم بينَ الأخْدَعين والكاهل[٢] . وفى الصحيحين: أنه كان يحتجم ثلاثا : واحدة على كاهله ، واثنتين على الأخدعين[٣] ، وأنّه احتجمَ وهو محرمٌ فى رأسِه ، لصُداع كان بِهِ، أو لشىء كان به. روى عن علىّ رضى الله عنه قال : « نزَلَ جبْرِيلُ عليْهِ السلامُ عَلَى النَّبىِّ صلى الله عليه وسلم بِحِجَامة الأخْدَعَيْنِ والكاهِل[٤] » . رواه ابن ماجه . قال الزجاج : الأخْدَعان : عرقان فى العنق، فى موضع الحجامة . والكاهل : مَوْصِل العنقِ فى الصلب . وقد روَى أبو داود من حديث جابر : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم احْتجَمَ فى وركِهِ

---

(١) هذه الجملة فى خ ، وقد سقطت من ل .

(٢، ٣، ٤) الطب النبوى .

مِنْ وَثْءٍ[1] كَانَ بِهِ[2] » . والحجامة على النُّقرةِ تنفعُ من جحُوظِ العين ، والنتوء العارض فيها ، وكثير من أمراضها ، ومن ثقل الحاجبين والجفن ، وتنفع من جرب ومن البثور وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكُمْ بِالحجامةِ فى جَوْزَةِ القَمَحْدُوَةِ[3] ، فإنّهَا تَشْفِي مِنْ خَمْسَةِ أَدْوَاء » ، ذكر منها الجذام[4] قال السنى : القَمَحْدُوة : فأس القفا ، الذى إذا استلقى الرجل أصابته الأرض من رأسه ، وقد روى أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل احتجم فى جانبي قفاه ، ولم يحتجم فى نقرة القفا ، وقد ذكر ابنُ سينا فى هـذا المعنى حديثا ، فقال : لكن الحجامة على النقرة تورث النسيان حقًّا ، كما قال سيدنا ومولانا وصاحب شريعتنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن مؤخر الدماغ موضع الحفظ ، وتُضعِفُه الحجامة .

قلت : إن ثبت هذا الحديث الذى ذكره ابن سينا رحمه الله ، فالحجامة إنما تُضعف مؤخر الدماغ ، إذا استعملت لغير ضرورة ، فأمّا إذا استعملت لغلبة الدم عليه ، فإنها نافعةٌ له طبًّا وشرعا . فقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه احتجم فى عدة أماكن من قفاه ، بحسب ما اقتضاه الحال فى ذلك ، واحتجم صلى الله عليه وسلم فى غير القفا ، بحسب ما دعت ضرورته إليه ، والله أعلم . والحجامة تحت الذقن تنفع من وجع الأسنان ، والوجه والحلقوم ، إذا استعملت

---

(١) الوثء : ألم يحدث من الرضة الشديدة فى اليد أو الرجل ، بإصابة دون الكسر ، فهى موثوءة من وثئت ، وقد تسهل الهمزة .

(٢) الطب النبوى .

(٣) القمحدوة : هى نقرة القفا ، الهنة الناشزة فوق القفا خلف الأذنين ومؤخر القذال .

(٤) الطب النبوى . وفى الجامع « عليكم بالحجامة فى جوزة القمحدوة فإنها دواء من اثنين وسبعين داء ، وخمسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الضرس

فى وقتها، وتنقى الرأس والفكين . والحجامة على البطن والساقين نافعة من دماميل الفخذ وجربه وبثوره ، ومن النقرس والبواسير وداء الفيل وحكة الظهر، والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن ، وهو عرق عظيم عند الكعب من الجانب الإنسى"[١] ، وتنفع من قروح الفخذين والساقين ، وانقطاع الطمث والحكة العارضة فى الأنثيين . روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وثى كان به » ومنافع الحجامة كثيرة إذا استعملت عند الحاجة إليها فى أى يوم أو وقت كان . قال الخلال : أخبرنى عصمة بن عصام ، حدثنا حنبل ، قال : كان أبو عبد الله أحمد ابن حنبل يحتجم فى أى وقت هاج به الدم، وأية ساعة كانت . قال ابن سينا : وأفضل أوقاتها فى النهار الساعة الثانية أو الثالثة ، ويجب أن يتوقى الحجامة بعد الحمام ، إلا فيمن كان دمه غليظا ، فيجب أن يستحم ، ثم يجم ساعة، ثم يحتجم. أقول : وتكره الحجامة على الشبع ، فإنها ربما أورثت سددا أو أمراضا رديئة ، لا سيما إذا كان الغذاء رديئا غليظا . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه عن هذا : « الحجامة على الريق دواء ، وعلى الشبع داء ، وفى سبعة عشر من الشهر شفاء ، وفى الثلاثاء صحة للبدن، ولقد أوصانى خليلى جبريل بالحجامة ، حتى ظننت أنه لابد منها[٢] » .

قلت : وقد تستعمل الحجامة ووضع المحاجم لنقل الدم من عضو شريف

---

(١) الجانب الإنسى في القدم الذي يقبل على أختها ، والجانب الوحشى الذى لا يقبل على شىء من الجسد من كتاب (خلق الإنسان للأصمعى) .

(٢) من أقواله صلى الله عليه وسلم فى هديه للحجامة ، من عدة أحاديث صحيحة .

إلى عضو غير شريف . وأما القُسْط البحرى المذكور فى الحديث، فهو القُسْط الحلو وهو الأبيض منه ، وهو العود الهندىّ على ما جاء مفسَّرا فى أحاديث أخرى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تُعَذِّبُوا صِبْيانَكُمْ بِالْغَمْزِ مِنَ الْعُذْرَةِ » . العُذْرة ، بضم العين المهملة والذال المعجمة : وجع بالحلق يهيج من الدم ، وقيل : هو سقوط اللَّهاة . واللهاة : هى اللحمة الحمراء المتعلقة فى أصل الحنك . قال الأصمعىّ : كانوا يغمزونها بالأصابع إذا سقطت، لترتفع إلى مكانها ، فنهاهم النبىّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأمرهم بالرفق فى المعاناة ، لا سيما بالصغار ، وقد فسَّر صفة معاناتهم بالقسط البحرى ، فقال : يُسْتَعَطُ به من العُذْرة . وقيل : العُذرة : قرحة تخرج من الخرم الذى بين الأنف والحلق ، تَعرض للصبيان غالبا عند طلوع العُذْرة ، وهى خمسة كواكب تحت الشِّعْرى العَبور ، وتسمى أيضا العذارَى ، وتطلع فى وسط الحر ، والأوَّل أشهر . وأما نفع (القُسْط) من العُذرة لما فيه من التجفيف ، فيشد اللَّهاة ، ويرفعها إلى مكانها، لا سيما ومادَّتها دم يغلب عليه البلغم ، لكثرة تولد فى أبدان الصبيان ، وقد يصلح مزاجه بحلّه بالماء . وقد ذكره ابن سينا رحمه الله فى معالجة سقوط اللهاة مع الشَّبّ اليمانى وبزر الورد ، ومع ذلك فقد تنفع أدوية حارة من أدواء حارة ، إما بخاصِّية فيها ، أو بطريق العرَض ، والله أعلم .

وعن جابر بن عبد الله قال : «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبى تسيل منخراه دما ، فقال : ما هٰذا ؟ قالوا به العُذرة ، أو وجع فى رأسه ، فقال : ويلكنَّ، لا تقتلْنَ أولادكنَّ ، أَيُّما امرأةٍ أصابَ ولدَها عُذْرة أو وجعٌ فى رأسِهِ ، فلتأخذْ قسطًا هنديًّا، فلتحكَّهُ بماء ، ثمّ تُسْعِطُه إيّاه فأمرت عائشة رضى الله عنها ، فصنُع ذلكَ بالصبىّ فبرأ[1] » . قال أبو عبيد عن

---

(١) فى السنن ، المسند ، الطب النبوى .

أبى عبيدة : العُذْرة : وجع يهيج فى الحلق من الدم، فإذا عولج منه قيل عَذَرته فهو معذور ، قال جرير[١] :

غمزَ ابنُ مُرّةَ يافرزدقُ لينها   غمزَ الطّبيبِ نغانغَ المعذورِ

وأما السّعوط وكيفية استعماله ، فقد ذكرتُه فى الأربعين الثانية فى شرح الحديث الثالث عشر منها[٢] ، فيعلم من هناك إن شاء الله تعالى

الحديث الثالث والثلاثون

عن كَثير بن سَليم[٣] قال : سمعتُ أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِمَلَإٍ إلاَّ قالُوا : يا مُحمَّدُ مُرْ أُمّتَكَ بالحِجَامَةِ[٤] » . أخرجه ابن ماجه . وجاء من طريق آخر عن ابن عباس : « عليْكَ بالحِجَامَةِ يا مُحمَّدُ[٥] » . أخرجه الترمذىّ وغيره .

الحديث الرابع والثلاثون

فى الحجامة أيضا ، وشرحهما معا

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) جرير بن عطية بن حذيفة ، وهو من بنى كليب بن يربوع ، وعاش نيفا على ثمانين سنة ، وهو القائل يرثي زوجته فى قصيدته المشهورة التى مطلعها :

لَوْلاَ الحياءُ لعادنى استعبارُ   ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

(٢) أنظر الباب السابع .   (٣) كثير بن سليم الضبى ، أبوسلمة . المدائنى عن أنس ، وعنه أبو تميلة يحي بن واضح . « الخلاصة » .

(٤) ضعيف — الطب النبوى .   (٥) الطب النبوى .

« إن خَيْرَ مَا تَحْتَجِمُونَ فيهِ يَوْمُ سَابِعَ عشرَ أو تَاسِعَ عشرَ وَيومُ واحِدٍ وَعِشْرِينَ »[١] . وعن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الأخدعين والكاهل ، وكان يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر ، وفى إحدى وعشرين »[٢] . وفى رواية عن أنس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ الحجَامَةَ فليَتَحَرّ سبْعَةَ عشَرَ أو تِسْعَةَ عشَرَ أو وَاحِدًا وعِشرِينَ ، وَلا يَتَبَيَّغْ بأَحَدِكُمُ الدَّمُ فيقتُلَهُ » . أخرجه ابن ماجه وغيره .

قال المؤلف : قد تقدم الكلام فى الحجامة ومنافعها ، و بقى شرح معانى هذا الحديث وما قبله ، وذكر أوقات الحجامة . أما قوله صلى الله عليه وسلم : « ما مَرَرْتُ ليْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِمَلأٍ » يعنى : بجمع من أشراف الملائكة ، والملأ : الجمع من أشراف القوم ، والأمر هاهنا للندب والاستحباب ، لا للوجوب ؛ واختيار النبى صلى الله عليه وسلم الأوقات المذكورة ، وأمره بالحجامة فيها إذا استعملت على سبيل الاحتياط والتحرز لحفظ الصحة . والدليل عليه قوله لهم : « لا يتَبَيَّغْ بِأَحَدِكُمُ الدَّمُ فيقتُله » فلفظة لا هنا : بمعنى لئلا ، فيخلص المعنى للاستقبال . وأما فى مداواة الأمراض فحيثما وجد الاحتياج إليها وجب استعمالها ، لما روى عن الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه : أنه كان يحتجم فى أىّ وقت هاج به الدم ، وأية ساعة كانت . والتَّبَيُّغ فى اللغة : الزيادة ، من قولهم : بغى فلانُ على فلان أى : زاد عليه . قال أبو عبيد عن الكسائى : التبيُّغ التهيُّج وقال غيرُه : أصلُه من البغى كما تقدم ، قال : يتبيَّغ يريد : يبتغى ، فقدم الياء وأخر الغين ، وهكذا كقولهم : جبَذَ وجذَب ، وما أطيبه وأيطبه ، ومثله فى الكلام

(١ ، ٢) الطب النبوى

كثير . وروى أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنِ احْتَجَمَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ وتِسْعَ عَشْرَةَ أو إحْدَى وَعِشْرِينَ كانَ شِفَاءً مِنْ كلِّ داء[1] » يريد — والله أعلم — من كل داء سببه غلبة الدم ؛ واختيار الأوقات المذكورة لحركة الدم وهيجانه فيها كما تقدم شرحه . وقد ورد النهىُ عن الحجامة فى أيام بعينها ، فلنذكر ما حضر منها . قال الخلال : أخبرنا حربُ بن إسماعيل قال : قلتُ لأحمد تُكره الحجامة فى شىء من الأيام ؟ قال : قد جاء فى الأربعاء والسبت . وروى الحسين بن حسان : أنه سأل أبا عبد الله عن الحجامة أىّ يوم تكرهُ ؟ فقال : يوم السبت ويوم الأربعاء ، ويقولون يوم الجمعة . ورُوِى عن أبى سلمة وأبى سعيد وأبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنِ احْتَجَمَ يَوْمَ الأرْبِعاءِ أو يَوْمَ السَّبْتِ فأصابَهُ بَياضٌ أو بَرَصٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ[2] » قال الخلال : أخبرنى محمد بن على بن جعفر أن يعقوبَ بن مختار حدثهم قال : سُئل أحمد عن النُّورة والحجامة يوم السبت ويوم الأربعاء فكرهها وقال : بلغنى عن رجل أنه تنوّر واحتجمَ فأصابه البرَص، فقلت : كأنه تهاون بالحديث . قال : نعم . وروى عن نافع قال : قال عبد الله بن عمر قد تبيَّغ بى الدمُ . فابغِ لى حجَّاما لا يكن صبيًّا ولا شيخا كبيرا ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحِجامَةُ تَزِيدُ الحَافِظَ حِفْظا وَالعاقِلَ عقلاً فاحْتَجِمُوا عَلَى اسْمِ اللهِ ، وَلا تَحْتَجِمُوا الخَميسَ وَالجُمعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأحَدَ ، واحْتَجِمُوا الاثْنين ، وَما كانَ مِنْ جُذامٍ وَلا بَرَصٍ إلاَّ نَزَلَ يَوْمَ الأرْبِعاءِ[3] » . قال الدارقطنى : تفرّد به زياد

(١ ، ٢ ، ٣) الطب النبوى . وسنن أبى داود على هامش الزرقانى على الموطأ ج ٤ ص ١٠ .

ابن يحيى . وقد رواه أيوب عن نافع وقال فيه : « واحتجموا يومَ الاثنينِ والثلاثاء ولا تحتجموا يومَ الأربعاء[1] » . وقد روى مرفوعا وجاء من طريق « يومَ الاثنينِ ويومَ الثلاثاء ، فإنَّهُ اليومُ الذى صُرِفَ عن أيوب فيهِ البلاء ، وضُرِبَ بالبلاء يومَ الأربِعاء » . وروى عن أبى بكرة أنه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَوْمُ الثُّلاثَاءِ يَوْمُ الدَّمِ وَفيهِ سَاعَة لا يَرْقَأُ » . رواه أبو داود .

قال المؤلف : ظهر لنا من مجموع هذى الأحاديث : أن الحجامة يومَ الاثنين إذا صادفتِ اليوم السابع عشر أو التاسع عشر ، أو الحادى والعشرين . وبالجملة فى الربع الثالث من أرباع الشهر لمن هو محتاج إليها ، كانت فى غاية النفع والفضيلة . وأما يومُ الثلاثاء فقد اختلفتِ الرواية فى نفع الحجامة فيه ، فينبغى أن يُتوَقّى فى اليوم المذكور ما لم تكن لها ضرورة ، والله أعلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَ العَبْدُ الحجّام ، يُذْهِبُ الدَّمَ ، وَيُخَفِّفُ الصُّلْبَ ، وَيَجْلُو عَنِ البَصَرِ » . أخرجه الترمذىّ .

---

(١) الطب النبوى .

الباب الثاني

في الأحاديث الدالة على ما يتعلق بحفظ الصحة من صفة الأكل، والشرب، والنوم، وغير ذلك

الحديث الأول

وهو الخامس والثلاثون

عن عليّ بن الأقمر[١] قال: سمعتُ أبا جُحَيفة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أمّا أنا فلا آكلُ مُتّكِئاً » أخرجه البخاريّ[٢] وأبو داود والنّسائيّ

قال المؤلف: روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس عند الأكل متوركاً على ركبتيه، ويضعُ بطنَ قدمِه اليُسرى على ظهر قدمه اليمنى » تواضعا لربه عزّ وجل، وأدباً بين يديه، واحتراما للطعام، وأدبا مع مؤاكليه، وهذه الهيئة التي كان يتهيؤها النبيّ صلى الله عليه وسلم عند الأكل أحمد الهيئات وأفضلها، لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعيّ الذي خلقها الله سبحانه وتعالى عليه، مع ما فيها من الهيئة الأدبية وقد رُوي عن أبيّ بن كعب قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه، ولا يأكل متكئا[٣] » وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) علي بن الأقمر بن عمرو بن الحارث الهمداني الوداعي الكوفي عن أبي جحيفة وأسامة ابن شريك، وعنه النسائي والأعمش. « الخلاصة »

(٢) صحيح البخاري، والحديث هكذا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا آكل متكئاً ». ولعل الزيادة فيه من المؤلف.

(٣) الطب النبوي.

قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كلْ متكئاً جعلنى الله لك الفداء ، قالت : فأصغى برأسه إلى الأرض ، ثم قال : « إنّمَا أنَا عَبدٌ ، أجلِسُ كما يَجلِسُ العبْدُ ، وَآكُلُ كما يَأْكُلُ العبْدُ » . وظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على أن المرادَ بالمتكئ المائل المعتمد على أحد شقّيه ، وإليه ذهب بعضهم ، وليس ذلك هو المقصود فى الحقيقة ، لكن المتكئُ هاهنا هو المعتمد على الوطاء الذى تحته ، والاتكاء مأخوذ من الوِكاء ، والمتكئُ : الذى أوْكأَ مَقعدتَه ، وشدَّها بالوكاء على الوطاء الذى تحته ، فيكون المعنى إنِّى إذا أكلتُ لم أقعد متّكئاً على الأوطئة والوسائد ، كفعل الجبابرة ، ومن يريد الإكثارَ من الطعام ، لكنى آكل بُلْغَةً وآكلُ أكلَ العبد ، وإلى ذلك ذهب الخطّابى رحمه الله .

الحديث الثانى

وهو السادس والثلاثون

عن الزُّهرى[1] عن سالم عن أبيه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَأكلَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُنبَطِحٌ عَلَى وَجْهِهِ[2] » . أخرجه ابن ماجه .

قال المؤلف : فى معنى هذا الحديث أدبٌ بين يدى الله عزّ وجل ، واحترام للطعام كما تقدم ذكره ، وهذه الهيئة المنهىُّ عنها تمنع من حسنِ الاستمراء ، فإن المرىء ، وهو مجرى الطعام والشراب ، وأعضاء الازدراد ، تضيق عند هذه الهيئة

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشى الزهرى ، أبو بكر المدنى ، أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام . مات سنة أربع وعشرين ومائة . « الخلاصة » .

(٢) زاد المعاد .

المنهى عنها ، والمعدة لاتبقى على وضعها الطبيعى ، لأنها تنعصر مما يلى البطن بالأرض ، ومما يلى الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس ، فأجود ما اغتذى الإنسان وأعضاؤه على وضعها الطبيعى ، ولا تكون كذلك إلا إذا كان الإنسان منتصبا الانتصاب الطبيعى . ومن جملة آدابه صلى الله عليه وسلم أنه كان لاينفخ فى طعام ولا شراب ، رُوِى عن ابن عباس قال : « لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ينفخُ فى طعامٍ ولا شراب ، ولا يتنفَّسُ فى الإناء »

الحديث الثالث

وهو السابع والثلاثون

عن عامر بن سعد بن أبى وَقَّاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنْ تَمْرِ العَالِيَةِ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ [(١)] » أخرجاه فى الصحيحين . وفى رواية عنه : « مَنْ أكلَ سبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بيْنَ لابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ يضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِى » .

قال المؤلف : التمر حار فى الثانية، يابس فى الأولى ، وقيل رطبٌ فيها ، وهو غذاء فاضلٌ ، حافظ لصحة أكثر الأبدان، مقوٍّ للحرارة الغريزية ، وهو من أفضل الأغذية فى البلاد الباردة والحارة ، التى حرارتها فى الدرجة الثانية، لبُرودة بواطن سكانها ، ولذلك يُكثِرُ أهلُ الحجاز واليمن والطائف وغيرها من البلاد المناسبة

---

(١) الطب النبوى . وفى الجامع الصغير رواية الحديث : « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر » . رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

لها من الأغذية الحارة : كالتمر والعسل ، ويُتَوْبِلُون طعامهم بالفلفل ونحوه ، ويوافقهم ذلك فى حفظ صحتهم ، وتمر العالية أصناف من أعلى التمر : ملزّز متين الجسم وغير ذلك . والعاليةُ : مكان بظاهر المدينة معروف ، ينسب إليه لجودته وبركته . قال بعض العلماء : العالية : ما كان من الحوائط والقُرَى والعمارات من جهة المدينة العليا ، مما يلى نجد ، والسافلة : من الجهة الأخرى مما يلى تِهامة ، قال : وأدنى العالية ثلاثة أميال ، وأبعدها ثمانية من المدينة . قال الشيخ محيي الدين النووى : أما فضيلة التصبُّح بسبع تمراتٍ منه ، وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها ، وعدد السبع من الأمور التى علَّمها لنا الشارع ، ولا نعلم نحن حكمها ، فيجب الإيمان بها ، واعتقادُ فضلها ، كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم .

[قلت : ويجوز نفعه من السم مطلقا بما فيه من تقوية الحرارة الغريزية ، ومتى حصل ذلك قويت القُوى كلها ، وقاومتِ السُّموم الحارة والباردة بقوّتها . ويجوز أيضا أن يكون بخاصيَّةٍ فى تمر الأماكن المذكورة ، وهذا لا ينكر حقًّا . قال القاضى عياض رحمه الله : تخصيصه صلى الله عليه وسلم[1]] ذلك بعجوة العالية ، وبما بين لابَتَيها ، يرفعُ الإشكال ، ويكون خصوصا لها ، كما يوجد الشفاء [لبعض الأدواء[2]] فى بعض الأدوية التى تكون فى بعض البلاد دون ذلك الجنس فى غيره ، لتأثير يكون فى ذلك من الأرض أو الهواء ، وأيضا فإن كثيرا من النباتات فى بعض البلاد أغذية مأكولة ، وفى بعضها سموم قاتلة ، لاختلاف الأهوية والأراضى .

---

(١) سقطت هذه السطور التى بين القوسين من خ .

(٢) أيضاً هذه العبارة سقطت من خ

قلت : هذا الذى ذكره القاضى رحمه الله صحيح ، وذلك كالنبات المسمى بيشا[١] ، فإنه ينبت بأرض الصين ، ببلد يقال له (هلاهل) قرب السد ، ويعلو قدر الذراع ، وله ورق كالهندبا ، يؤكل هناك رطبا ويابسا ، فإذا أبعد عن السد بمائة ذراع ، قتلَ آكِلَه ، ويقتل جميع الحيوان إلا الفأر والسَّلوى[٢] . فلا يبعد حينئذ أن يكون لتمر العالية خُصوصيَّة النفع من السم بالمدينة ونحوها ، وأيضا تمر اللَّبَخ[٣] ، فإنه كان يقتل آكلَه ببلاد الفرس ، فلما نقلت شجرَاته إلى مصر وبلادها ، زالتْ مضرَّتها إذا أُكلَتْ . وأما عدد السبع فأمر جاء فى الشرع منه فى هذا الباب كثير ، كقوله : « صبُّوا علىَّ من سبْع قِرب » وغير ذلك ، فكان هذا العدد مبالغة كثرة وتر الأفراد ، وكقوله تعالى : (سَبْعَ سَنَابِلَ) كما أن السبعين مبالغة كثرة العشرات ، كما جاء فى قوله تعالى : (إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) وكما أن سبع مئة مبالغة فى كثرة المئين ، كقوله إلى سبع مئة ضعف ، وكذا جاء فى سبعين ألف ملك وغير ذلك . قال بعضُ أهل اللغة : العرب تضع السبع موضع الكثير ، ولا تريد به الحصْر . قال صاحب إخوان الصفا : أما عدد السبع فلأنه أوَّل عددٍ كامل ، إذ العدد كمِّيَّة متكثِّرة مؤلفة من آحاد ، والواحد وإن كان أصل العدد فإنه ليس بأوَّله ، إذ أوَّل العدد الاثنان ، لأن العدد جماعةٌ منتظمة من وَحداتٍ أو كميةٍ متكثرة بآحاد ، والوحدةُ تخالفه ، فأقل الكثرة الاثنان ، وهو أوَّل العدد . والعدد نوعان : أزواج وأفراد ، فالسبعة جمعت

---

(١) (بيش) نبت هندى مشهور ، ينفع من البرص والجذام وفرط الرطوبات .

(٢) طائر يعرف بالسمانى . الواحدة (سلواة) .

(٣) اللبخ : شجر له تمر كالخيارشنبر ، يقطع الدم حيث كان شربا وذرورا ووجع الأسنان مضغا . ودخانه يطرد الهوام ، وهو يصدع ، وأكل لبه يورث الصمم .

معانى العدد كله شفعِهِ وَوِتْرِه ، فلذلك جُعلت أوَّل العدد الكامل، لأن الأزواج منها أوَّل وثانٍ ، وكذلك الأفراد، فالاثنان أول الأزواج ، والأربعة زوج ثان ، والثلاثة أول الأفراد ، والخمسة فرد ثان ، فإذا جمعْتَ « فرد ثان » إلى أول زوج ، و « زوج ثان » إلى فرد أول ، كانت منهما سبعة . وكذلك إذا أُخذ الواحدُ الذى هو أصل العدد مع الستة التى هى على مذهب الحكماء ، عددٌ تام ، تكوّن منهما سبعة التى هى عدد كامل ، لأن الكمال درجة فوق التمام . وهذه الخاصية لا توجد لعدد قبل السبعة ، فلهذا أشار إليها النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ونصّ عليها دون غيرها ، والله أعلم .

وقوله : « لم يضرّهُ ذلكَ اليوم سُمٌّ ولا سِحْر » والسم : مادة حيوانية رديئة منافية بالذات لحياة الإنسان ، ولحياة أكثر الحيوان . وفيه ثلاث لغات : فتح السين وضمها وكسرُها ، والفتح أفصح ، وجمعه سِمام وسُموم . وهو نوعان : حارّ كسم الأفاعى ، وبارد كسم العقارب والرُّتَيْلا وغيرهما . وأما السحر فهو الأخذة وكل ما لطُفَ مأخذهُ ورقّ فهو سحر . قال الجوهرى : وهو أيضا فى كلامهم الصَّرْف والخديعة ، ويقال : هو إخراج الباطل فى صورة الحق ، وقد يكون قولا كالرُّقية، وفعلا كالتدخين ، وله حقيقة عند الشافعى رضى الله عنه ، فهو يؤثر فى إيلام الجسم وإتلافه ، ويحرُم فعلُه وتعلمه . قال العلماء : فإنَّ تعلمه لا يكفّر إلا إذا اعتقِدَتْ إباحته . ويجب عند الشافعىّ على القاتل القَوَد خلافا لأبى حنيفة . وقال مالك : الساحر كافرٌ يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تُقبل توبتُه . ورُوى عن البخارىّ رحمه الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قدم رجلان من المشرق فخطبا ، فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ مِنَ البيَانِ

لَسِحْرًا » قال الأزهرىّ : يعنى منه ما يصرف قلوب السامعين إلى ما يسمعونه وإن كان باطلا .

قال الغزالىّ رحمه الله فى تعريفه للسحر : إنه نوع يستفاد من العلم بخواصّ الجواهر ، بأمور حسابية من مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويرصد له وقت مخصوص فى الطالع ، ويكون به كلمات يتلفظ بها من الكفر ، والفحش المخالف للشرع ، ويتوسل بها إلى الاستعانة بالشياطين ، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة، أحوال غريبة فى الشخص المسحور . وبالجملة فتعلُّم السحر مذموم إذا قصد به الإضرار بالخلق ، والوسيلة إلى الشرّ شرّ ، لأدائه إلى الضرر. واعلم أن حَلّ السحر مندوب إليه ، ومثاب عليه ، فليس حل السحر سحر ، كما ذهب إليه بعضهم ، وتورّع عن فعله ، فقد رُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاس[1] » ، وأنه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يأتى أهله فيغتسل وأنه سأل الله تعالى حتى أطلعه على ذلك السحر ، ومَن سَحره ومكانَه الذى كان فيه حتى ذهب إليه ، وأخرجه كما جاء فى الحديث الصحيح . وسئل الإمام أحمد وسعيد بن المسيب ، عن المرأة تأتى إلى من يُطْلِق عنها السحر ؟ فقالا : لا بأس وإنما وجه الكراهة إذا كان حَلّه بأشياء غير شرعية ، وقد يكون الرجل يحسن السحر فى بدء حاله ، ثم يتوب، فلا بأسَ أن ينفع الناس بعلمه . وقد روى عن أبى القاسم على بن الحسن، عن أبيه قال : كانت امرأة تشتكى ، فقيل : هى مسحورة ، فقال : خذوا خرْدلا فذرُّوه فى الدار ففعلوا ، فلما كان بعد ساعة طلُب الخردل ،

---

(١) الجامع الصغير .

فلم يوجد ، فقال فتشوا ! فإذا به قد اجتمع فى حلقة الباب حُفَر نحو ستة أذرع ، و إذا صورة شمع مثل صورة المرأة المسحورة ، والله تعالى أعلم

الحديث الرابع

وهو الثامن والثلاثون

عن إبراهيم بن سعد(١) عن ابنه ، عن عبد الله بن جعفر قال : « رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَأ كلُ الرُّطَبَ بِالقِثَّاء » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : الرُّطَبُ : رَطْبٌ فى الثانية ، يقوِّى المعدة الباردة ، ويوافقها و يزيد فى الباه ، لـكنه سريع التعفن ، معطِّشٌ، معكر للدم، مصدِّعٌ ، مولِّد للسُّدد ووجع المثانة ، ردىء للأسنان . والقثاء بارد رطب فى الثانية ، مسكن للعطش ، منعش للقوى بشمه، لما فيه من العطرية ، ملطف لحرارة المعدة الملتهبة ، عسر الفساد فيها ، و إذا جُفِّفَ بِذره ودُقَّ واستُحْلِبَ بالماء وشُرب ، سكَّن العطش ، وأدر البول ، ونفع من وجع المثانة ، و إذا دُقَّ ونخلَ ودُلـكت به الأسنان جلاها ، و إذا دُقَّ ورقه وعُمل منه ضِمادٌ مع الميبختج(٢) نفع من عضة الكلب . و بالجملة فإن كلَّ واحدٍ منهما فيه إصلاح للآخر ، مزيل لأ كثر ضرره . وهذا الفعل من النبىّ صلى الله عليه وسلم فيه إثبات علم الطب ، وجواز التقدم بحفظ الصحة ، إذْ قابلَ الشىء الحار بالشىء المضادِّ له ، وفى استعمال ذلك وأمثاله من الأغذية ،

---

(١) إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص الزهرى أبو إسحق المدنى عن أبيه ،وأسامة بن زيد ، وعنه حبيب بن أبى ثابت وأبو جعفر الباقر « الخلاصة »

(٢) فى تذكرة داود (ميبختج) يراد به أغلوق ،وهو عقيد العنب .

إصلاح وتعديل لمزاج الأخلاط، وسبب لحفظ صحة البدن وتسمينه ، ويؤيد ذلك ما رُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سمّنونى بكل شىء فلم أسمن ، فسمّنونى بالقثاء والرُّطب فسمنت .

الحديث الخامس

وهو التاسع والثلاثون

عن أنس بن مالك(1) رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنَفَّسُ فى الشَّرابِ ثلاثاً ، ويقول: إنَّهُ أَرْوَى وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ » . أخرجه مسلم .

قال المؤلف : المرادُ بالشرَابِ هاهنا : الماء ، وهو أحد الأركان ، ومخصوص من جملتها بأنه وحده يدخل فى جملة ما يتناول ، لا لأنه يغذو ، بل إنه يُنفِذُ الغذاء ، ويصلح قَوامه ، ويعين فى تسهيله وترقيقه ، ومن يتناول طعاما لا يستغنى عن معونته هذه فى تمام أمر الغذاء ، وهو يحفظ على البدن رطوبته الغريزية ، ويردُّ إليه ما ينقُص منها من داخله وخارجه . وقوله : ومعنى يتنفَّسُ فى الشرَاب : أى خارج الإناء ، والماء الخالص المفرد بارد رطب ، والمياه مختلفة لا فى جوهر المائية ، لكن بحسب ما يخالطها ، وبحسب الكيفيات التى تغلب عليها . وسيأتى الكلام مستقصيا فيه ، فى الباب العاشر عند ذكر الماء . وقوله : أروَى ، مشتقٌ من الرِّىّ ، وهو معروف . وأبرأ : من البرء ، وهو الشفاء ، أى يُبْرِئُ من شدة العطش لتردُّدِه على المعدة الملتهبة دَفَعات ، فتسكّن الدفعة الثانية ما عجزتِ الأولى عن تسكينه ، والثالثة

---

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصارى ، خدم النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، مات وقد جاوز المائة سنة تسعين أو بعدها ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة . « الخلاصة »

ما عجزت عنه الثانية ، ويكون ذلك أسلم ، وآمن غائلة من تناول جميع ما يرويه في دفعةٍ واحدة ، لئلا يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده ، أو يضعفها فيؤدي ذلك إلى فساد مزاج المَعدة والكبد ، وأمراض رديئة ، وخصوصا سكان البلاد الحارة ، كالحجاز واليمن ونحوهما ، لضعف الحرارة الغريزية في بواطن أهلها ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا شَرِبَ أَحَدُكُم فَلْيَمَصَّ المَاءَ مَصًّا ، وَلا يَعُبُّ عَبًّا ، فإِنَّهُ مِنَ الكُبَادِ[١] » رواه عبد الله بن المبارك ، عن معمر عن أبي حسين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه البيهقيّ . قال الخطابيّ : الكُباد : وجع الكبد . والعبُّ : جرْع الماء جُرَعا كبارا متواترة . قال أهلُ اللغة : العبُّ : هو بعيْن مهملة . وقد روى عن سعيد بن المسيب عن ربيعة بن حكيم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستَاكُ عرْضاً ، ويشْرَبُ الماءَ مصًّا ، ويتنفَّسُ ثلاثاً ، ويقول : هُوَ أهْنَأُ وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ[٢] » . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتشْرَبُوا نفَسًا وَاحِداً كشُرْبِ البَعِيرِ ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مثْنَى وَثُلَاثَ ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتمْ شَرِبْتُمْ ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتمْ فَرَغْتُمْ[٣] » أخرجه الترمذي . ومعنى أمرأ : أي أسرعُ انحدارا عن المرىء وأعلى المعدة ، مشتقٌّ من قولهم : استمرأ طعامه ، إذا انحدر من فم معدته . وذهب بعضهم أنه يُمرئُ البدن وينميّه ويربيّه ؛ وفيه نظر ، لأنه لايغذوه . رُوى عن ابن مسعود قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا شرب تنفَّسَ على الإناءِ ثلاثةَ أنفَاسٍ ،يحْمَدُ

---

(١) الطب النبوى .

(٢) الجامع الصغير . رواه البغوى وابن قانع ، وابن السنى وأبو نعيم فى الطب .

(٣) الطب النبوى .

اللهَ على كلِّ نفَسٍ، ويشكُرُهُ عندَ آخرِهن». وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «شربَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفَسٍ واحدٍ وكان يشرَبُ الماءَ جالسا، وربّما شرِبَهُ قائما» وعن قتادة عن أنس قال: «نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يشرَبَ الرَّجلُ قائما[1]». انفرد بإخراجه مسلم. قال الخطَّابى: هذا نهى تأديب وتربية؛ وقد رُوى أن النبى صلى الله عليه وسلم شرِبَ قائما. قيل: وذلك محمول على حالة الضرورة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما فعله حين شرِبَ منْ ماءِ زمزَمَ قائما، لأن القعود والطمأنينة متعذِّرة فى ذلك المكان، لازدحام الناس فى ذلك المقام، فرخَّص فيه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا المعنى. قال مالك: اختلف الناسُ فى الشرب قائما، فأجازه عمر وعثمان وعلىٌّ، وجمهورُ الفقهاء، وكرِهَهُ قومٌ، للأحاديث المذكورة فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن الشرب قائما. قال بعض العلماء: ووجه الجمع بين الأحاديث المذكورة: أن النهى محمولٌ على كراهيَة التَّنزيه. وأما شربه صلى الله عليه وسلم، فلبيان الجواز

قال المؤلف: ولا ينبغى أن يشرب من فم قربة أو سطيحة، فإنه لايدرى ما يأتى إلى فمه؛ ثم إن المصَّ من القربة والسطيحة يملأ البطن ريحا، فقد رُوى عن أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اختِناثِ الأسقية[2]». أخرجاه فى الصحيحين.

---

(١) الفتح الكبير للسيوطى، رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

(٢) الجامع الصغير، لأحمد فى مسنده، ولعدة من الرواة الثقات.

ومعنى اختناثها : أن يَثنى رءوسها ثم يشرب منها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُشرَبَ مِن فى السِّقَاء[(١)] » . رواه البخارى . وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُتَنَفَّسَ في الإناء أو يُنْفَخَ فيه » . رواه أبو داود والترمذىّ . قيل يُحتمل أن يكون النهى لمن يَرُدُّ من الرِّيق والرطوبة من الفم فيقع فى الماء ، وربما كانت النَّكهَةُ متغيرة ، فتعلق الرائحة بالإناء وبالماء لرقته ولطافته ، فيكون الأحسن فى الأدب أن يتنفس بعد إبعاد الإناء عنه .

الحديث السادس

وهو الأربعون منها

عن سعيد بن أبى عبيدة قال: حدثنى البرَاء بن عازب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا أَتَيْتَ مضْجَعَكَ فتوَضَّأْ وُضُوءكَ لِلصَّلاَةِ ، ثمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ ، وَقُلِ : اللهُمَّ أسْلمتُ نفْسِى إليْكَ ، وَفَوَّضْتُ أمْرِى إليْكَ ، وَألْجأتُ ظَهْرِى إليْكَ ، رَغْبةً وَرَهْبةً إليْكَ ، لاملجأَ وَلا منْجَى مِنْكَ إلاَّ إليْكَ ، آمنتُ بِكتَابِكَ الَّذِى أنزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِى أرْسَلْتَ ، فإنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ ، فاجْعلْهُنَّ آخِرَ ما تقُول ، فقلْتُ أسْتَذْكِرُهُنَّ : وبِرَسُولِكَ الَّذِى أرْسلْتَ ، قال : لا وَنَبِيِّكَ الَّذِى أرْسَلْتَ » . أخرجاه فى الصحيحين .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم « إذا صلَّى ركعتى الفجر اضطجع على شِقه الأيمن » . أخرجه البخارى .

---

(١) صحيح البخارى ، والرواية عن أبى هريره . أما رواية ابن عباس فالحديث هكذا : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فى السقاء » .

قال المؤلف : المَضْجَع بفتح الجيم ، والاضطجاع معروف . والوضوء فى اللغة : النظافة ، يقال رجلٌ وضيء الوجه : أى نظيف الوجه ، وفى الشرع : عبارة عن غسل أعضاء الوضوء بنية الوضوء [للصلاة(١)] . ومعنى أسلمت وجهى : أى خضعتُ بوجهى ، ومن ذلك قوله تعالى : (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ) . وإنما خصَّ الوجه بالذكر ، لأنه أكرم جوارح الإنسان وقيل : الوجه العمل . « وفوَّضتُ أمرى إليك » : أى رددته إليك . « وألجأتُ ظهرى إليك » : أى توكلْتُ عليك فى أمرى كله ، كما يعتمد الإنسانُ بظهره إلى مايسنده . « ورغبة » : يعنى طمعا . « ورهبةً » : يعنى خوفا . « ولا ملْجأ » أى لا ملاذ . « وَلا منْجَى » : أى لانجاة من الله إلا إليه ، والنجاة : السلامة ، « والفطرة » هاهنا : فطرة الإسلام

وأما النوم ، فهو حالة للبدن ، يتبعها غور الحرارة الغريزية . والقوى إلى باطن البدن ، لطلب الراحة ، فمنه طبيعىٌ ، وغير طبيعىٌ . وهو إمساك القوى النفسانية عن أفعالها ، وهى قُوَى الحس والحركة الإرادية ، ومتى أمسكتْ هذه القوى عن تحريك البدن ، استرخَى واجتمعت الرطوبات والأبخرة ، التى كانت تتحلل وتتفرق بالحركات واليقظة ، فى الدماغ الذى هو مبدأ هذه القوى ، فيتخدَّر ويسترخِى ، وذلك هو النوم الطبيعىٌ . وأما النوم الغير الطبيعىٌ فيكون لعارض أو مرض ، وذلك أن تستولى الرطوبات على الدماغ ، استيلاء لاتقدر اليقظة على تفريقها ، أو تصعَد أبخرةٌ رطبة كثيرة ، كما يكون عقب الامتلاء من الطعام والشراب ، فتثقِّلُ الدماغ وترخيه ، فيتخدَّر ، ويقع إمساكُ القوى النفسانية عن أفعالها ، فيكون النوم

(١) إضافة من المحقق

وللنوم فائدتان : إحداهما : سكون الجوارح وإراحتها مما يعرض لها من التعب ، فيريح الحواسّ من نصَبِ اليقظة ، ويزيل الإعياء والكَلال . والثانية : هضم الغذاء ونُضج الأخلاط ، لأن الحرارة الغريزية فى وقت النوم تغور إلى باطن البدن ، فتعين على ذلك ، لهذا يَبْرُد ظاهرُه ، ويحتاج النائم إلى فضل دثار

وأفضلُ هيئة النوم ما كان أوّلا على الشِّقِّ الأيمن ، ليستقر الطعامُ بهذه الهيئة فى المعدة ، استقرارا حسنا ، لأن المعدة أميل إلى الجانب الأيمن قليلا ، ثم على الشقِّ الأيسر ، ليسرع الهضم بذلك ، لاستمالة الكبد على المعدة ، ثم أخيرا على الجانب الأيمن ، ليكون الغذاء أسرع انحدارا عن المعدة ، ولأن كثرة النوم على الجانب الأيسر مضرٌّ بالقلب ، بسبب ميل الأعضاء إليه .

رُوى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه كان إذا نامَ وضعَ يدهُ اليمنى تحت خدّه[١] » .

وعن حذيفة رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نامَ وضع يدهُ اليمنى تحت خدّه وقال : اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ ، يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ[٢] » . رواه الترمذىّ .

وأفضل النوم هو ما كان بعد انحدار الطعام من البطن الأعلى ، ويكون ما عسى أن يتبعه من النفخ والقَراقر[٣] ، فإن النوم عقيب الامتلاء مضرٌّ بالرُّوح والجسد .

---

(١) هو من الحديث الذى يليه . (٢) الجامع الصغير . لعدة من الرواة .

(٣) القراقر : هى الأرياح .

وقد رُوِى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ : الحمدُ لِلّهِ الّذِى رَدَّ علىّ رُوحِى وَعافَانِى فى جَسَدِى ، وَأَذِنَ لِى بِذِكْرِهِ » . رواه النَّسائى .

والنوم المعتدل ممكّن للقوى الطبيعية من أفعالها ، مريح للقوة النفسانية ، مكثِّر من جوهر حاملها ، حتى إنه ربما عاد بإرخائه مانعا من تحلل الأرواح . ونوم النهار ردىء يورث الأمراض لرطوبية والنوازل ، ويفسد اللون ، ويُورث الطِّحال ، ويرخِى العَصَب ويُكسِل ، ويضعف الشهوة ، فيجب أن يُتجنَّبَ إلا فى الصيف وقت الهاجرة .

رُوى : « أن رجلاً أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى كنت فى الجاهلية ذا فطنة ، وذا ذهن ، فأنكرتُ نفسى فى الإسلام ، فقال له : كُنْتَ تنَامُ القَائِلة ؟ قال : نعم ، قال : فعُدْ إلى ما كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ نَوْمِ القَائِلةِ » .

ورُوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اسْتَعِينُوا على قِيَامِ اللَّيْلِ بِقَيْلُولَةِ النَّهَارِ » . ورُوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قيلُوا فإِنَّ الشَّيَاطِينَ لا تَقيلُ » . ورُوى عن ابن عباس أنه قال لبعض أولاده ، وقد رآه نائما نومة الصُّبحة ، فقال له : قم لا أنام الله عينك ، أتنام فى الساعة التى تقسَّم فيها الأرزاق ؟ أما علمت أن فى نوم النهار ثلاثة : خُلق ، وخُرْق ، وحُمق [١] فأما الخلق فنومه فى الهاجرة ، وهى خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الخُرق فنومة الضحى ، تَشْغَل

---

(١) رواية الحديث فى (الطب النبوى) هكذا : « فقال له : قم أتنام فى الساعة التى تقسم فيها الأرازق » .

عن أمر الدنيا والآخرة . والُخرق بضم الخاء : صُنعُ الشيء بغير علم ، ولا تقدير

رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ » . قال علماء الطب : ونوم الغداة هو بعد الانتباه من نوم الليل والقيام ، وقبل التَّبرُّز والحركة الرياضية والاغتذاء . وهو مُضِرٌّ جدا، لإرخائه البدن، و إفساده الفضلات التى يجب تحليلها بالرياضة ، فتحدث تكسُّرا و إعياء وضعفا . وأما الحمق : فنومة ما بعد العصر ، لاينامها من الأصحاء إلا أحمق أو سكران ، قال الشاعر :

أَلا إِنَّ نَوْمَاتِ الضُّحَى تُورِثُ الفتى   خُمُولاً وَنَوْمَاتُ العَشِىِّ جُنُونُ

وقد رُوى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَامَ بَعْدَ العصْرِ فاخْتُلِسَ عقلُهُ ، فَلاَ يلُومَنَّ إلاَّ نفسَه[1] » وذكر بعضهم : أن النوم فى القمر يحيل اللون إلى الصفرة ، ويثقِّل الرأس. والنوم فى الشمس ينشر الداء الدفين . ونوم الإنسان بعضه فى الشمس، ونصفه فى الظِّلِّ ردىء منهىٌّ عنه ، وكذلك قعودهُ فيها .

روى عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس[2] » . رواه ابن ماجه .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا كانَ أحَدُكُمْ فى الشَّمْسِ، فقلَصَ عنهُ الظِّلُّ، فصارَ بعْضُهُ فى الشَّمْسِ وَبعْضُهُ فى الظِّلِّ، فليقُمْ[3] » . رواه أبو داود . وقيل : إن الحكمة فى قوله صلى الله عليه وسلم :

(١، ٢، ٣) الجامع الصغير .

« ثمَّ اضْطَجِعْ على شِقِّكَ الأيمن » : لئلا يستغرق فى النوم لتعلق القلب الذى هو أميل إلى جهة اليسار حينئذ ، إلى جهة اليمين ، وقلق النفس من ذلك ، بخلاف قراره فى النوم جهة اليسار ، ودَعَة النفس لذلك . وأردأ صفات النوم : ما كان فيه الإنسان منبطحا على وجهه ، ويدل عليه قول أبقراط فى « تقدمة المعرفة » حيث قال : وأما نوم المريض على بطنه من غير أن تكون عادة فى صحته جرت بذلك ، فذلك يدلُّ على اختلاط عقل ، وعلى ألم فى نواحى البطن ، وقيل فى تفسير ذلك : لأنه خالف العادة الجيدة ، إلى هيئة رديئة ، من غير سبب ظاهر ولا باطن ، ويدل عليه أيضا ما روى فى الحديث ، عن أبى أُمامة قال : « مرَّ النبىّ صلى الله عليه وسلم على رجل نائم فى المسجد ، منطبح على وجهه . فضربَهُ برجله وقال : قُمْ أوِ اقعُدْ ، فإنَّها نَوْمةٌ جَهَنَّمِيَّة » . رواه ابن ماجه

حكاية ذكرها ابن عبد ربه فى كتاب العقد ، قال : دخل المغيرة بن شُعْبة على معاوية ، فقال له معاوية : قد أنكرتُ من نفسى خَصْلتين : قلَّ طُعمى ، ورَقَّ عظمى ؛ فإن تدثرت بالثقيل أثقلنى ، وإن تدثرت بالخفيف أصابنى البرد ، فقال له المغيرة : نم يا أمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين تدفِّيانك بشحومهما ، وتحملان عنك ثقل الدثار بعنا كبهما ، وأكثِرْ منَ الألوان ؛ فكل من كلٍّ لون ولو لقمة ، فإنَّ ذلك إذا اجتمع صار كثيرا ، فدخل عليه بعد ذلك ، فقال له معاوية : قد جربنا ما قلت ، فوجدناه موافقا . والله أعلم .

الباب الثالث

في بيان أصل الطب ، وذكر الواضع له ، وهل هو وحي أو تجربة أو قياس ؟ وذكر فضيلته ، وموافقته للعقل والشرع ، وذكر ضرورة الموت

اختلف العلماء في أصل الطب، والواضع له ، فقال أبقراط في كتابه : هو إلهام من الله عزّ وجل . وقال آخرون: إن شيث بن آدم عليهما السلام أظهر الطبّ ، وإنه وَرِثَهُ عن آدم ؛ وقيل إن بعضهم رأى في المنام أدوية ، فاستعملها فشُفِيَ ، وقيل : بل حصلَ بالتجربة ، وقيل : بالقياس ، وقيل : وقعَ بالاتفاق .

قال إسحاق بن حُنين في تاريخه : إن قوما من أهل مصر استخرجوا الطبّ والسبب في ذلك أن امرأة كانت بمصر شديدة الهمّ والحزن، ضعيفة المعدة، وصَدرُها مملوء أخلاطا رديئة ، وكان حيضُها محتبسا ، فاتفق أن أكلتِ الرّاسَن (١) ، وهو دواء معروفٌ عند الأطباء شهوةً منها ، فذهب عنها جميعُ ما كان بها ، ورجعتْ إلى صحتها . وجميعُ من كان به شيء استعمله فبرَأَ به ، فاستعمل الناسُ التجربة

---

(١) كذا في خ . وفي ل : أكلت الراين وهو داء معروف . والراسن يسمى حزنبل ، ويقال له الجناح الرومي والشامي ، وبعضهم يسميه قسطاً، لشبه بينهما ، وهو حار يابس في الثانية أو في الثالثة . من اكبر أدوية المعدة ؛ وينفع الكبد والطحال واسترخاء المثانة والبول في الفراش وأوجاع المفاصل والظهر وحبس الطمث وأمراض الصدر كالربو والرأس والشقيقة شرباً، ويحلل الأورام . وينفع من النهوش مطلقا . كما أنه يهيج الشهوتين. وهو يصدع ويخرج المني ، ويصلحه الخل والمصطكي والربوب الحامضة . وشربته إلى مثقالين .

من ذلك الوقت . وقيل : إن الهند استخرجته ، وقيل : السَّحَرة ، وقيل : إن هرمس ، وهو إدريس عليه السلام استخرج الصنائع ، والفلسفة ، والطب ، وإنه أول من وضعه وتكلم فيه . والأغلب : أنه من تعليم الله عزّ وجل ووحيه وإلهامه ، ثم أضاف الناسُ إليه التجاربَ والقياس . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كانَ سُليمانُ بنُ داوُدَ عليهِما السَّلامُ إذا صلَّى رَأى شجرَةً نابِتةً بيْنَ يَدَيْهِ فيَسْألُها : ما اسْمُكِ ؟ ما نفعُكِ ؟ فإنْ كانَتْ تغْرَسُ غُرِسَتْ ، وَإِنْ كانَتِ الدَّوَاء كُتِبَتْ » .

وقد شاهدنا جميع الناس ، وبعض الحيوانات يستعملون الطبّ طبعا وإلهاما ، فإن الإنسان إذا أحسّ بالجوع طلب الغذاء ، وإذا أحسّ بالعطش تناوَل الماء ، وإذا ناله الحرُّ أوَى إلى المكان البارد وبالضد . وإذا أتخم امتنع عن الأكلِ إلى أن تزول تُخَمَتُه ، وذلك جميعُه طبّ ، إذ هو استعمال النافع ودفع الضارّ ، ولا معنى للطبّ غير ذلك . ومما نراه إلهاما أنّ الحيات إذا خرجن من أجحارهنّ بعد الشتاء ، لطلب الغذاء ، وقد قلّ نظرُها ، تتأتى إلى نبات الرازَيانج ، فتأكل منه ، وتقلّب أعينها عليه ، فتعود لإبصارها كما كانت ، وبذلك تنبّه له الأطباء على استعمال ماء الرازَيانج عند ظلمة البصر . ومن ذلك أن الطائر الغوّاص إذا أكثر من أكل السمك ، لحقه احتباس الطبيعة فيألم من ذلك ، فيحقن نفسه بماء البحر بمنقاره ، فيسهلها . فاستعمله الأطباء حقنا للإسهال . ومن ذلك أن الخُطّاف إذا عمىَ حملت إليه الأم نبات الماميران من الصين ، فيعود بصره ومن ذلك أن النسور إذا أرادتِ الأنثى أن تبيض ، وتعسّر عليها ذلك ، أتى الذكر الهند

إن كان قريبا[١] ، وأخذ الحجر الذى يسمى أكتمكت[٢] ، وهو حجر صغير كالبندق فيه تفرطح يسير يميل إلى الغبرة ، إذا حركته سمعت الحجر آخر فى جوفه حركة ، وأتى به من هناك ، وجعله تحتها ، فيسهل البيض عليها ، ويذهب الوجع عنها . ومن ذلك أن الثعالب فى زمن الربيع تأكل من الحشيش ما يسهلها أخلاطا مختلفة ، قد اجتمعت فى أبدانها حتى تحسن بالصحة ، وكذلك السنانير لتعينها على القىء ، ومعلوم أن الحشيش ليس من أغذيتها ، وإنما هو إلهام من الله سبحانه وتعالى لذلك ، ليكون سببا لحفظ صحتها . وذلك أن الله سبحانه وتعالى « أعطى كلَّ شىء خلقَهُ ثمّ هدَى » .

وأما فضيلة علم الطب وشرفه ، فهو أن كلّ صناعة ، إنما تشرُفُ بشرف موضوعها ؛ وموضوع صناعة الطب بدن الإنسان . الذى شرّفه اللهُ تعالى على جميع المخلوقات ، وجعل الكل كالخادم له ، ورفعَ قدره بالعقل الذى منحه إياه ، ووجَّه الخطابَ إليه ، واجتباه وراسلَهُ بالمرسلين ، ونصَّ على تكريمه فى الكتاب المبين ، فقال عزَّ من قائل : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) .

وقد رُوِىَ عن عبد الله بن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العِلْمُ ثَلَاثَةٌ فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ : آيَةٌ مُحْكَمَةٌ ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ » رواه الترمذىّ وابن ماجه .

---

(١) هذه الجملة لا توجد فى : خ

(٢) هذا الحجر يحلل الأورام ، ويحبس الدم ويحمل فيمنع الإسقاط ، فإذا جاء وقت الولادة سهلها ، ولا يختص بالحيوان ، بل يكثر به انتشار زهر الشجر أيضا ، ويقوى إنضاجه .

والطب : من جملة السُّنن القائمة ، لأنه صلى الله عليه وسلم فعله وأمر به ، ولا معنى للسنة غير ذلك . والدليل على أنه من السنة أيضا ، قوله صلى الله عليه وسلم : « خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِينَ : الحَيَاءُ ، وَالحِلْمُ ، وَالحِجَامَةُ ، وَالسِّوَاكُ ، وَالتَّعَطُّرُ (١) » . رواه البزار وغيره .

وقد عُلم أن جسدَ الإنسان كالمَرْكَب له ، يقطع فيه بحر الدنيا . ومن المُتعيِّن على كل عاقل حراسة مركبه، لسلامة نفسه ، التي هي محلّ الراكب، ليبلغ غرَضَهُ من سفره ، ولأن الإنسان مجبول على صيانة نفسه عما يؤذيه طبعا ، وأنّ هذا البدن مخلوقٌ من أمشاجٍ مختلفة ، ومصنوع من أشياء غير مؤتلفة ، وقِوامه وحفظه بتعديل مزاجه ، الذى هو سببٌ لحفظ صحته ، وذلك يكون باستعمال النافع ودفع الضارّ ، وهو غرَضُ الطب .

واعلم أن الأسقامَ التى تلحق الإنسان تحلّلُ رطوباته الأصلية، التى منها خُلِق، وتَعفُّنُها وتغيُّرها عن الصلاحية لإمداد الحياة . وصناعة الطبّ تمنع العفونةَ وتحفظ الرطوبةَ عن سرعة التحلُّل إلى مدة يقتضيها مزاجُ ذلك الشخص ، وهو العمرُ الطبيعىّ ، فإذا سلِمَ من الأسباب المهلكة مُدة الحياة ، فنيتِ الرُّطوباتُ الأصلية ، باستيلاء الحرارة عليها ، وانتشاقِ الهواء المحيط بمادتها ، فجفّتِ الأعضاء، ولم يبق للحرارة الغريزية ما تتعلق به كتعلقِ وقود السراج بالزيت ، فكان ذلك الموت الطبيعىّ ؛ وما أحسن قوله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى « مثَلُ ابْنِ آدَمَ وإلى جَنْبِهِ تِسْعةٌ وَتِسْعُونَ مَنِيَّةٌ ، إِنْ أَخْطَأَتْهُ المَنَايَا ، وَقَعَ فى الهرَمِ

---

(١) فى الطبرانى الكبير . الجامع الصغير ، والرواية لابن عباس أيضا . والحديث هكذا : «خمس من سنن المرسلين : الحياء ، والحلم ، والحجامة ، والتعطر ، والنكاح » .

حتى يموت[١] » أخرجه الترمذى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال « خط النبى صلى الله عليه وسلم خطًّا مربعًا ، وخط خطًّا فى الوسط ، وخط خطًّا خارجا ، وخط خطوطا صغارا من جانبى الخط الذى فى الوسط ، ثم أشار إلى الخط الذى فى الوسط ، فقال : هَذا الإنْسَانُ ، وَهَذا أجلهُ مُحِيطٌ بِهِ ، أوْ قَدْ أحَاطَ بِهِ ، وَهَذا الّذِى هُوَ خارِجٌ أمَلُهُ ، وَهَذِهِ الخطوط الصِّغَارُ الأعْرَاضُ ، فإنْ أخْطأهُ هَذا نهشَهُ هَذا ، وَإنْ أخْطأهُ هَذا نهشَهُ هَذا » رواه البخارى ، ورواه أبو نعيم فى الطب النبوى بمعناه ، وزاد فيه « وَالأجَلُ قَدْ حالَ دُونَ الأمَلِ » وهذه صفته . قال صلى الله عليه وسلم : « لوْ لَمْ يَكُنْ لابْنِ آدَمَ إلاّ السّلامَةُ وَالصِّحّةُ لَكَفَتَاهُ دَاءً » . رواه أبو داود عن الحسن رضى الله عنه . وعن أنس رضى الله عنه قال : « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّا وقال : هَذا الإنْسَانُ ، وَخط إلى جنبه خطًّا وقال : هَذا أجلهُ ، وخط خطًّا آخرَ بعيدا منهُ وقال : هَذا أملهُ ، فبَيْنما هُوَ كَذَلِكَ إذْ جاءَهُ الأقْرَبُ » . رواه البخارى والترمذى .

قال النَّمِر بن تَوْلَب[٢] :

يَوَدُّ الفتى طُولَ السّلامةِ جَاهِدًا ... فكَيْفَ تَرَى طُولُ السّلامةِ يَفْعَلُ

يُعِيدُ الفتَى مِنْ بَعْدِ حُسْنٍ وَصِحّةٍ ... يَنُوءُ إذا رَامَ القِيَامَ وَيُحْمَلُ

---

(١) الجامع الصغير .

(٢) النمر بن تولب : من عكل ، وكان شاعرا جوادا ، يسمي الكيس ، لحسن شعره ، وهو جاهلى أدرك الإسلام وأسلم .

وقال عمرو بن قَمِيئة(١) :

كانَتْ قَنَاتِي لا تَلِينُ لِغَامِزٍ فَألَانَها الإصْبَاحُ وَالإمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلامَةِ جَاهِدًا(٢) لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلامَةُ دَاءُ

وقال حُمَيْدُ بن ثور الهلالي(٣) :

«أرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَا(٤) يَلْبَثُ العَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا»

وقال النابغة(٥) :

« المَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهْ
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْقَى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهْ(٦) »

---

(١) عمرو بن قميئة : قديم جاهلي . كان مع حجر أبي امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى بلاد الروم صحبه معه . « الشعر والشعراء ج ١ »

(٢) في خ : دائما . والأصل أصح .

(٣) وقيل ابن حزن بن عامر بن أبي ربيعة . يتصل نسبه بنزار بن معد، أبو المثنى أحد المخضرمين من الشعراء ، أدرك الجاهلية والإسلام . ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه . « معجم الأدباء » . والبيتان : في ديوانه (طبعة دار الكتب ص ٨)

(٤) كذا في صحة البيت : وفي ل ، خ : إذا

(٥) قيس النابغة الجعدي : هو عبد الله بن قيس ، من جعدة بن كعب بن ربيعة ، وكان يكنى أبا ليلى ، وهو جاهلي ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجَرَّةِ نَيِّرَا
بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال له رسول الله : إلى أين أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله . « الشعر والشعراء » طبعة ليون ص ١٥٨ — ١٥٩ .

(٦) في خ زيادة هذين البيتين ، وقال غيره :

قيل : سُئِلَ أبو العيناء وقد ضعُفَتْ قواه من الـكِبَرِ : كيف أصبحت ؟ فقال : فى الداء الذى يتمناه ، وأُنْشِد لسيبويه :

« أرَانى فى انْتِقَاصٍ كلَّ يَوْمٍ وَلا يَبْقَى عَلَى النقْصَانِ شَئٌ
طَوَى العصْرَانِ ما نَشَرَاهُ مِنِّى وَأخْلَقَ جِدَّتِى نشْرٌ وَطَىٌّ[١] »

فالموت إذن ضرورىّ لا سبيل إلى دفعه ، لـكنّ الطبَّ يعالِجُ بما يمكن علاجه من الأسباب المفسدة ، المجففة للرطوبة التى بها قِوام الحياة ، لتبقى للحرارة الغريزية مادة تتعلق بها مدة الحياة ، وذلك أن الله عزّ وجلّ جعل الحياة بالحرارة والرطوبة ، وجعل الرطوبة أكثر ما تكون فى أوّل الأمر ، لأسباب اقتضتها الحـكمة الإلهيّة ، وجعل الحرارة مستولية عليها لئلا تختنق بها ، فهى تُجففِّها دائما إلى أن تصير سببا لإطفاء نفسها ، فصناعةُ الطبِّ ليستْ تضمنُ الأمانَ من الموت ، ولا تخليص البدن من الآفات الخارجة ، ولا أن تبلغ بكلِّ بدن غاية طول العمر الذى يُحسب للإنسان مطلقا ، بل تمنع من العفونة ، وسرعة تحلل الرطوبة ، فيـكون حينئذٍ أعون على سلامة البدن وصحته . وقد وَرَد فى حكمة الموت فى الخبر « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمَّا خَلَقَ آدَمَ أخذ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَعَرَضَهَا عَلَى المَلائِـكَةِ ، فقالَتِ المَلائِـكَةُ : إلهنَا إنَّ الأرْضَ لَتضِيقُ عَنْ هَذَا العَدَد ، فقَال : إنِّى جاعِلٌ مَوْتا .

مَنْ يتَمَنَّى العَيْش فلْيَدَّرِعْ صَـبْرًا عَلَى فقْدِ أحِبَّائِهِ
وَمَنْ يُعَمَّرْ يلْقَ مِنْ دَهْرِهِ ما يتَمَنَّاهُ لأعْـــــدَائِهِ

(١) فى خ زيادة هذا البيت ، قال غيره :

مَنْ عاشَ أخلقَتِ الأيَّامُ جِدَّتَهُ وَخانَهُ ثِقتَاهُ : السَّمْعُ وَالبَصَرُ

فقالت: لايهنيهم العيش، ولا تطيب لهم الحياة. فقال: إنى جاعل أملا(١)،

وما أحسن قول بعض الحكماء، حيث يقول: إن الموت قائم بالأجساد بالذات، وإنما الطب تحسين أيام المهلة. رُوِىَ عن النبى شعيب عليه السلام، وقيل عن أفلاطون أنه قال: الأرضُ نقطة، والسماء كرة، والأفلاكُ قِسِىٌّ، والحوادث سهام، وابن آدم هدف، والله الرامى، فأين المفر؟ قال أبو ذؤيب:

يقولون لى لو كانَ بالرَّمْلِ لمْ يمُتْ «نُشَيْبَةُ» والـكُهَّانُ(٢) يكذِبُ قيلُها

ولوْ أنني استَوْدَعْتُهُ الشَّمْسَ لارْتَقَتْ إليْهِ المنَايَا عيْنُهَا ورَسُولُهَا

فعلمُ الطب يحفظ الصحة على الأصحاء، ويردها على المرضى بقدر الإمكان، ومعلومٌ أن حفظ الصحة، ومداواة المرض، واجب على كل عاقل، إذ بذلك يقتدر على حسن التصرُّف لأمرِ دنياه وآخرتِهِ. وقد تجاهلَ قومٌ فقالوا: لافائدة فى الطب، ولا حاجة بالناس إليه. ومن ذمَّ ما قد عرَف فائدته حسًّا، غفلةً منه عن مصلحته، كان عن الآخرة التى لاتُدرَك بالحس أعمى وأضلُّ سبيلا، وقد تعلّق بعضُ هؤلاء بقوله تعالى: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) قالوا: فلم يبق لعلم الطب معنى.

والجواب أن الله تعالى هو الشافى، خلقَ الأسباب وقدَّرها، فشفاؤه تارة يقع عند الأسباب الظاهرة، وتارة بلا سبب ظاهر، وإنَّ الداء سببٌ لا علة فى الشفاء.

---

(١) يقول الله سبحانه فى كتابه العزيز (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولـكن الله ذو فضل على العالمين). سورة البقرة آية ٢٥١.

(٢) رواية الديوان (الطرّاق) بدل (الـكهان) هنا. والطراق: هم الذين يضربون بالحصى للسحر ونحو ذلك.

ولو قال قائل : لا آكل ولا أشرب ، فإن الله يطعمني ويسقيني ، لكان عاصيا بالإجماع ، لأنه خالف موضوع الحكمة ، وربما قال جاهل : الأجل ما يتغير ، فأي فائدة في الطب ؟ وهذا مثل ما يقول الإنسان : لابد أن أصير إلى ما قدر لي من جنة أو نار ، فلماذا أتعبد ؟ وهذا يرد على قول الأنبياء عليهم السلام ، ويتضمن أن ما أمروا به عبث ؛ ومن قال ذلك كان كافرا . وجواب هذا أن يقال له : أخرج إلى الجهاد بغير سيف ولا درع ، فإن الأجل لا يتغير ، ولو فعل ذلك كان عاصيا ، لأنه ألقى نفسه إلى التلف ، وقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال : (وَلا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ومما يستدل به على علم الطب من القرآن العزيز ، قوله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)

وقد روى عن الإمام الشافعي أنه قال : العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان . فإن قيل هذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : قد ثبت عن الشافعي رضي الله عنه ، وقوله حجة في ذلك . قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : أخبرنا إسماعيل بن أحمد بن أبي نعيم بن إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسا وري ، قال : أخبرنا محمد بن سهل الطوسي ، قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول : سمعت الشافعي يقول : العلم علمان : علم الدين وعلم الدنيا ، فالعلم الذي للدين الفقه ، والعلم الذي هو للدنيا هو الطب . وعن الشافعي أنه قال : صنفان لا غنى للناس عنهما : الأطباء لأبدانهم ، والعلماء لأديانهم ، وما زال العلماء يعرفون الطب ويستعملونه

قال الأحنف بن قيس : أربع يسود المرء بهن : العلم ، والأدب ، والعفة ، والأمانة . وثلاث لا ينبغي للعاقل ومن أطاعه أن يدعهن : علم يحثه على عمل يتزوده ،

وطبٌّ يذبُّ به عن جسده ، وصنعةٌ يستعين بها على معاشه. وقال بُزُرْجَمِهْر: لا ينبغي للإنسان أن يسكن بلدا ليس فيه خمسة : سلطانٌ صارم ، وقاضٍ عادل ، وطبيبٌ حاذق ، وسوقٌ قائم، ونهر جار . وأما موافقته للعقل والشرع فظاهران ، أما العقل فلأنه جلبَ المنافعَ ودفعَ المضارّ . وأما الشرع فمن قوله صلى الله عليه وسلم : «تَدَاوَوْا» وقوله : «هَذا أوْفَقُ لكَ مِنْ هَذا»، على ما يأتى ذكره فى باب الحِمْية، ووصفه أشياء للمرض ، كما وصف الطبيب ، وقد علِمْنا قطعا أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق .

الباب الرابع

فى ذكر الصحة و بيان فضلها ، والأخبار الواردة فيها

فأقول : الصحة حالة للبدن ، تصدر عنها الأفعال من الموضوع لها صحيحةً سليمةً ، والموجودُ منها بالفعل كثيرةُ الضروب بحسب الأسنان ، والمسخّنات ، والمِزاجات الأصلية ، وفصول السنة ، والمساكن ، فالصحة إذن ذات غرضٍ ، وفيها تفاوتٌ ومراتب ، وأفضلها ما قرب من الصحة المتوهمة ، وأردؤها ما قرب إلى آخر حدودها ، الذى هو أوّل حدود المرض .

واعلم أن الصحة والعافية أفضل ما أنعم الله به على الإنسان ، وأجزل عطاياه ، وأوفر مِنَحه ، ولا يتمكّن العبدُ من حسن تصرّفه ، والقيام بأمر مولاه ، وتمام العبادة ، إلا بوجودها ، وليس يَعْدِلُها شىء ، وينبغى للعاقل أن يعرف مقدارها ، ويشكرَها ولا يكفُرَها

رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ عزّ وجل مغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ[1] » انفرد بإخراجه البخارىّ. وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ لِلهِ عِبَاداً يَضِنُّ بِهِمْ عَنِ القَتْلِ ،

---

(١) فى زاد المعاد (وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » . والطب النبوي .

وَالزَّلازِلِ وَالأَسْقَامِ ، فَيُطِيلُ أَعْمَارَهُمْ فِى حُسْنِ العَمَلِ ، وَيُحَسِّنُ أَرْزَاقَهُمْ ، وَيُحْيِيهِمْ فِى عَافِيَةٍ ، وَتُقْبَضُ أَرْوَاحُهُمْ فِى عَافِيَةٍ عَلَى الفُرُشِ ، وَيُعْطِيهِمْ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ » وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، « لأَنْ أُعَافَى فَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَىَّ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَرَسُولُ اللهِ يُحِبُّ مَعَكَ العَافِيَةَ (١) » وقال سعيد فى قوله تعالى : (لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : عن الصحة . وروى عن عبد الله ابن مِحْصَنٍ الأنصارىّ : أنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فى جَسَدِهِ ، آمِنًا فى سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا » . أخرجه الترمذىّ . وعن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ ، أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ ، وَنُرْوِكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ ؟ » أخرجه الترمذىّ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَا عَبَّاسُ ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ : سَلِ اللهَ العَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » . رواه البزار . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سَلُوا اللهَ اليَقِينَ وَالمُعَافَاةَ ، فَمَا أُوتِىَ أَحَدٌ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ » . أخرجه النسائىّ وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ العَفْوِ وَالعَافِيَةِ ، فَسَلُوهُمَا اللهَ تَعَالَى » رواه النسائىّ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ العَافِيَةِ » رواه الترمذى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء أعرابىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما أسألُ الله بعد الصلوات الخمس ؟ فقال : سَلِ اللهَ العَافِيَةَ . فأعاد عليه ، فقال له فى الثالثة :

---

(١) الطب النبوى .

سَل الله العافيَة ، فى الدُّنيا وَالآخِرَة » . وعن محمد بن عبد الرحمن القارى قال : وجدتُ فى حكمة آل داود عليه السلام : العافية مُلكٌ خفىٌّ ، وغمٌّ ساعةٍ هرَمُ سَنَةٍ . وقال بعض الحكماء : العافيةُ تاجٌ على رءوس الأصحاء ، لاينظرها إلا المرضى . وروى أن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه مَرِضَ فعيد ، فقيل له : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بِشرٍّ . فقال عائده : وأنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : نعم ، قال الله تعالى : (وَنَبلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ) ، فالخير: الصحة ، والشر المرض ؛ وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يكثر من سؤال العافية . ومن جملة ما كان يدعو به : « اللَّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ صِحَّةً فى إيمانٍ ، وَإيمَانًا فى حُسْنِ خُلُقٍ ، وَنجَاحًا يتبعهُ فَلَاحٌ ، وَرَحْمَةً مِنْكَ ، وَعافيةً وَمغفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا . وَمن ذلك : اللَّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ العافيَةَ فى الدُّنيا وَالآخِرَة . اللَّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ العفوَ وَالعافِيَةَ فى دِينِى وَدُنيايَ ، وَأهْلِي وَمالِي . اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعاتى » . رواه النَّسائىّ ، والله أعلم .

الباب الخامس

فى ذكر المرض وبيان فضله ، وذكر الأخبار والآثار الواردة فيه ، وشىء من الرُّقى ، فأقول :

المرض حال للبدن ، خارج عن المَجرى الطبيعى ، تنال به الأعضاء الضرر من غير متوسِّط ؛ وهو من أعظم الأسباب فى توبة العبد ؛ وإنابته إلى مولاه ، وفى حثه على فعل القُرُبات ، وعمل الخيرات ، ومن جملة كَرَم الله عز وجل ولطفه بعبده ، أن جعل مرضَهُ كفارةً لذنوبه ، حتى إذا قام من مرضه ، كان بمنزلة من لا ذنب له ، وإن مات مريضا كان بمنزلة الشهداء .

رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ مَاتَ مَرِيضا مَاتَ شَهِيدا ، وَوُقِىَ فِتْنَةَ القَبْرِ ، وَغُدِىَ وَرِيحَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ مِنَ الجَنَّة » . رواه ابن ماجه . وعن أبى سعيد الخدرىّ وأبى هريرة ، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما يُصِيبُ المُؤْمنَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلا نَصَبٍ ، وَلا سَقَمٍ ، وَلا حُزْنٍ ، حتّى الْهَمّ يُهِمُّهُ ، إلاَّ كُفِّرَ بِهِ عَنْ سيئَاتِه » . أخرجاه فى الصحيحين . قال أهلُ اللغة : الوصَب: الوجع الملازم . ومنه قوله تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) أى لازم ثابت . روى عن عامر بن الرام أخى الخضر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المُؤْمِنَ إذا أصابَهُ السَّقمُ ، ثمَّ عافَاهُ اللهُ مِنهُ ، كانَ كفَّارَةً لِمَا مضَى مِنْ ذنُوبِه ، وَموْعِظة لهُ فيما يَسْتَقْبل ، وَإنَّ المُنَافِقَ

إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير ، عقله أهله ثم أرسلوه ، فلم يدر لم عقلوه ، ولم يدر لم أرسلوه . فقال رجل ممن حوله : يا رسول الله : وما الأسقام ؟ والله ما مرضت قط ؟ قال : قم عنا ، فلست منا » . رواه أبو داود . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عجبت للمؤمن وجزعه من السقم ، ولو يعلم ما له في السقم ، أحب أن يكون سقيما ، حتى يلقى الله تعالى » . رواه البزار وغيره . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ، ورب قتيل بين الصفين ، والله أعلم بنيته » . رواه ابن أبي شيبة وغيره . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من امرئ مؤمن ولا مؤمنة يمرض إلا جعله الله كفارة لما مضى من ذنوبه » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأمراض كفارة لما مضى ، ومواعظ لما يستأنف » . رواه أبو نعيم في الطب النبوي . وعن عطاء ابن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين ، فقال : انظروا ما يقول لعواده ، فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه ، رفعا ذلك إلى الله تعالى وهو أعلم ، فيقول : لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته » . أخرجه مالك في الموطأ[1] . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله ، وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمعان في قلب مؤمن في مثل هذا المركز

---

(١) الترغيب والترهيب .

إلاّ أعطاهُ اللهُ ما يَرْجو ، وآمَنَهُ مِمَّا يَخافُ » . رواه ابن ماجه . وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ الصُّدَاعَ وَالمليلَةَ لاتزَالُ بالمُؤمِنِ ، وَإنَّ ذَنْبَهُ مِثْلُ أُحُد ، فمَا تَدَعُهُ وَعليهِ مِنْ ذلكَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ (١) » . وعن جابر رضى الله عنه قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ السائب يعودها ، فقال : مالكِ تُرَفْرِفِينَ ؟ فقالت : الحمّى ؛ لا باركَ الله فيها . فقال : لا تَسُبِّي الحمَّى فإنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ ، كما يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيد » . رواه مسلم ، وقد تقدم ذكره . وعن أبي موسى الأشعرىّ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذَا مَرِضَ العَبْدُ أوْ سَافَرَ ، كُتِبَ لهُ مِثْلُ ما كانَ يعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً (٢) » . أخرجه البخارىّ . وعن مالك عن يحيى بن سعيد : « أن رجلا جاءه الموت فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : هنيئا له ، مات ولم يُبْتَل بمرض . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَيْحَكَ مايُدْرِيكَ ! لوْ أنّ اللهَ ابتَلاهُ بِمَرَضٍ يُكَفِّرُ عنهُ مِنْ سَيِّئَاتِه » . أخرجه مالك فى الموطأ (٣) . وعن الحارث بن سُويد ، عن عبد الله بن مسعود قال : « دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمَسِسْتُه ، فقلتُ : يا رسول الله : إنكَ تُوعَكُ وَعْكاً شديداً ؟ فقال : أجلْ إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجُلان منكم ، قلت : ذلك بأنّ لك أجرين ؟ قال : أجَلْ ، ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبهُ أذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ ، إلاّ حَطّ اللهُ بِهِ سيئاته ، كما تحُطّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » . أخرجاه فى الصحيحين .

---

(١) الترغيب والترهيب .

(٢ ، ٣) الترغيب والترهيب .

وعن عُروة ، عن عائشة ، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما مِنْ مَرَض أوْ وَجَع يُصيبُ المؤمِن إلاَّ كانَ كفارَةً لذَنبِهِ، حتَّى الشَّوْكَة يُشاكُهَا أوِ النَّكْبَةَ يُنْكَبُهَا[1] » أخرجاه في الصحيحين . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّمَا مثَلُ العَبْدِ المؤمِنِ حِينَ يُصِيبهُ الوَعَكُ وَالحمَّى ، كَحَدِيدَةٍ تُدخَلُ النَّارَ ، فَيَذْهَبُ خَبَثُهَا ، وَيبْقَى طِيبُهَا » . رواه البزار . وعن عثمان بن العاصى رضى الله عنه: «أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَعًا يجده فى جسده منذ أسلم ، قال: فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِى يُؤلِمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ : بِاسْمِ اللهِ ثَلاثًا ، وَقُلْ : أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحاذِرُ، سبْعَ مَرَّاتٍ» . أخرجه مسلم . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِى ، ثمَّ قُلْ : باسْمِ اللهِ، أعُوذ بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أجِدُ مِنْ وَجَعِى هٰذا. ثمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثمَّ أعِدْ ذٰلِكَ وِتْراً» . رواه الترمذىّ . روى عن الأصمعىّ قال: اشتكى رجل من أهل البادية، فطالت شكايتُه ، وكثرت أسقامُه ، فقيل له : كيف تجدك يا فلان ؟ فأنشأ يقول :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضُرِّ حتَّى أَلِفتُهُ ... وَأحْوَجَنِى طُولُ البَلاءِ إلى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ قَلْبِى لِلأذَى الأُنْسُ بِالأذَى ... وَقَدْ كُنْتُ أحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِى

رُوِى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرَرْنا برجل رَثِّ الهيئة ، فقال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أىْ فُلانُ ، ما بَلَغَ بِكَ ما أرَى ؟ فقال : يارسول الله السَّقَمُ والضُرُّ ، فقال النبىّ

---

(١) نص الحديث فى صحيح البخاري : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ،أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى عروة بن الزبير : أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها » . اه .

صلى الله عليه وسلم : أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تُذْهِبُ عَنْكَ الضُّرَّ وَالسَّقَمَ ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : قُلْ : تَوَكَّلْتُ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا. قال: ثم أتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ وقد حسُنَ حاله ، فقال : يا رسول الله : لم أزل أقول الكلمات التى علمتنى » .

وقد قيل : إن المرض حاجبُ ملكِ الموتِ ، والعشق مرض النفس ، والهمّ مرض القلب ، والغم مرض الكبد، والغضب مرض المرارة، والحقد مرض الرئة ، ورؤية القبيح مرض البصر ، واستماع الردىء مرض السمع ، والفقر مرض الأحرار ، والطّمَع مرض الدِّين . ومن أحسن ما جاء فى مدح المرض قول الفضل ابن سهل ذى الرياستين : إن فى المرض فوائد لاينبغى للعقلاء أن يَجْحدوها : منها المعرفة بقدر العافية ، وتمحيص الذنب ، والحثّ على الصدقة ، وقرع باب التوبة ، وتطهير البدن من موادّ العلة . وقال حسن البصرىّ : إن العبد ليُبْتَلَى فى ماله فيصبر ، فلا يبلغ بذلك الدرجات العُلَى ، و يُبْتَلى فى ولده فيصبر ، فلا يبلغ بذلك الدرجات العُلى ، و يبتلى فى بدنه فيصبر ، فيبلغ بذلك الدرجات العُلى ورُوِى عنه أنه قال: « بَدَنٌ لايَشْتَكِى مِثْلُ مال لاَيُزَكّى » . ومن آداب المؤمن فى مرضه الصبر والرضا ، والتسليم بحكم القضاء . فى الحديث : « مَنْ وُعِكَ لَيْلَةً ، فَصَبَرَ وَرَضِيَ بِهَا عَنِ اللهِ ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّه ». ومن آدابه كثرة تضرّعه ؛ ففى الإنجيل : إن الله ليصيب العبد بالأمر يكرهه، و إنّه ليحبه ، لينظر كيف تضرُّعُه إليه . فنسأل الله أن يرزقنا رجوعا إليه ، وعكوفا عليه ، من غير بَلْوَى لانطيق حملها، وشدةٍ لاننهض بثقلها، وأن يجمع لنا بين ما فيه لطفه بنا، ورضاه عنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون

البابُ السّادِسُ

فى فضل عيادة المريض ، وما وَرَد فى ذلك
مِن الأخبار والآثار ، وهى سنة بالإجماع

رُوِى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه قال: « إنّ اللهَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ يقُولُ يَوْمَ القِيامَةِ : يابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فلَمْ تَعُدْنى ؟ قال : يارَبِّ كيْفَ أعُودُكَ وأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ قال : أمَا عَلِمْتَ أنّ عبْدِى فُلاَنًا مَرِضَ فلَمْ تَعُدْه ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ عُدْتَهُ لوَجَدْتَنِى عِنْدَه . يابْنَ آدَمَ استَطْعَمْتُكَ فلَمْ تُطعِمْنى ؟ قال : يارَبِّ كيْفَ أُطْعِمُكَ وأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ قال : أما عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عبْدِى فُلاَنٌ فلَمْ تُطعِمْه . أما عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ أطْعَمْتَهُ لوَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِى . يابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فلَمْ تَسْقِنى ؟ قال : يارَبِّ وكَيْفَ أسْقِيكَ وأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ قال : اسْتَسْقَاكَ عبْدِى فُلاَنٌ فلَمْ تَسْقِه ، أما إنَّكَ لوْ سقَيْتَهُ وَجدْتَ ذلِكَ عِنْدِى » . أخرجه مسلم . وعن عبد الله بن نافع عن على رضى الله عنه : أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ رَجُلٍ يعُودُ مَرِيضا مُمْسِيا ، إلاّ خَرَجَ معَهُ سبْعُونَ ألْفَ ملَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لهُ ، حتّى يُصْبِحَ ، وكانَ لهُ خَرِيفٌ فى الجَنَّة ، وَمَنْ أتاهُ مُصْبِحا خَرَجَ معَهُ سبْعُونَ ألْفَ ملَكٍ يسْتَغْفِرُونَ لهُ حتّى يُمْسِىَ ، وكانَ لهُ خَرِيفٌ فى الجَنَّة » . رواه أبو داود . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله

عليه وسلم: أنه قال: « مَنْ عادَ مَرِيضاً أوْ زَارَ أخاً لهُ فى اللهِ، نَاداهُ مُنادٍ: أنْ طِبْتَ وَطابَ مَمْشاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ منزِلا ». رواه الترمذى . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم: أنه قال : «مَنْ تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ، وَعادَ أخاهُ المُسْلِمَ مُحْتَسِباً، بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً».رواه أبو داود. وعن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ عادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سبْعَ مَرَّاتٍ : أسْألُ اللهَ العظِيمَ ،رَبَّ العَرْشِ العظِيمِ أن يَشْفِيَكَ ، إلاّ عافاهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ المَرَضِ» . رواه أبو داود والنَّسائىّ . وعن أبى أُمامة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَمامُ عِيادَةِ المَرِيضِ أنْ يَضَعَ أحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أوْ عَلَى يَدِهِ ، وَيَسْألُهُ كَيْفَ هُوَ ؟ » . رواه الترمذى. وفى رواية ابن السُّنىّ « تَمامُ العِيادةِ أن تضعَ يدَكَ على المريض وتقول: كيفَ أصبَحتَ ؟ وكيف أمسيت ؟». وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَغِّبُوا فى العِيادةِ وَارْبَعُوا ألاَّ يكونَ مغلُوباً » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ خَمْسٌ : رَدُّ السَّلامِ ، وَعِيادَةُ المَرِيضِ ، وَاتِّباعُ الجَنائزِ ، وَإجابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ » . أخرجه البخارىّ . وعن أنس رضى الله عنه قال: « كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعُودُ مريضا إلا بعدَ الثّلاث » . رواه ابن ماجهْ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجلا مِن وَعْكٍ كانَ بهِ ، فقال له : أبشرْ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يقول : هِيَ نَارِى أُسلِّطُها على عبْدِى المُؤمِنِ فى الدُّنيا، لِتَكُونَ حظّهُ مِنَ النّارِ فى الآخِرَة » . أخرجه ابن ماجه وغيره. وعن سلمان رضى الله عنه قال : «عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض فقال لى : يا سلمان شفى اللهُ سَقمَكَ ، وغفرَ ذنبكَ ، وعافاكَ ،

فى دينِكَ وجسمِكَ إلى مدَّة أجلكَ . وعن جابر قال : « مَرِضتُ مرضا ، فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر يعودانى وهما ماشيان ، فوجدانى أُغمِيَ علىّ ، فتوضأ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم صبّ وضوءه علىّ ، فأفقتُ وقلت : يا رسول الله ، كيف أصنع فى مالى ، كيف أقضى فى مالى ؟ فلم يُحَدِّثنى حتى نزلت آية الميراث » . أخرجاه فى الصحيحين . وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا دَخلتُمْ على المَرِيضِ فنفِّسُوا لهُ فى الأجلِ ، فإنَّ ذلِكَ لا يَرُدُّ شيئاً ، وَهُوَ يُطَيِّبُ نفْسَ المريض » . رواه ابن ماجهْ . وعن جابر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ عادَ مَرِيضا لمْ يزَلْ يَخُوضُ فى الرَّحْمَةِ حتّى يجْلِسَ ، فإذَا جَلَسَ اغتَمَسَ فيها » . رواه مالك فى الموطأ . وعن أبى موسى الأشعرىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أطْعِمُوا الجَائِعَ ، وَعُودُوا المَرِيض ، وَفُكّوا العانى » . رواه البخارىّ . وعن ثَوْبان عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال . « إنَّ المُسْلِمَ إذا عادَ أخاهُ المُسْلِمَ ، لَمْ يزَلْ فى خُرْفةِ الجنَّةِ حتّى يرْجِعَ . قيل : يارسول الله ، وَما خُرْفَةُ الجنّةِ ؟ قال : جَناها » . رواه مسلم . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عائِدُ المَرِيضِ فى مَخْرَفةِ الجنّة ، فإذَا جَلس عِنْدَهُ غمرَتهُ الرَّحمَة » . رواه البخارىّ . وعن نافع بن جبير ، عن أبيه رضى الله عنهما قال : « عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن العاص ، فرأيتُه يُكمِّد بخِرْقة » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابىّ يعوده قال : وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض يعوده قال له : لا بَأسَ ، طَهُور إنْ شاء اللهُ تعالى ، قال : قلتَ طهُور ؟ كلا بل هى حمَّى تفور أو تثُور ، على شيخ كبير تُزِيره القبور ، فقال النبىُّ صلى الله

عليه وسلم فنعم إذنْ » . رواه البخاري . وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « اشتكى سعدُ بن عُبادة شكوى له ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبد الله بن مسعود . فلما دخل عليه وجده في غَشْيته ، فقال : لقد قضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى القومُ بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكَوْا ، فقال : ألاَ تسمَعُونَ ؟ إنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ بدَمْعِ العَيْنِ ، وَلا بِحُزْنِ القَلْبِ ، وَلٰكِنْ يُعذِّبُ بِهٰذَا ـ وأشارَ إلى لسانه ـ أوْ يَرْحم » . أخرجاه في الصحيحين.

رُوي عن بعض الصالحين: أنه دخل على محمد بن عامر البلخيّ عائدا، وقد أضرّت به حاله من السقم والضر ، فسمعه ينشد لنفسه :

يا فَارِجَ الْهَمِّ عَنْ نُوحٍ وَأُسْرَتِهِ ... وصَاحِبَ الْحُوتِ مَوْلَى كلِّ مكرُوبِ

وَفالِقَ البَحْرِ عَنْ مُوسَى وَشِيعَتِهِ ... ومُذْهِبَ الْحُزْنِ عَنْ أَصْحَابِ يعقُوبِ

وَجاعِلاً نَارَ إبْرَاهِيمَ بارِدَةً ... وَرَافِعَ السُّقْمِ عَنْ أَوْصَالِ أَيُّوبِ

إنَّ الأَطِبَّاءَ لا يُغْنُونَ عَنْ نَصَبِي ... أَنْتَ الطَّبِيبُ طَبِيبٌ غيْرُ مغْلُوبِ

رُوي عن أنس رضي الله عنه قال: « إن غلاما ليهود كان يخْدُمُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعوده . فقال : أَسْلِمْ ، فأَسْلَمَ » أخرجه البخاري[(١)] . وروى عن عبد الله بن أبي صالح المكيّ قال: دخل عليّ

---

(١) وفي خ : هذه الزيادة (وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من عاد مريضا خاض الرحمة حتى يبلغه ، فإذا قعد عنده غمرته الرحمة ، قال أنس : فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال – قلت : هذا للعائد المريض ، فما للمريض ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »)

طاوُس يعودني ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ادعُ الله لي ، فقال : ادع الله لنفسك ، فإنه يجيب المضطرّ إذا دعاه . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُودُوا المَرْضَى ، وَمُرُوهُمْ فَلْيَدْعُوا اللهَ لَكُمْ ، فإِنَّ دَعْوَةَ المَرِيضِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَذَنبُهُ مغفُور(١) » .

واعلم أن للعيادة آدابا :

منها : أن يبشّر المريضَ بخير . فقد رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا حضَرْتُمُ المَرِيضَ فقُولُوا خَيْراً ، فإنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى ما تَقُولُون » . ومنها : الدعاء للمريض . فقد رُوى عن عائشة رضى الله عنها : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضا أو أُتِيَ به قال : « أذهِبِ البأسَ ، ربّ النَّاسِ ، واشفِ أنتَ الشَّافى ، لاشِفاءَ إلاَّ شِفَاؤُكَ شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً(٢) » . وكذلك جبريل لما عاد محمدا عليهما الصلاة والسلام رقَاه ودعا له .

ومنها : ألاّ يكون فى أوّل المرض ، فلعلّ صاحبه يقوم من يومه . فقد رُوى عن أنس « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لايعود مريضا إلا بعد ثلاث(٣) » وقد تقدم ذكره . ومنها : أن لايطيل الجلوس، لأن إطالته عند المريض مكروهة قال طاوس : خير العيادة أخفها ، ولأنّ المريض قد تدعوه الحاجة ، فيستحى من جلسائه . قال بكر : المريض يعاد والصحيح يزُار ، فلا تطيلوا الجلوس عند المريض كأنكم زوّار، فإن شأن العيادة غير شأن الزيارة . وقد رُوى عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ العِيادَةِ أَجْراً سُرْعةُ القِيامِ مِنْ عِنْدِ المَرِيضِ(٤) » . وفى الحديث أيضا « العِيادَةُ فُوَاقَ نَاقَةٍ(٥) » . وعن بعض الصالحين أنه قال لمريض عاده : إنْ أعلَّكَ الله فى جسدك ، فقد أصحك من ذنوبك .

---

(١) الترغيب والترهيب . (٢) صحيح البخاري .
(٣، ٤) الفتح الكبير . (٥) الفتح الكبير . عن أنس للبيهقى فى شعب الإيمان .

الباب السابع

فى ذكر أربعين حديثا طبية ، فُضِّلت على الأربعين الأولى ، مُنَبَّه على شرح أكثرها

الحديث الأول

عن زياد بن علاقة(١) ، عن أسامة بن شريك قال : « شهدتُ الأعراب يسألون النبى صلى الله عليه وسلم : أعلينا حرَج فى كذا ؟ أعلينا حرَج فى كذا ؟ فقال : عِبادَ الله ، وَضَعَ اللهُ الحَرَجَ إلاّ مَنِ اقترَضَ مِن عِرضِ أخيه شيئاً ، فذَاكَ الذى حَرِجَ . قالوا : يا رسول الله هل علينا حرج ألاّ نتداوى ؟ قال : تَداوَوْا عِبادَ الله ، فإنّ الله لم يضَعْ داء إلاّ وَضَعَ معَهُ شِفاء إلاّ الهرَم ، قالوا يا رسـول الله : ماخير ما أُعطِىَ العبدُ ؟ قال : خُلُقٌ حَسَن » . رواه ابن ماجه وأبو داود .

قال المؤلف : الحَرَج : الضيق والإثم ؛ ومعنى اقترض من عرض أخيه : أى عابه وسبّه . وفى اقترض معنيان : أحدهما من قرض الدين والمال . والثانى اقترض بمعنى : قطع ، وهو من قرضتِ الفادةُ الثوب ، إذا قطّعته وأعابته . وأصل القرض : القطع ، ومنه المقراض . والداء : المرض. والشفاء : الدواء الشافى . والهرم

---

(١) زياد بن علاقة الثعلبى أبو مالك الكوفى ، توفى سنة خمس وعشرين ومائة عن نحو مائة سنة . « الخلاصة » .

اضمحلالٌ طبيعيٌ ، وطريق إلى الموت ضروريٌ . قال الخطابيّ : وجُعِلَ الهرمُ داء ، لأنه يجلُب التلف كما تجلبه الأدواء التى هى أسقام يتبعها الموت . وقد روى عن الحسن أنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لوْ لَمْ يكُنْ لِابْنِ آدَمَ إلا السَّلامةُ وَالصِّحَّةُ لَكَفَتَاهُ داء » . رواه أبو داود .

الحديث الثانى

عن الزهريّ عن أبى حزامة عن أبيه قال : « سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرأيتَ أدوية نتداوى بها ، ورُقًى نسترقى بها ، وتُقًى نتَّقيها ؟ هل تردُّ من قدر الله شيئا ؟ قال : هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ » رواه الترمذى وابن ماجه

قال المؤلف : قد تقدم فى الأربعين الأولى ذكر الرُّقى ، وأنه قد يكون بلسان العرب وغيره ، وأنه ما كان منه بالعربية ، وفيه ذكر الله سبحانه وتعالى ، وأنه مستحب مستبرَك ، وما كان بغيرها ، وما لا يعرف معناه ، فإنه منهىٌ عنه ، لجواز أن يكون فيه كفر أو إشراك ؛ فالرُّقَى بالجملة كلام يعتقد الرَّاقى والمرقىّ به نفعَه وتأثيره ، فينفعه الله عز وجل بذلك ، لأن نفس الرَّاقى تفعل فى نفس المرْقِىّ وقوى بدنه بالرُّقَى على ذلك الداء ، فتدفعه بإذن الله تعالى . وبالجملة ، فإن الرُّقَى أو الدعاء متى قدِّر وحده لم يكن مما يجاب ولا ينجح ، وإذا قدِّر كونُ المطلوب كانت الإجابة والنجح مقارنا أو مناسبا ، بحسب ما قدِّر فى الأزل ، والرُّقَى قد تستعمل لحفظ الصحة ولمعالجة المرضَى .

أما الأول ، فيدل عليه ما رَوَى البخاريّ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

« كان صلى الله عليه وسلم إذا أوَى إلى فراشه نفث فى كفَّيْه : بقُل هُوَ اللهُ أحد ، وبالمعوِّذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه ، وما بلغت يداه من جسده[(١)] » .

قال القاضى : وفى ذلك جواز للاسترقاء الصحيح، لما عساه يخشاه من طوارق الليل وهوامه وغير ذلك . وأما الثانى فتدلُّ عليه عِدَّة أحاديث جاءت فى مسلم وغيره ، لأنَّ أحاديث الرقَى فى مسلم جاءت بعد الشكوى . وأما النَّفْث فى الرقى ، فقال بعض العلماء : هو سنة فى نفث الراقى ، وبها أخذ جماعة من الصحابة ، وهو قول مالك . قال الطبرىّ : وأنكر بعضهم النَّفْث والتفل فى الرقَى، وأجازوا فيها النفخ. قال بعض العلماء : النَّفثُ هو شبيه البزْق، ولا يُلقِى شيئا، بخلاف التَّفْل الذى معه شىء . قال القاضى عِياض . وقد اختُلف فى التفل والنفث ؛ فقيل هما بمعنًى ولا يكونان إلا ومعهما شىء من الريق . قال أبو عبيد : لا يكون التفل إلا ومعه شىء من الريق ، بخلاف النفث ، وقيل بعكس هـذا . وسئلت عائشة عن نفث النبى صلى الله عليه وسلم فى الرُّقْية فقالت : كما ينفُث آكل الزبيب لا ريق معه .

وفائدة ذلك ، والله أعلم : التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء ، أو النفَس المباشر للرقية ، والذكر الحسن والدعاء ، والكلام الطيب .

---

(١) صحيح البخارى — وبه زيادة : (قالت عائشة : فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به) .

الحديث الثالث

عن عكرمة[١] عن ابن عباس رضى الله عنهما : «أن النبىّ صلى الله عليه وسلم عاد رجلا فقال له : ما تَشْتَهِى ؟ فقال : أشتهى خبز بُرّ ، وفى رواية: كعكا ، قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ كانَ عِنْدَهُ خُبْزُ بُرٍّ فَلْيَبْعَثْ إلى أخيه، ثم قال صلى الله عليه وسلم : إذَا اشْتَهَى مَرِيضُ أحَدِكُمْ شيئًا فلْيُطْعِمْهُ » . رواهُ ابن ماجه .

قال المؤلف : هذا الحديث فيه حكمة طبية ، معناها : أن المريض إذا تناول ما يشتهيه عن جوع طبيعىّ — وكان أضرّ قليلا — كان أنفع وأقلّ ضررا مما لا يشتهيه ، وإن كان نافعا ، ولا سيما إذا كان ذلك غذاء ملائما، كالخبز والكعك، فكلاهما جاء فى الحديث ، لأن اللذيذ المشتهى، تقبلُ الطبيعة عليه بعناية ، فتهضمه على أحمد الوجوه ، ولا سيما إن انبعثتِ النفس إليه بصدق شهوةٍ وصحة قوة .

الحديث الرابع

عن مجاهد[٢] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رآنى رسول الله صلى الله

---

(١) عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى المكى . مات بعد عطاء . «الخلاصة» .

(٢) مجاهد بن جبر — أبو الحجاج المكى المقرئ الإمام المفسر عن ابن عباس وقرأ عليه . مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد ، ومولده سنة إحدى وعشرين . «الخلاصة» .

عليه وسلم وأنا نائم أشكو من وجع بطني ، فقال لي : «يا أبا هريرة إشْكَمْ دَرْد ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : قُمْ فَصَلِّ ، فإنَّ في الصَّلاةِ شِفَاءٌ » رواه ابن ماجه وغيره .

قال المؤلف: إشكم درد: لفظة فارسية، معناها: أبكَ وجع البطن، لأن معنى أشكم : البطن. ودرد : وجع. وفي هذا الحديث فائدتان ، إحداهما: أنه عليه الصلاة والسلام تكلّم بالفارسية . والثانية : أن الصلاة قد تبرئ من وجع المعدة والأمعاء ، وكثير من الآلام ، وذلك لثلاث عِلل ، الأولى : أمر إلهي إذا كانت عبادة . والثانية : أمر نفسي إذا كانت النفس تُلَهَّى بها عن الأوجاع وغيرها ، لاستغراقها في العبادة ، ويؤيد ذلك ما روى عن بعض ولد عليّ عليه السلام ، أنه كان به خُرَاج يفتقر إلى البطّ ، وكان يمتنع من بطّه ، فأمهلوه ريثما دخل في الصلاة ، ثم مكّنوا الطبيب من بطه ، فلم يكترث بذلك ، لاستغراقه في العبادة .

واعلم أن للنفس فعلا قويًّا في شفاء الأمراض ، حتى إن كثيرا منها شفي بالأوهام ، وفي ذلك كتب مفردة تسمى بالطب الرُّوحاني ، ويؤيد ذلك ما روى عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دَخَلْتُمْ عَلَى المَرِيضِ فنفِّسُوا لهُ في الأجل ، فإنَّ ذَلِكَ لا يَرُدُّ شيئًا ، وهُوَ يُطَيِّبُ نفسَ المَرِيض» . والثالثة : أمر طبيعي ، وذلك أن الصلاة رياضة للنفس والبدن جميعا ، إذ كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة من الانتصاب ، والركوع والسجود والتورك ، وغير ذلك من الأوضاع التي يتحرك معها أكثر المفاصل ، وينغمز معها أكثر الأعضاء الباطنة ، كالمعدة والأمعاء ، وسائر آلات التنفس والغذاء ، والله أعلم .

الحديث الخامس

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بالإثْمِدِ فإنّهُ يَجْلُو البَصَر ، وَيُنْبِتُ الشَّعْر » . أخرجه الترمذىّ ، وابن ماجه

الحديث السادس

في معنى ما تقدم ، وشرحهما معا

عن جابر بن عبد الله[1] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عَلَيْكُمْ بالإثْمِدِ ، عِنْدَ النَّوْمِ ، فإنّهُ يَجْلُو البَصَر ، وَيُنْبِتُ الشَّعْر » رواه ابن ماجهْ وغيره .

قال المؤلف : الإثمد : هو الكحل الأسود ، وأفضله الأصفهانىّ ، وهو معروف. وقد رُوى فى بعض طرق هذا الحديث ، والذى قبله فى الإثمد ، أنه يجلو البصر. وفى بعضها أنه يشده ، وكلا المعنيين صحيح ، إذ من جملة منافعه شدّ البصر ، بتقويته للعين وأعصابها ، وحفظ صحتها ، وجِلاء الحدقة ، وتنقية أوساخها . وقوله « عند النوم » : لما يتبع النوم من السكون ، وراحةُ العين من ضرر المبصرات ، وتكلف إدراك حقيقة المرئيات ، فتتمكن قوّة الدواء من فعلها الخاص بها فى حال السكون والراحة ، لأن كلّ مؤثِّر فى شى يُستحبُ أن يكون هو وما يؤثر فيه ساكنين ،

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى السلمى ، أبو محمد المدنى ، صحابى مشهور . مات سنة ثمان وسبعين بالمدينة عن أربع وسبعين سنة « الخلاصة »

ليمكنه التأثير فيه ، على النحو الذى يجب ، وبالمقدار الذى يجب ، وسيأتى الكلام فى الإثمد مستقصيا ، فى أول الباب العاشر (من هذا الكتاب) ، فيعلم من هناك .

الحديث السابع

عن مجاهد ، عن سعد قال : «مرضتُ مرضا ، فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى ، فوضع يده بين ثدييَّ حتى وجدتُ بردها على فؤادى ، وقال لى : إنَّكَ رَجلٌ مفئُود ، فأتِ الحارِثَ بنَ كَلَدَةَ ، فإنَّهُ رَجُلٌ يتطَبَّبُ ، فليأخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ المَدِينَةِ ، فليَلْجأْهُنَّ بِنَوَاهُنَّ ، ثمَّ ليَلُدَّكَ بهِنَّ » . رواه أبو داود[1] .

قال الخطّابىّ : المفئود : الذى أصيب فؤاده . ويقال : إنَّ الفؤادَ غشاء القلب ، والقلب حبّتُه وسُوَيداؤه . وقوله فليجأهنّ . يريد : ليرضّهنّ . والوجاء : حِساء يتخذ من التمر والدقيق ، فيتحسّاه المريض . وقوله : «فليلُدَّكَ» : فإنهُ من اللَّدُود ، وهو ما يسقاه الإنسان فى أحد جانبى الفم . وقد تقدم ذكر اللّدود فى الحديث الخامس عشر من الأربعين الأولى ، فيعلم من هناك .

---

(١) فى خ هذه الزيادة : (قال المؤلف : الفؤاد على مذهب الأطباء : يقال على عضوين فى البدن : أحدهما رأس المعدة وأعلاها ، وهو الفؤاد الأصغر . وعليه يدل لفظ الحديث . والثانى : أنه القلب ، ويدل عليه قول الشاعر

إنَّ الكلامَ لفى الفُؤاد وإنَّمَا   جُعلَ اللسَانُ عَلَى الفؤاد دَليلاً)

الحديث الثامن

عن مالك : أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنْ كانَ دوَاءٌ يبْلُغُ الدَّاء ، فإنَّ الحِجامَةَ تبْلُغهُ » . رواه مالك فى الموطأ .

قال المؤلف : معناه والله أعلم : المبالغة فى نفع الحجامة ، إذ كان نفعها قطعىٌّ لاظنىٌّ . وذلك أنَّ علم الطب أكثره ظنىٌّ ، مبنى على الحدْس والتخمين . والحجامة لا تستعمل غالبا إلا لتنقيص الدم ، أو لتسكين غليانه ، أو لهما جميعا ، وليست كالأدوية المشروبة وغيرها ، مما يستعمل من خارج ؛ لأن الدواء المشروب يضطر إلى أن يمر بالمعدة ، ويختلط بما يصادفه فيها من الأخلاط والرطوبات ، ثم تسرى قواه فى أجسام كثيرة من العروق وغيرها ، فيضعف ، وربما تبطل قبل وصولها إلى الداء ، فلا تؤثر فيه أو تؤثر أثرا ضعيفا ، لا يفى بالغرض المقصود ، والحجامة نفعها قطعىٌّ ، مشاهد بالعِيان ، معلوم بالضرورة ، لأنه يبلغ الداء الذى حصل لسبب كثرة الدم ، فيَنَقُصُهُ وَيُخْرِجُ سببه أو أكثر سببه ، فتقوى لذلك قوى البدن ، ويستظهر على دفع ما تأخر منه إن كان الداء لغلبة الدم ، وتصلح مزاجَهُ وتعدِّله ، بتنقيصه إياه إن كان لغليانه ، فيحصل به النفع البليغ ، والشفاء التام . وقد تقدم فى أوائل الكتاب ذكرُ الحجامة وحدها ومنافعها ، والأوقات التى ينبغى أن يحجَم فيها مُفصَّلا مستقصى ، فيعلم من هناك .

الحديث التاسع

عن أبى محمد الخَلاّل بإسنادٍ له ، عن زيد بن أسلم : أن رجلا فى زمان رسول الله

صلى الله عليه وسلم أصابه جُرح فاحتقن الدم ، وأن الرسولَ دَعا رجلين من بنى أنمار ، فنظرا إليه ، فزعما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما : أيُّكما أطَبّ ؟ فقالا : أوَفى الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزَلَ الدَّوَاء الذِى أنزَلَ الأدْوَاء » . رواه مالك فى الموطأ

الحديث العاشر

فى معنى ما تقدمه ، وشرحهما معا

عن عمرو بن دينار، عن هلال بن يِساف قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض يعوده فقال : أرْسِلُوا إلىّ طَبِيباً ، قال : فقال قائل : وأنت تقولُ ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، إنّ اللهَ عزّ وَجلّ لمْ يُنزِلْ داء إلاَّ وَلَهُ دوَاءٌ » .

قال المؤلف : قد سبق فيما تقدم ذِكرُ الداء والدواء ، وشرح معانيهما معا ، فيعلم ذلك من الحديث الثانى من الأربعين الأولى . قال القاضى عياض : معنى قوله « أنزَلَ الدَّوَاء الذى أنزَلَ الدَّاء » أى أعلمهم إياه ، وأذن لهم فيه ، كما ابتلاهم بالداء، وأحدثه فيهم. وقد يكون إنزالُه إنزالَ الملائكة من السماء الموكلين بمباشرة مخلوقات الأرض ، من داء ودواء وقد تقدم هذا المعنى فى أوّل الكتاب بما فيه من زيادة ، فيعلم من هناك .

الحديث الحادى عشر

عن أسامة بن شَرِيك[1] قال : «أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنّ على رءوسهم الطير، فسلّمتُ، ثم قعدت ، فجاءت الأعراب من هاهنا وهاهنا، فقالوا : يارسول الله ، أنتداوى ؟ قال : نَعَمْ يا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا ، فإنّ اللهَ تعالى لَمْ يضَعْ داءً إلاّ وَضَعَ لهُ دوَاءً ، غيرَ الْهرَمِ » . ورُوى « إلاّ الهرَمَ » . رواه أبو داود .

قال المؤلف : قال الخطابىّ فى هذا الحديث إثبات الطب والمداواة ، وانّ التّدَاوىَ مباح غير مكروه ، كما ذهب إليه بعضهم وقال غيره : فيه ردٌّ على من كره المداواة ، وتورّعَ عنها ، وذمّ الطب والأطباء ، وزعم أن التّداوىَ خروجٌ عن التوكل ، ولم يعلم أن الله الذى خلق الداء ، خلق له الدّواء ، يستعملُ منه ليحصل به الشفاء ، وأن الذى خلق الجوع خلق له الغذاء ، فهل يترك هذا المدعى الغذاء ، كما يترك الدواء؟ فإن الجوع أيضا مرض، والغذاء شفاؤه. واستثنى منه الهرم، لأنه لم يوضع له شفاء ، إذ كان اضمحلالا وطريقا إلى الموت ضروريا طبيعيا ، كما ذكرناه . فإن كلّ نقص يدخُلُ على المصباح ؛ له طريق إلى الصّلاح ، إلا النقص الداخل من نقصان الزيت ، والله أعلم . وقوله « كأنّ على رءوسهم الطير» ، إشارة إلى شدة سكوتهم وأدبهم ، بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أسامة بن شريك الثعلبى : صحابى ، وعنه زياد بن علاقة وعلى بن الأقمر . « الخلاصة » .

الحديث الثانى عشر

عن المغيرة بن شُعْبة(١)، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنِ اكْتَوَى أوِ اسْتَرْقَى فقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ » رواه الترمذيّ . وعن عِمران بن حصين قال : « نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكيّ ، فابتُلينا وَاكْتَوَيْنَا كَيَّاتٍ ، فما أفلحْنا ولا نجحْنا » . رواه أبو داود والترمذيّ .

قال المؤلف : قوله صلى الله عليه وسلم « منِ اكتوى أوِ استرقى ، فقد برِئ من التوكّل » : هو إشارة إلى أن تفويض الأمر فى ذلك إلى الله تعالى ، هو الأحسن ، لأن المتوكل التوكلَ المحض ، هو الذى يفوِّض أمره إلى الله ، ولا ينظر إلى الأسباب ، ويشتغل بالسبب لا بالمسبب ؛ ويجوز أن يكون المراد بذلك لمن كان صحيحا ، ويقصد بذلك دوام صحته ، ويعتقد فيهما النفع بطبيعتهما ، كما كانت تعتقده الجاهلية معا فى رقاهم من الألفاظ الكفرية ، والتى لايعقل لها معنى ؛ وقد تقدم فى الأربعين الأولى ، عن أبى سعيد الخُدرىّ : « أن جبريل عليه السلام رقَى النبي صلى الله عليه وسلم » ، فقد يُظن مخالفا لهذا الحديث ولا يخالفه، بل المنع فى ترك الرقَى التى هى من كلام الكفار ، والرُّقَى المجهولة ، والتى بغير العربية، مما لايُعرف معناه، فهذه مذمومة ، لاحتمال أن معناها كفر ، أو قريب منه أو مكروه . وأما الرُّقى بآيات القرآن العزيز ، وبالأذكار المعروفة ، فلا نهى فيها ، بل هى سنة مستحبّة . وأما الكيُّ فقد تقدم الكلام فيه ، وما ورد فى معناه من الأخبار فى الأربعينْ الأولى ، فيعلم من هناك .

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر الثقفى ، شهد الحديبية وأسلم زمن الخندق وكان أريبا . توفى سنة خمسين للهجرة . « الخلاصة » .

الحديث الثالثَ عَشر

عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ خَيْرَ ما تَدَاوَيْتُمْ بِهِ اللَّدُودُ ، وَالسَّعُوطُ ، وَالحجَامَةُ ، وَالمَشْىُ » . رواه الترمذىّ .

قال أبو عبيد : اللّدود : ما سُقى الإنسان فى أحد شِقَّىِ الفم؛ أخذ من لَديدى الوادى : وهما جانباه .

قلت : والمشى : ما يُسْهِل ، فهو كناية عن الإسهال . قال الأصمعىّ : وإنما أُخذ اللَّدود من لديدى الوادى ، وهما جانباه ، ومنه قيل للرجل هو يتلدد ، إذا تحيّر والتفتَ عن جانبيه يمينا وشمالا ، ويقال : لددتُ الرجل أَلُدُّه لدًّا ، إذا أسقيته ذلك ، وجمع اللَّدود ألِدَّة ، قال عمرو بن أحمر الباهلى :

شربتُ الشُّكاعَى وَالْتَدَدْتُ أَلِدَّةً وَأَقْبَلْتُ أفْوَاهَ العُرُوقِ المَكَاوِيَا

وأما السَّعوط ، فقد يكون بأدويةٍ مفردة ومركبة ، تُدَقُّ وتنخلُ وتعجنُ وتُحبّب ، ويتّخذ منها واحدة عند الحاجة أو أكثر ، ويُسْعط به فى أنف الإنسان وهو مستلق على ظهره ، و بين كتفيه ما يرفعهما ، لينخفض رأسه ، فيتمكن السعوط بذلك من دماغه ، ويستفرغ ما فيه من الداء بالعُطاس وغيره . وقد مدح النبىّ صلى الله عليه وسلم التداوىَ بالسَّعوط فيما يُحتاج إليه فيه . ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم سَعِط » . رواه أبو داود .

الحديث الرابع عشر

عن أنس : «أن النبي صلى الله عليه وسلم رخَّصَ فى الرُّقية من الحُمَة، والعين والنملة» . رواه مسلم وابن ماجه والترمذى .

قال المؤلف : الرقية واحدة الرقَى ، تكتب بالياء ، وقد تقدَّم الكلام عنها فى الحديث السابع عشر من الأربعين الأولى . وأما الحُمَة : فإنها سَمّ ذوات السموم ، وقد تُسمى إبرة العقرب والزنبور حُمَة، لأنها مجرًى للسم . هكذا ذكره الخطابى وغيره من أئمة اللغة . قال المازَرى : الحُمَة: بضم الحاء وفتح الميم وتخفيفها: السّم . والنملة: قروحَ تخرج فى الجنبين وغيرهما . قلت : إنما سُمِّيت القروحُ المذكورة نملة ، لأن العليلَ يحس لها دبيبا كدبيب النمل وعَضَّه ، وتسمى أيضا القروح الساعية ، وأصنافها ثلاثة مذكورة فى الكتب الطبية. قال ابن قتيبة وغيره : كانت المجوس تزعم أن وَلدَ الرجل من أخته إذا خَطّ على النملة شُفى صاحبها، ومنه قول الشاعر :

وَلا عَيْبَ فِينَا غيْرَ عِرْقٍ لِمَعْشَرٍ ... كِرَامٍ وَأَنَّا لانَخُطُّ عَلَى النَّمْلِ

والنملة أيضا: النميمة ، وحكاها الهَرَوِى بالضم . وروى عن أبى بكر بن سليمان ابن أبي حَثْمة عن الشفاء بنت عبد الله[1] ، قالت: «دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة ، فقال : ألاَ تُعَلِّمين هٰذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلةِ ، كما علمتيها الكِتَابة »؟ . رواه أبو داود

قال الخطَّابى : فى الحديث دليل على أن تعلّمَ النساء الكتابة غير مكروه .
قال أبو عبيد : أخبرنى الهيثم بن عدى قال : قال لى عبد العزيز بن عمر

---

(١) هى جدته .

ابن عبد العزيز : يا أهل العراق : أنتم تشقُّون الشعرة نصفين ، فما رُقية النملة ؟ فقلت : «العروس تكتحل وتقتال ، وكل شيء تفعل ، غير أنها لاتعصى الرجل» . قال أبو عبيد : تقتال : تحتكم . رُوى عن أبى بكر الخلال أن الشفاء بنت عبد الله كانت تَرقِى فى الجاهلية من النملة ، فلما هاجرت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكانت قد بايعته بمكة، قالت: يا رسول الله : إنى كنتُ أرقِى فى الجاهلية من النملة ، وأريد أن أعرضها عليك . فعرضَتْها فقالت : « بِاسْمِ اللهِ صَلُوصلَت[1] ، حتّى تَعُودَ مِنْ أفْوَاهِهَا ، وَلا تضرّ أحداً . اللّهُمّ اكْشِفِ البَأسَ رَبّ النّاس » . قال: تَرْقِى بِها عَلَى عُودٍ سبْعَ مرّاتٍ ، وَتَقْصِدُ مكاناً نَظِيفاً ، وَتَدْلُكُه عَلَى حجرٍ بخَلّ خمرٍ حاذِقٍ ، وَتُطْلِيهِ عَلَى النّملة[2] » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «رَخّص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرُّقية من الحيَّة والعقرب[3] » .

رواه ابن ماجه وغيره .

---

(١) فى الطب النبوى (صلت) فقط . وفى زاد المعاد : (صلو صلب جبر) وفى الهامش تعليق ننقله بالنص : (فى أسد الغابة فى ترجمة الشفاء « جبر » بالجيم . وفى الإصابة « خير » بالخاء . وهذا يشبه كلام النصارى . لأنهم يعرفون الصلب والصليب إلا إذا كان فى الكلام تحريف . وقد ذكر فى (عون المعبود) : أن رقية النملة : كلام كانت نساء العرب تستعمله ، يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع ، أن تقول المرأة : « العروس تحتفل وتختضب وتكتحل ، وكل شىء تفتعل ، غير أن لا تعصى الرجل» . فأراد صلى الله عليه وسلم بهذا المقال : تأنيب حفصة والتأديب لها ، تعريضا ، لأنها أفشت السر الذى ألقاه إليها ، على ما ذكر فى سورة التحريم . وكذا قال الكوشانى . اه .

(٢ ، ٣) الطب النبوي .

الحديث الخامس عشر

عن أبى شهاب رضى الله عنه قال : « لَدَغَتْ بعضَ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيَّةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ مِنْ رَاقٍ ؟ فقالوا : يارسولَ الله : إن آل حزم كانوا يرقون رُقية الحيَّة ، فلما نهيتَ عن الرقى تركوها ، فقال : ادْعُوا عِمَارَةَ بنَ حزْمٍ ، فدعَوْه فعرض عليه رُقاه ، فقال : لا بَأسَ بِهَا ، فأذِن لهُ فيها ، فرقاه[1] » . رواه صاحب الوسيلة .

قال المؤلف : قد تقدم شرح أحاديث الرُّقَى فى عدة أماكن ، فتعلم من أماكنها .

الحديث السادس عشر

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العَيْنُ حقٌّ ، وَلوْ كانَ شَيْءٌ سَابِقُ القَدَرِ سَبقَتْهُ العَيْنُ ، وَإذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فاغْسِلُوا[2] » . أخرجه مسلم والترمذىّ .

قال المؤلف : تقول العرب رجل مَعِين ، إذا أُخِذَ بالعين ، استحسانا لصورته ، أو كمالٍ فى معانيه ، وذلك مما ينفى خوفا من العين ، وفيه يقول الشاعر :

ما كانَ أحْوَجَ ذا الكمالَ إلى عيْبٍ يُوَقِّيهِ مِنَ العيْنِ

زعم بعض الحكماء أن العائن تنبعث من عينه سَمِّيَّة تتصل بالمعين ، فيهلك أوْ يَفْسُدُ . قالوا : ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سَمية من الأفعى ،

---

(١) الطب النبوي . (٢) صحيح مسلم

تتصل بالإنسان فيهلك ، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعى، إذا وقع بصرها على الإنسان هلك ، و إن كان ذلك غير محسوس لنا ، فكذلك العين (١) . وقد أبطل بعضُ العلماء هذا المذهب ، قال : وأقرب طريقة سلكها بعض منتحلى الإسلام منهم ، أن يكون غير بعيدٍ أن تنبعث جواهرُ لطيفة غير مرئية من العين ، فتصل بالمعيون ، وتتخلل مسامَّ جسمه ، فيخلق البارى سبحانه الهلاك عندها ، كما يخلق الهلاك عند شرب السم ، عادة أجراها ، لا ضرورة ولا طبيعة ألجأ العقل إليها . قال القاضى عياض : وهكذا مذهب أهل السنة ، أن المعيون إنما يَفْسُدُ عند نظر العائنِ بعادة أجراها الله سبحانه، بأن يخلق الضرر عند مقابلة شخص لشخص آخر . وأما الوضوء ، فإن الشرع ورد بالوضوء له « فى حديث سهل بن حُنيف ، لمَّا أُصيب بالعين عند اغتساله ، فأمر النبىُّ صلى الله عليه وسلم عائِنَهُ أن يتوَضَّأَ». رواه مالك فى الموطأ . قال : وَصِفَةُ وضوء العائن عند العلماء : أن يُؤتَى بقدحٍ من الماء ، ولا يوضع القدح فى الأرض ، فيأخذ منه غُرفةً يتمضمض بها ، ثم يمجُّها فى القدح، ثم يأخذ منه ما يغسل به وجهه ، ثم يأخذ بشمالِه ما يغسل به كفه اليمنى ، ثم بيمينه ما يغسل به كفه اليسرى ، ثم بشماله ما يغسل به مِرْفقه الأيمن، ثم بيمينه ما يغسل به مِرْفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين، ثم قدمه اليمنى ثم اليسرى، ثم ركبته اليمنى، ثم اليسرى، على الصفة المتقدمة ، وكل ذلك فى القدح، ثم داخلة إزاره ، وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقْوَهُ الأيمن. كذا فسّره الإمام المازَرِىّ . وقد ظنّ بعضُهم أنّ « داخلة الإزار » كناية عنّ الفرج ، وجمهور العلماء على ما حكاه الإمام ، فإذا استكمل هذا صبَّه من خلفِه على رأسه . وهذا المعنى

---

(١) في خ . العاين .

مما لايمكن تعليله ومعرفة وجهه ، وليس فى قوة العقل الاطلاع على أسرار المعلومات كلها ، فلا يدفع هذا إذْ لا يُعقل معناه . قال القاضى : إن غَسْل العائن وجهه: إنما هو صبة واحدة بيده اليمنى ، وكذلك سائر أعضائه . إنما هو صبَّةٌ على ذلك العضو فى القدح ، وكذلك غسل داخلة الإزار ، إنما هو إدخاله وغمسه فى القدح ، ثم يقوم الذى فى يده القدح ، فيصبه على رأس المعين من ورائه ، على جميع جسده ، ثم يَكفأ القدح وراءه على ظهر الأرض . وقيل يفتغله بذلك حين صبِّه عليه . رُوى عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا رَأى أَحَدُكُم مِنْ نفسِهِ أوْ مالِهِ ، أوْ مِنْ أخيهِ ما يُعْجِبُهُ ، فليَدْعُ لهُ بِالبَرَكَةِ ، فإنَّ العَيْنَ حقٌّ[1] » . وعن أبي أُمامة بن سهل ، عن أبيه قال : « رأى عامر بن أبى ربيعة سهلَ بن حُنيف يغتسل ، فقال : والله ما رأيت كاليوم ولا جِلْد مُخبَّأة عذراء ، قال : فلُبِطَ سهل ، فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامرا، فتغيظ عليه وقال: عَلامَ يقتُلُ أحَدُكُم أخاهُ ؟ ألا بَرَّكْتَ ؟ اغتسِلْ لهُ، فغسل له عامر وجهه ، ويديه ومرفقيه ، وركبتيه وأطراف رجليه، وداخلة إزاره فى قدح ، ثم صبَّ عليه فراح مع الناس » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوَّذ من الجانّ ، ومن عين الإنسان . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العَيْنُ حقٌّ تُدْخِلُ الجَمَلَ القِدْرَ ، وتُدْخِلُ الرَّجلَ القَبْرَ[2] » .

---

(١) الفتح الكبير ، لأبى يعلى فى مسنده .

(٢) الجامع الصغير . فى خ هذه الزيادة (وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أسترقى من العين) . رواه مسلم .

حكاية فى المغنى : قال : كان عبد الله التنوخى مُجابَ الدعوة ، وله كرامات ، فبينما هو فى بعض أسفاره إما حاجًّا و إما غازيا ، على ناقة فارعة ، وكان فى الرُّفقة رجل عائن ، قلّ ما ينظر إلى شىء إلا أتلفه ، فقيل لأبى عبد الله : احفظ ناقتكَ من العائن ، فقال : ليس له إلى ناقتى سبيل ، فأُخبِرَ العائن بقوله ، فتحيَّن غيبة أبى عبد الله ، فجاء إلى رحله ، فعان ناقته ، فاضطربت وسقطت مضطربة . فأتى أبو عبد الله ، فقيل له : إن العائن قد عان ناقتك ، وهى كما تراها . فقال : دلونى على العائن ، فدُلّ عليه ، فوقف عليه وقال : باسم الله ، حبس حابس ، وحجر يابس ، وشهاب قابس[(١)] ، رُدَّت عينُ العائن عليه ، وعلى أحبّ الناس إليه ، (فارجع البصرَ هلْ ترَى منْ فُطور ، ثمّ ارجِع البصرَ كرَّتين ينقَلِبْ إليْكَ البصرُ خاسِئاً وَهوَ حَسِير) . فخرجت حدقتا العائن ، وقامت الناقة ولا بأس بها .

الحديث السابعَ عَشَر

عن أبى سعيد الخُدْرىّ رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحدُ جَنَاحَىِ الذُّبَابِ سُمٌّ ، وَالآخرُ شِفَاءٌ ، فإذا وَقعَ فى الطَّعَامِ فامْقُلوهُ ، فإنّهُ يقَدِّمُ السُّمَّ ، وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ[(٢)] » . أخرجه ابن ماجه والبخارىّ .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فى إِنَاءِ أحَدِكُمْ فَامْقُلُوهُ ، فإنّ فى أحَدِ جَنَاحَيْهِ داءً ، وَفى الآخرِ شِفَاءً[(٣)] »

---

(١) فى خ بعد كلمة قابس هذه العبارة « قصة عجيبة » .

(٢ ، ٣) الطب النبوى

قال أبو عبيد : معنى امقُلُوه : اغمسوه ليخرج الشفاء، كما خرج الداء . والمقلُ : هو الغمس ، يقال للرجلين : هما يتماقلان : إذا تغاطّا فى الماء . والمقلُ فى غير هذا : النظر . يقال : ما مَقَلَتْهُ عينى منذ اليوم .

وأما ما ورد فيه من جهة الطب من نفع ومضرّة ، فقد ذكرته فى حرف الذال المعجمة من هذا الكتاب ، بحسب الإمكان .

الحديث الثامن عشر

عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبهُ النظرُ إلى الخضرةِ والماء الجارى (١) » .

وقال ابن عباس : ثلاثٌ يجلين البصر : الخضرة، والماء الجارِى، والوجه الحسن (٢)

قال المؤلف : الخضرةُ لونٌ معتدل نافع للبصر ، بما فيه من الجمع المعتدل للروح الباصر ، فيقوَى البصرُ بإدراك اللونِ المذكور ، كما ذكرناه ، وإذا قوىَ الروحُ الباصر ، حصل بسبب قوّته : قوّةُ جميع قُوَى العين ؛ ومتى قوِيَتْ هذه القوى ، دفعتْ عنها كلَّ ما يؤذيها من الأسباب الداخلة، وأكثر الخارجة ، وكان ذلك سببا لجلائها ، وإنما قلنا الأخضر لون معتدل ، لأنه مركبٌ من البياض والسواد، على ما ثبت فى تركيب الألوان فى الكتب الحكمية ، وكلٌ واحد من اللونين المذكورين مضرٌّ بالبصر على حدته، أما الأسود فلشدّة قبضه للنور، وأما الأبيض فلشدة تفريقه له ، والأخضر مركب منهما بواسطة ألوان أخرى ، فهو معتدل بينهما ، وكل معتدل فهو وسطٌ ، وكل متوسّط فهو أفضل من الطرف ، فثبت حينئذ

(١ ، ٢) المصابيح للبغوى .

نفعهُ وتقويتهُ للبصر . وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا » . وأنه كان أحبَّ الألوان إليه الخضرة[1] . وقد روى عن أبى رِمْثَةَ قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فرأيتُ عليه ثوبين أخضرين

وأما الماء الجارى : فلِما فى إدراكه من إنارةِ الروح الباصِرِ ، لتحقيق إدراك البصر لجريان كلِّ جزء من أجزاء الماء ، وترقرُقهِ وتموُّجه ، وكلُّ إدراك حركة ، وكل حركة ملطِّفة مسخنة ، فيتبع ذلك تسخين مزاج العين ، بانتشار حرارتها الغريزية ، وحركة الروح للإدراك على الصفة المذكورة ، فيكونُ ذلك سببا لقوة إدراكها ، وتلطيف مِزاجها ونورها ، تلطيفا معتدلا ، مؤديا إلى زيادة فى الروح الباصر ونموِّه ، إذْ كان اتصالُه عند الإدراك بجسم بارد رطبٍ ، غير معينٍ على التَّحليل ، بخلاف ما لوِ اتصل بضوء الشمس ، أوِ لهيب النار . فإن كان الماء مع ذلك عميقا أدركه البصر أزرق أو أخضر ، على قدر كثرته وعمقه ، فلا يشِفُّهُ البصر ، ولا ينْفذُ فيه نفوذا تامًّا ، أو لأنه قد يكون غير شفاف ، فالبصر لا يُدْرِكُ لون ما تحته ، فيتلوَّنُ بلون ما فوقه من السماء ، فيُرَى أزرق لذلك . وكان هذا اللون أيضا مفيدا فى قوَّة البصر وجِلائه . وأما الوجه الحسن : فلأن مشاهدته مفرحةٌ للنفس ، لاسيما إن كان مع ذلك محبوبا ، وكلّ ما يحصُلُ به التفريحُ المعتدل ، تتبعه قوَّة القوى جميعها ، الفاعلة للبصر وغيرها ، على ما ثبتَ حكم ذلك فى الكتب الحكمية .

---

(١) الفتح الكبير ، عن أنس ، رواه ابن السنى وأبونعيم فى الطب . وفى هذه الزيادة قال الشاعر :

عليْكَ بأَوْسَاطِ الأُمُورِ فإنّها نجَاةٌ وَلا ترْكَبْ ذلُولاً وَلا صَعْبا

ومعلوم أيضا أن السبب المذكور وهو التفريح ، موجود فى مشاهدة الخضرة والماء الجارى ؛ أما الخضرة فلأنها من الألوان المفرحة ، وكذلك خصّها الله تعالى بالذكر فى حق أهل الجنة، فقال تعالى: (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا) ، وقوله عزّ وجل : (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) ، ولم يذكر غير ذلك من الألوان . وأما الماء الجارى فمشاهدته مفرحة أيضا ، لما فيه من مدَدِ الحياة ، قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) ، ولأنه أنفع من الماء الرّاكد للطافته ، وتعدُّد نفعه ودوام مَدَده ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل مدَدَه متجدّدا بتولده فى مجاريه التى منها يأتى ، فلا يزال طريًّا متحرّكا من مكانٍ إلى غيره ، ولم يطُل مكثُه فى مكانٍ واحدٍ ، فيفسد ويعفَن بسبب تعفنه الهواء ، فيُوَلِّد أمراضا رديئة وبائية . قال الشاعر :

عَوِّدْ رِكَابَكَ كلَّ يوم منزِلاً … مُتَجَدِّداً كَيْلَا تُمَلَّ فتهْجَرَا

فالْمَاءُ عَذْبٌ إنْ جَرَى وَتَلَاطَمَتْ … أَمْوَاجُهُ فإذا أقَامَ تغيَّرَا

فلأن الراكد منه ، قد تتولّد فيه وفيما يقرب منه ، حيوانات رديئة مؤذية ، تنفِر النفسُ من مشاهدتها . فلهذه الأسباب المذكورة كان يُعجبُ النبىّ صلى الله عليه وسلم النّظر إلى الخُضرة والماء الجارى .

الحديث التاسع عشر

عن علىّ كرم الله وجهه قال: «دخلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجلٍ يعوده ، بظهره ورم . فقالوا : يارسول الله هذه مِدّة ، قال : بُطّوا عنهُ ؛

قال علىّ كرم الله وجهه : فما برحتُ حتى بُطَّتْ ، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم شاهد[١] » . رواه ابن الجوزىّ .

قال المؤلف : الورمُ زيادة فى حجم العُضْو ، لفضلِ مادةٍ تنصَبُّ إليه غير طبيعية[٢] ، وتوجد فيه أجناس الأمراض كلها . والمواد التى تكوَّن عنها ، هى الأخلاط الأربعة ، والمائية ، والريح ، وإذا جُمع الورم سمِّى خُرَاجا ، وكل ورمٍ حارّ يئول أمره إلى السلامة إلى ثلاثة أمور : إما تحلُّل ، وإما جمع مِدَّة ، وإما استحالة إلى الصلابة ؛ فإن كانت القوة قوية استولتْ على مادة الورم وحللته ، وهى أصلح الحالات التى يئول أمر الورم إليها ، وإن كانت دون ذلك أنضجت المادة ، وأحالتها مِدَّةً بيضاء ، وفتحت لها مكانا أسالتها منه ، وإن نقصتْ عن ذلك أحالت المادة مِدَّةَ غير مستحكمةِ النُّضج ، وعجزتْ عن فتح مكان فى العضو تدفعها منه ، فيُخاف على العضو الفساد ، لإفساد طول لبثها فيه ، فيحتاج حينئذٍ إلى إعانة الطبيب بالبطّ أو غيره ، لإخراج تلك المادة الرديئة المفسدة للعضو .

وأما كيفية البطّ وما يحتاج إليه فيه ، وتمام الكلام فى الأورام ، فليس هُنا موضع ذكرها ، إذِ الغرضُ شرح ما وقع من الألفاظ الطبية فى الأحاديث النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

الحديث العشرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم أمر طبيبا أن

---

(١) الطب النبوى .

(٢) فى خ هذه الزيادة (فيضر بالفعل مضرة أولية) .

يبطّ بطن رجلٍ أجوى البطن ، فقيل يا رسول الله : هل ينفع الطب ؟ قال : الّذِى أَنْزَلَ الدَّاء ، أَنزلَ الشفَاء ، فِيمَا شَاءَ[١] » .

قال المؤلف : قوله « إن النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرا طبيبا أن يَبُطّ بطن رجل أجوى البطن » : هذا الحديث إن ثبت يؤيد معالجةَ منْ يرَى مِنَ الأطباء بَزْل[٢] بطن من أصابه استسقاء زِقّى ، والاستسقاء : مرضٌ مادّى من أمراض الكبد ، يعم الأفضية[٣] التى فى الأحشاء ، وربّما يعم الأعضاء بأسرها ، و يتقدمه تهيّج الأطراف ، وهو — على ماتقدم ذكره فى الأربعين الأولى — ثلاثة أنواع : طَبْلى ، وهو الذى ينتفخ معه البطن بمادة ريحية ، إذا ضرب عليه سمع له صوت كصوت الطبْل . ولحمىّ ، وهو الذى يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية ، تفشو مع الدم فى الأعضاء ، وهو أصعب من الأوّل . وزِقّى ، وهو الذى تجتمع معه فى البطن الأسفل مادةٌ مائية رديئة ، يُسْمعُ لها عند الحركة خَضْخَضَة كخضخضة الماء فى الزّق ، وهو أردأ أنواع الاستسقاء ، على مذهب أكثر الأطباء ، وقيل : أردأ أنواعه اللحمى لعموم الآفة فيه . ومن جملة علاج الزّقى إخراج ذلك الماء بالبزْل ، على ماتعرفه الأطباء فى دفعاتٍ ، أوّلا فأوّلا بحسب احتمال القوّة . والجوى في اللغة يقال على معانٍ : منها الماء المُنْتن ، وهو الذى أشار إليه فى الحديث بقوله : « أجوى البطن » قال الشاعر :

ثم كانَ المِزَاجُ ماءَ سَحَابٍ   لا جَوٍ آجِنٌ وَلا مطْرُوقُ

---

(١) الطب النبوى .   (٢) البزل هنا : هو سحب الماء أو المواد التى تسبب المرضى .

(٣) الأفضية : جمع فضاء .

والآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، قال علقمة :

فأَوْرَدَهَا ماءً كأنَّ جِمَامَهُ مِنَ الأجْنِ حِنَّاءٌ معًا وصَبِيبُ

الحديث الحادى والعشرون

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى الإنسان ، أو كانت به قُرحة أو جُرح ، قال بأصبعه هكذا : (ووضعَ سفيان سبَّابتَه بالأرض ، ثم رفعها) وقال : بِاسْمِ اللهِ ، تُرْبَةُ أرْضِنَا ، برِيقة بعْضِنَا ، ليُشْفَى سقِيمُنا ، بإذْنِ ربِّنَا[1] » . أخرجاه فى الصحيحين

قال المؤلف : اشتمل هذا الحديث على معانٍ طبية ولغوية وغير ذلك . أما الطبية ، فإن هذه المعالجة من أسهل المعالجات ، التى تُعالج بها القروح والجراحات الطرية ، لاسيما عند عدم غيرها من الأدوية النافعة ، وليس على أحد فيها كُلفة ومؤنة غيرها من الأدوية ، إذ كانت موجودة بكل أرض . وقد علم أن طبيعة التراب باردة يابسة ، مجففة لرطوبات القروح والجراحات ، التى تمنع الطبيعة من جودة فعلها ، وسرعة إدمالها ، لاسيما فى البلاد الحارة ، وأصحاب الأمزجة الحارة ، فإن القروح والجراحات يتبعُها فى أكثر الأمر سوء مزاج حار ، فتجتمع حرارةُ البدن والمِزاج والجراح . وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة ، أشدُّ من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة ، فيقابل برودة التراب لجميع ذلك[2] ، لاسيما

(١) الطب النبوى .

(٢) كذا فى خ . وفى ل : الحوازة المرض ، بدلا من (لجميع ذلك) .

إن كان التراب قد غسل وجُفِّف ، ويتبع القروح أيضا كثرةُ الرطوبات الرديئة والسَّيلان ، والترابُ مجففٌ لها ، مزيل بشدة يبسه وتجفيفه للرطوبة الرديئة المانعة من بُرئها ، ويحصل به مع ذلك تعديلُ مزاج العضو العليل ، ومتى اعتدل مزاجُ العضو قويَتْ قواهُ المدبِّرة ، ودفعت عنه الألم بإذن الله تعالى . وأما المعنى اللغوىّ فإن الريق يذكَّر ويؤنّث ، فيقال : ريق وريقة ، كما يقال : رَبْعٌ وَرَبْعَة . قال الجوهرىّ : الريق الرُّضاب ، والريقة أخصّ منه . وقيل : الرِّيقة أقل من الرِّيق ومعنى الحديث ، والله أعلم : أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبَّابة ، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شىءٌ فيمسح به على الجرح ، ويقول هذا الكلام إلى آخره ، لما فيه من بركة ذكر الله تعالى ، وتفويض الأمر إليه . قال جمهور العلماء : المرادُ بأرضنا هنا : جملة الأرض ، وقيل أرضُ المدينة خاصة لبركتها

واعلم أن بعضَ أنواع الطين قد ينفع أمراضا كثيرة ، ويَشْفِي أمراضا رديئة ، يدلُّ عليه كلامُ علماء الطب . قال جالينوس : وقد رأيت بالإسكندرية مطحُولين ، ومستسقين كثيرا ، يستعملون طينَ مصر ، ويطلُون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم ، وقصوصهم وأضلاعهم ، فينتفعون به منفعة بيِّنة ؛ وعلى هذا النحو قد ينفع هذا الطِّلاء ، للأورام العفنة ، والمترهلة الرخوة . قال : وإنى لأعرف قوما ترَهَّلَتْ أبدانُهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل ، انتفعوا بهذا الطين نفعا بيِّنا ، وقوما آخرين شَفَوْا به أوجاعا مزمنة ، كانت متمكنة فى بعض الأعضاء تمكُّنا شديدا ، فبرئت وذهبتْ أصلا . وقال المسيحىّ : قوّة الطين المجلوب من كيوس ، وهى جزيرة المَصْطَكَى ، قوةٌ تجلو وتغسل ، وتنبت اللحم فى الجروح ،

وتختم القروح . فهذا ما أمكن ذكره فى هذا الموضوع على جهة الاختصار . والله الموفق للصواب[١] .

ذكر مداواة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء

وأمره به فى معالجة الحمى ، مما نقلته من الوسيلة وغيرها

اختلف الناسُ فى ذلك ، فقال قوم : هـذه كانتْ عادة العرب ، والعادة كالطبيعة . وقد عُلِم أن بلادهم شديدة الحرارة واليبس ، والماء مُبرِّدٌ مرطِّب ، فيكون نافعا لهم . وقد ذُكر فى هذا التبريد بالماء للمحموم أوجه ، منها الاغتسال ، وهو ظاهر ، ومنها غير ذلك مما ورد فى متون الحديث ، وجاء فى حديث : أن المراد به ماء زمزم ، فيكون إذنْ للتَّبرُّك .

وأما من حيث صناعة الطب ، فيجوز استعماله بعد اعتبار شرائط ، ذكرها الرازىّ؛ وهى : إذا كانت القوة قوية ، والحمى حادة جدًّا ، وَالنُّضْجُ بيِّن ، ولا ورم فى الجوف ولا فتْق ، نفع الماء البارد شربا ، وإن كان العليلُ خِصب البدن ، والزمان حارٌّ ، وكان معتادا لاستعمال الماء البارد من خارج ، فليؤْذَن فيه .

وقد تقدم فى شرح الحديث الرابع من الأربعين الأولى ، ما يغنى عن إعادته فى ذلك .

---

(١) هنا اختتم المؤلف الجزء الأول من كتابه ، وقد رأينا أن نكمل الأربعين حديثاً من هذا الباب السابع ، على أن يبتدئ الجزء الثانى من الباب الثامن إن شاء الله . (المحقق) .

الحديث الثانى والعشرون

عن عفان بن مسلم[١] ، عن همام ، عن أبى جمرة الضُّبَعى قال : كنتُ أجالس ابن عباس رضى الله عنهما بمكة ، فأخذتنى الحمّى ، فقال : ابرُدْها عنك بماء زمزم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الحمَّى مِنْ فَيْحِ جهنَّمَ فابرُدُوهَا بِالمَاءِ ، أو قال : بِمَاءِ زَمْزَم » . رواه البخارىّ فى أفراده .

قال المؤلف : تدَاوَلَهُ بعضهم ، فقال : معناه تصدَّقوا بالماء . وقال آخرون : بل هو شربٌ مُبرِّدٌ فى الحمى الصفراوية . والصحيح ما قدمنا ذكره فى أوّل الكتاب

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حُمَّ أحَدُكُمْ ، فليُرَشَّ عليْهِ المَاءُ البَارِدُ ثَلاثَ لَيَالٍ مِنَ السَّحَرِ » . رواه ابن الجوزى وغيره .

وعن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمَّى كِيرٌ مِنْ جهَنَّمَ ، فنَحُّوها عنكُمْ بِالمَاءِ البَارِدِ » . رواه ابن ماجه .

الحديث الرابع والعشرون

عن سَمُرة بن جندَب[٢] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمَّى قِطْعَةٌ

---

(١) عفان بن مسلم بن عبد الله الأنصارى ، أحد الأئمة الأعلام . توفى سنة عشرين ومائتين.

(٢) سمرة بن جندب بن هلال الفزارى ، توفى بالبصرة سنة ثمان — أو تسع وخمسين .
« الخلاصة »

مِنَ النَّارِ ، فابْرُدُوهَا عنكُمْ بِالمَاءِ البَارِدِ[١] » . « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حُمَّ ، دعا بقِرْبةٍ من الماء فأفرَغها على رأسه ، فاغتسل » . رواه ابن الجوزى .

قال المؤلف : شرح هذه الأحاديث المذكورة فى معالجة الحمى بالماء البارد ، فى شرح الحديث الرابع من الأربعين الأولى ، فيعلم من هناك

الحديث الخامس والعشرون

عن نافع بن جُبَيْر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمُ الحمَّى ، فإنَّ الحمَّى قِطعةٌ مِنَ النَّارِ ، فلْيُطْفِئْهَا بِالمَاءِ البَارِدِ ، فَلْيَسْتَنْقِعْ فى نَهْرٍ جارٍ ، ولْيَسْتَقْبِلْ جِرْيَتَهُ بعْدَ صلاةِ الصُّبْحِ ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَلْيقُلْ : بِاسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ اشْفِ عبْدَكَ ، وَصَدِّقْ رسُولَكَ ، وَلْيَنْغمِسْ فِيهِ ثلاثَ غَمَسَاتٍ ثلاثَةَ أيَّامٍ ، فإنْ بَرِئَ وَإلاّ ففى خَمْسٍ ، فإنْ لم يبْرأْ فى خَمْسٍ ، فسَبْعٍ . فإنْ لَمْ يبْرأْ فى سَبْعٍ فتِسْعٍ ، فإنَّها لا تَكادُ تُجَاوِزُ التِّسْعَ بإذن الله » . رواه الترمذىّ

قال المؤلف : أراد بقوله صلى الله عليه وسلم « بعد الفجر وقبل طلوع الشمس » : فى فصل الصيف ، فى البلاد الحارة واليمن ونحوهما ، لاسيما إن كان شابا ، فإن الماء فى ذلك الوقت أبرد ما يكون ، لبعده عن ملاقاة الشمس ، ووفور القُوَى فى ذلك الوقت ، لما أفادها النومُ والسكونُ وبردُ الهواء ؛ فتجتمع قوَّةُ القُوى وقوَّةُ

---

(١) زاد المعاد ، حديث غريب .

الدواء ، وهو الماء البارد ، على حرارة الحمى ، التى هى من جنس حمى يوم أو الغِبِّ الخالصة[١] ، فيقطعها بإذن الله تعالى ، لاسيما قبيل الأيام المذكورة ، وهى الأيام التى نفع فيها من الأمراض الحارة كثيرا ، لاسيما بالبلاد المذكورة ، لرقة أخلاط سكانها ، وسرعة انفعالهم عن الأدوية النافعة لهم ، والله أعلم .

الحديث السادس والعشرون

عن حذيفة ، عن عمته فاطمة رضى الله عنها ، قالت : « عُدْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه أنا ونسوةٌ ، فإذا سِقاء معلق ، وماء يقطر عليه ، من شدة مايجده من حرِّ الحمى . فقلنا : يارسول الله ، لو دَعَوْتَ اللهَ يُذهِبُ عنكَ هذا ؟ فقال : إنَّ أَشَدَّ النَّاس بَلاء الأنْبِيَاء ، ثمَّ الَّذِينَ يَلونَهُمْ » .

قال المؤلف : الحكمةُ فى كون الأنبياء أشد بلاء ، ثم الأمثلُ فالأمثل ، لأنهم مخصوصون بكمال الصبر ، وصحة الاحتساب ، وحقيقة المعرفة بنعم الله تعالى ، ويعدون ذلك من نعم الله عليهم ، إذ كانت بها تتم لهم الخيرات ، ومضاعفة الأجر والحسنات ، وبها يظهر كمالُ صبرهم ، وحسنُ رضاهم عن الله تعالى .

الحديث السابع والعشرون

عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهى تشتكى ، فقال لها : ياعائِشَةُ ، الأزْمُ دَوَاءٌ ، وَالمَعِدَةُ بيتُ الدَّاءِ ، وَعوِّدُوا كلَّ بَدَنٍ ما اعْتَادَ » .

---

(١) حمى الغب الخالصة : هى التى لا ورم معها .

قال المؤلف : الأزم : الإمساك عن الأكل ، يعنى به الجوع ، وهو من أكبر الأدوية فى شفاء الأمراض الامتلائية كلها ، بحيث إنه أفضل فى علاجها من المستفرِغات ، إذا لم يخف من كثرة الامتلاء ، وهيجان الأخلاط وحِدّتها وغَلَيانها ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « المعدةُ بيتُ الدّاء » . المعدة : عضوٌ عَصَبيٌّ مجوّف كالقَرْعة فى شكله ، مركب من ثلاث طبقات ، مؤلفة من شظايا دقيقة عصبية ، تسمى الليف ، ويحيط بها لحم ؛ وليف إحدى الطبقات بالطول ، والأخرى بالعرض ، والثالثة بالورب ، وفم المعدة أكثرُ عصبا ، وقعرها أكثر لحما . وفى باطنها خَمْل ، وهى محصورة فى وسط البطن ، وأميل إلى الجانب الأيمن قليلا ؛ خُلقت على هذه الصفة بحكمة لطيفة من خالقها سبحانه ، ليس هذا موضع شرحها ، وهى بيت الداء ، إذ كانت محل الهضم الأول ، فيها ينطبخ الغذاء ، وينحدر منها بعد ذلك إلى الكبد والأمعاء على ما شُرِح فى الكتب الطبية . ويتخلّف منه فيها فَضَلات عجزت القوةُ الهاضمة عن تمام هضمها ، إما لكثرة الغذاء أو لرداءته ، أو لسوء ترتيبه فى استعماله ، أو لمجموع ذلك ، وهذه الأشياء أو بعضُها مما لا يتخلص الإنسان منها غالبا ، فتكون المعدة بيت الداء لذلك .

فكأنه صلى الله عليه وسلم يشير فى هذا الحديث ، إلى الحثّ على تقليل الغذاء ، ومنع النفس عن اتباع الشهوات ، والتحرز من الفضلات . وأما العادةُ فلأنها كالطبيعة للإنسان ، ولذلك يقال : العادة طبع ثان ، وهى عظيمة فى البدن ، حتى إن أمرا واحدا إذا قيس إلى أبدان مختلفة العادات ، كان مختلف النسبة إليها ، وإن كانت تلك الأبدان متفقة فى الوجوه الأخرى ؛ مثال ذلك أبدانٌ ثلاثة حارة المزاج فى سن الشباب ، أحدها : عُوِّد تناوُل الأشياء الحارة ، والثانى

عُوِّد تناول الأشياء الباردة ، والثالث : عُوِّد تناول الأشياء المتوسطة ؛ فإن الأوّل متى تناول عسلا لم يُضَرّ به ، والثانى متى تناوله أضرّ به ، والثالث يُضَرّ به قليلا .

فالعادة ركنٌ عظيم فى حفظ الصحة ، ومعالجة الأمراض . فلذلك أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بأن يُجْرَى بدنُ كلّ إنسان على عادته فى استعمال الأغذية والأدوية وغير ذلك ، والله أعلم .

الحديث الثامن والعشرون

عن عطاء بن السائب (١) ، عن القاسم بن عبدالرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال : « مرّ يهودىٌّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث أصحابه ، فقالت قريش : يايهودىّ ، إنّ هذا يزعم أنه نبىّ ، فقال : لأسأله عن شىء لايعلمه إلا نبىّ ، قال : فجاء حتى جلس ، فقال : يا محمد مِمّ يخلَق الإنسان ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « يايَهُودِىّ ، يُخْلَقُ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ ، وَمِنْ نُطفَةِ المَرْأَةِ ، فأما نُطفَةُ الرَّجُلِ فنُطْفَةٌ غليظَةٌ ، مِنهَا يَخْلَقُ العَظمُ وَالعَصَبُ ، وَأَمّا نُطْفَةُ المَرْأةِ فنُطفَةٌ رَقِيقَةٌ ، مِنهَا يُخلَقُ اللَّحْمُ وَالدَّمُ » ، فقام اليهودىّ وقال : هكذا كان قولُ مَنْ قَبْلَكَ رواه ابن الجوزىّ .

قال المؤلف : سنذكر شرح هذا الحديث الموفّى للثلاثين (٢) من هذا الباب ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) عطاء بن السائب الثقفى أبو محمد الكوفى أحد الأئمة . مات سنة ست وثلاثين ومائة . « الخلاصة » .

(٢) فى خ : فى الحديث الحادى والثلاثين وما قبله .

الحديث التاسع والعشرون

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: « إنَّ أحَدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فى بطنِ أمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْماً، ثمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِك، ثمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكاً، فيُؤْمَرُ بِأرْبَعِ كلماتٍ، وَيُقَالُ لهُ: اكْتُبْ عملَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأجلَهُ، وَشَقِىٌّ أوْ سعِيدٌ، ثمَّ يُنْفَخُ فيهِ الرُّوح[1] ». أخرجاه فى الصحيحين.

قال المؤلف: اتفق علماء الطبّ على أنّ خلق الجنين فى الرّحم، يكون فى نحو أربعين يوما، وفيها تتميز أعضاء الذكور منهم دون الإناث، لحرارة أمزجتهم، وقوة قواهم، واعتدال قَوام المنىّ الذى تتكون أعضاؤهم منه ونضجه، فيكون أقبل للتشكيل والتصوير، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك، والعَلَقة: قطعةُ دمٍ جامد كهيئة العَلَقة. وقد قيل: الصورة. قالوا: وتكون حركة الجنين فى ضِعفِ المدّة التى يخلق فيها، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، أىْ لحمة صغيرة بقدر ما يُمضَغ، وبتمام هذه المدة، وهى الأربعين الثالثة، تقوَى قوته وتظهر حركته، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: « ثمّ يُرْسَل الملكُ، فينفخُ فيهِ الرُّوح ». واتفق العلماء على أنّ نفخ الرُّوح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، وهو عند تمام خلقه، وكمال صورته.

واعلم أن المنىّ من حين ينعقد جنينا، إلى حين يولد، يتغيّر فى الرَّحم تغيرات

---

(١) صحيح البخارى — وبه تمام الحديث (فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة).

كثيرة ، فأوّل ذلك أن يصير زُبْدِيًّا ، ثم دَمَويًّا ، ثم لحميًّا ، ثم يقبل الصورة ، ثم يتحرّك ، ثم يولد . وأقل مدة حمل مَن يعيش منهم ، مائة يوم واثنان وثمانون يوما ونصف وثمن يوم بالتقريب ، وإن كان أقلّ فهو سَقْط ولو ساعة واحدة . وهذه الأيام من الشهور القمرية ، ستة أشهر وخمسة أيام ونصف تقريبا ، وأكملها مائتان وثمانون يوما . وهى كمال سبعة أدوار من أدوار الأربعين . وروى عن عبد الله بن مسعود قال : إن النطفة إذا وقعت فى الرحم ، وأراد الله تعالى أن يخلق منها بشرا ، طارت فى بَشَرة المرأة تحت كلّ ظفر وشعر ، ثم تمكث أربعين ليلة ، ثم تنزل دما فى الرحم ، فذلك هو جمعها . وقالت الفلاسفة : الأجسام متولدة من الأركان الأربعة ، وتولد الأخلاط عن الأركان ، فمتى كانت كمية الأخلاط التى منها التركيب [أعنى الدم والبلغم] على النسبة الفاضلة ، ولم يَعرِض عارض كانت الأجسامُ صحيحة ، والمزاج قويا ، والهيئة مقبولة ، والألوان صافية ، وكانت مقادير وضع الأعضاء بعضها من بعض على النسبة الفاضلة ، والصورة حسنة ، والخلق محمود . وأضعفُ ما يكون الجنين فى طرفى مدة الحمل ، كالثمرة فى شجرتها ، وكذلك حال الإنسان بعد الولادة أيضا ، إلى حين انقضاء العمر .

الحديث الثلاثون

عن أنس بن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « ماء الرَّجُلِ غَلِيظٌ أبيَضُ ، وَماءُ المَرْأةِ رَقِيقٌ أصفَرُ ، فَمِنْ أيِّهِما علا أوْ سَبَقَ ، يكُونُ مِنهُ الشَّبَهُ »[1] . رواه مسلم والنّسائى .

---

(١) الجامع الصغير .

الحديث الحادى والثلاثون

في معنى ما تقدمه ، وشرحهما معا

عن أنس رضى الله عنه : أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أين يشبه الولد أباه وأمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا سَبَقَ ماء الرَّجُلِ ماءَ المَرْأةِ نَزَعَ إِلَيْهِ ، وَإِذا سَبَقَ ماء المَرْأةِ ماءَ الرَّجُلِ نَزَعَ إِلَيْهَا » . انفرد بإخراجه البخاريّ .

قال المؤلف : إن الله سبحانه خلق نوع الإنسان قسمين : ذكورا وإناثا ، وخَلَق الذكر أسخن مزاجا ، وأقوى قوّة ، وجعل منيّ كلٍّ منهما على حسب ما يقتضيه مزاجه الأصليّ ، فلما كان مزاجُ الذكر أسخن وأخف من الأنثى ، كان مَنيُّهُ أغلظ قَواما ، وأبيض لونا ، إذِ الحرارة الغريزية كلما كانت أقوى ، كان اعتمادها للجسم الرطب أكثر ، وإنضاجها له أوفر ؛ ولما كان مزاج الأنثى بخلاف ذلك ، كان منِيُّها رقيقا أصفر ، على حسب ما اقتضاه مزاجُها الأصليّ ؛ ومتى اجتمع المنيان ، وقدِّر منهما كونُ الولد ، كانت القوّة العاقدة فى منيّ الذكر ، والمنعقدة فى منيّ الأنثى أغلب ، وكان الشبه لأكثرهما منيًّا ، وأصدقهما شهوة ، إذ كان هو أكثر مادة الزرع ، وتأتى فى الأعضاء كلها ، فيأتى من الأعضاء الصحيحة صحيحا ، ومن الأعضاء السقيمة سقيما ، والله أعلم .

الحديث الثانى والثلاثون

عن محمد بن مهاجر [١]، عن أبيه، عن أسماء بنت زيد بن السَّكَن، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لاتَقتلوا أولادَكم سِرًّا، فإنَّ الغَيْلَ يُدْرِكُ الفارسَ فيُدَعْثِرُهُ عن فرسِه». رواه أبو داود.

قال الخطابى: أصل الغَيْل، أن يجامع الرجلُ المرأةَ وهى مرضع، يقال: أغال الرجل، وأغيل الولد، فهو مُغَال ومُغْيَل، قال امرؤ القيس:

فألْهيتُها عَنْ ذِى تمائِمَ مُغْوِلِ [٢]

وَيُدَعْثِرُه: يريد يصرعه ويسقطه. وأصله فى الكلام الهدم، يقال: تدعثرَ البناء إذا انهدم وسقط. أراد أن المرضعة إذا جُومعتْ حملتْ، فيفسد لبنُها، فيهلك الولد، وإن بقى حتى يصير رجلا، فركب الخيل وركضها: أدركه ضعف الغَيل، فزالَ عن متونها وسقط. فكانَ ذلك كالقتل، إلا أنه سرًّا لا يُشْعَرُ به. والله أعلم.

الحديث الثالث والثلاثون

عن الزُّهرى، عن عُروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله

---

(١) محمد بن مهاجر الأنصارى الشامى. عن الوليد بن عبد الرحمن. مات سنة سبعين ومائة. «الخلاصة».

(٢) رواية البيت فى لسان العرب (غيل):

فمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ   فأَلْهيتُهَا عَنْ ذِى تمائِمَ مُغْيِلِ

قال: والغيل: أن ترضع المرأة ولدها على حبل، واسم ذلك اللبن: الغيل، وإذا شربه الولد ضوى واعتل.

صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه : « الآنَ انْقَطَعَ أَبْهَرِى مِنْ تِلْكَ الأَكْلَةِ الَّتِى أَكَلْتُهَا بِخَيْبَرَ » . رواه البخارى .

قال المؤلف : الأَبْهَرُ : هو أكبر العرقين الناشئين من التجويف الأيسر من تجويفى القلب ، وهو العِرْق الذى يسلك فيه الروح إلى جميع البدن . قال الأصمعى : الأبهرُ : عرق مستبطن الصلب ، والقلبُ متّصِلٌ به ، فإذا انقطع لم يكن معه حياة . وأما الأكلة التى أكلها بخيبر ، فهى من كَتِفِ الشاة المسمومة ، التى سمّتها زينب بنت الحارث اليهودية ، أخت مَرْحَب ، وأهدتها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا الحديث بطوله فى فصل المعجزات الطبية من هذا الكتاب [1] ، فيعلم من هناك . وكان السّمّ يتحرّك عليه بعد ذلك فى كل عام ، فى مثل الوقت الذى أكل تلك الأكلةَ فيه . والله أعلم .

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبى نَعيم الأصبهانى [2] يرفعه : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا رمِدتْ عينُ امرأةٍ من نسائِه ، لم يأتِها حتّى تبْرَأ عينها [3] » . رواه فى الطب النبوى .

قال المؤلف : الرمد : ورم حارّ ، يعرض فى الطبقة الملتحمة من العين ، وهو بياضها الظاهر ، وسببه انصبابُ أحد الأخلاط الأربعة التى تعرفها الأطباء ،

---

(١) فى الجزء الثانى .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهانى الصوفى ، صاحب كتاب (حلية الأولياء) توفى بأصبهان . اهـ . « معجم المطبوعات العربية والمعربة » .

(٣) الفتح الكبير .

أو ريحٌ حارةٌ ، إذا كثر مقدارها فى الرأس والبدن ، أو ضربة تصيب العين ، فترسل الطبيعةُ إليها من الدم والروح مقدارا كثيرا ، تروم بذلك شفاءها مما عرَضَ لها ، ولذلك يَرِمُ العضوُ المضروب ، والقياسُ يوجب ضدّه . وبالجملة فإنّ أخلاط البدن والرأس تكون متحركة هائجة فى حال الرمد ، والجماع مما يزيد حركتها وثورانها ، لحركة البدن ، ومايتعلق به من حركة النفس والروح والطبيعة ، أما البدنُ فيسخن بالحركة لا محالة ، وأما النفس فتتحرّك طلبا للذة المقترنة بالجماع ، وأما الروح فيتحرّك تبعا لحركة النفس والبدن ، إذ كان أوّل تعلّق النفس من البدن بالقلب والروح الناشئة منه ، ثم لتمين على حصول المقصود من الجماع ، لتسخينها البدن والعضو المباشر ، لذلك كان أسخنُ ما فى البدن الروح ، ثم القلب الذى هو منشؤه . وأما الطبيعة فلأنها ترسل ما يجب إرساله من المنىّ الذى اجتمع فى أوعية المنىّ بالمقدار الذى يجب . فالحاصل من ذلك : أن الجماعَ حركةٌ عامة عنيفة ، وكل حركة فهى مثيرةٌ للأخلاط ، مرققةٌ لها ، توجب دفعها وسيلانها إلى الأعضاء الضعيفة ، والعين فى حال رمدها أضعف ما تكون . ولذلك قال أبقراط فى كتاب (الفصول) : وقد يدلُّ ركوب السفن ، على أن الحركة تثوِّرُ الأبدان

وقد ذكر للرمد منافع : منها مايستدعيه من الحمية والاستفراغ ، وتنقية الرأس والبدن من فضلاتهما وعفوناتهما. والكفُّ عما يؤذى النفس والبدن من النصب ، والحركات العنيفة ، والأعمال الشاقة ، وغير ذلك . وقد جاء فى الأثر السَّلَفِىّ : «لاتكرَهوا الرَّمدَ ، فإنّهُ يقطَعُ عُرُوقَ العمى» . وأمر صلى الله عليه وسلم بالحمية فى معالجته ، بما روى «أن صهيبا قدم وهو أرمد على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وبين يديه خبز وتمر ، فأخذ يأكل من التمر ، فقال : أتأكُلُ تمراً وَبِكَ رَمدٌ» وقد ذكرنا الحديث أيضا فى باب الحمية .

ومما يجب فى معالجة الرمد أيضا ، ملازمة السكون والراحة ، وترك مسِّها والاشتغال بها ، فإن أضداد ذلك توجب انصباب الموادّ إليها ، ويؤيد ذلك ما رُوى عن أبى سعيد الخُدرىّ رضى الله عنه ، قال : مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل العين ، ودواء العين ترك مسها . وقد رُوى أن النبى صلى الله عليه وسلم عالج الرمد مع ما ذكر بتقطير الماء البارد فى العين . وهو من أكبر الأدوية له نفعا ، وأسهل وجودا . إذ كان الرمد ورما حارًّا ، والماء دواء باردا ، لا سيما إن كان مثلوجا . ويؤيد ذلك ما رُوى أن عبد الله قال لزينب [1] : لو فعلتِ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خيرا لك ، وأجدرَ أن تُشفَى ، تنضحين فى عينك الماء ، ثم تقولين : «أذهِبِ الباسَ ، ربَّ الناس ، واشفِ أنتَ الشافى ، لا شِفاءَ إلاّ شِفاؤك ، شِفاءً لا يغادِرُ سقماً ولا ألمًا » . والله أعلم .

الحديث الخامس والثلاثون

عن يزيد بن عاصم ، عن أبى عثمان النَّهْدِىّ يرفعه ، عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم : « بأن قوما مرُّوا بشجرةٍ ، فأكلوا منها ، فكأنما مرّت بهم ريحٌ فأخمدَتْهم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : قرِّسُوا الماءَ فى الشِّنان ، وصُبُّوا عليهم فيما بينَ الأذانين » . رواه أبو عُبيد فى شرح غريب الحديث . وقال : «قرِّسوا» يعنى : برِّدوا ، وقول الناس : قد قرَس البرد ، إنما هو من هذا ، بالسين ليس بالصاد . والشِّنان : الأسقية والقِرَبُ الخَلَقة ، يقال للسقاء : شَنٌّ ، وللقربة شَنَّة ، وإنما ذكر الشنان دون الجُدُد ، لأنها أشد تبريدا الماء . وقوله : « بينَ [الأذانين] » يعنى أذان الفجر والإقامة ، فسمَّى الإقامة أذانا ، والله أعلم .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل ، كما فى زاد المعاد ، وزينب امرأته .

قال المؤلف : وهذا العلاج من النبيّ صلى الله عليه وسلم من أفضل علاج هذا الداء ، إذ كان وقوعه بالحجاز ، وهي بلادٌ حارة يابسة . والحرارة الغريزية ضعيفة في بواطن سكانها . وسكب الماء البارد عليهم في الوقت المذكور — وهو أبرد وقت — من كل يوم ، إذ هو يجمع الحرارة الغريزية المستترة في البدن ، الحاملة لجميع قواه . فتقوّى القوة الدافعة منها ، ويجتمع من أقطار البطن إلى باطنه الذى هو محل ذلك الداء ، وتستظهر بباقى القُوَى على دفع المرض المذكور ، فتدفعه بإذن الله تعالى ، والله أعلم .

الحديث السادس والثلاثون

عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقِمَ بَدَنُه[1] » . رواه أبو نعيم في «الطب النبوىّ» .

قال المؤلف : الهمُّ هو الحزن، لشرّ منتظر أن يقع ، أو لخير منتظرأن يفوت، وهو من أعظم أعراض النفس ، التى هى أوّل تعلّقها بالقلب ؛ والأعراض النفسانية هى انفعالات القوة الحيوانية المنفعلة التى فى القلب ، عن أشياء تؤثّر فيها من خارج ، متى كان البدن صحيحا ، وقِوام البدن معلّقٌ بالقلب، والقوة الحيوانية التى فيه ؛ لأن هذه القوة المبدأ الأول لجميع قوى البدن ، بأمر الله تعالى ؛ وبحسب تغيير أحوالها تتغيّر أحوال مزاجات الأعضاء ، والأخلاط والأرواح ، وجميع أفعال القوى . وبالجملة فإن الهمّ والخوف والحزن وما أشبه ذلك ، يوهنُ القوّة ، ويزيد

(١) الفتح الكبير — وتمام الحديث (من ساء خلقه عذب نفسه ، ومن كثر همه سقم بدنه ، ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته ، وسقطت مروءته) .

فى أسباب الأمراض إن كانت موجودة ، ويجلبها إن كانت مفقودة ؛ كما أن الفرح وحصول المراد يقوّيان القوة ، وينقصان من الأمراض ، وربّما أزالاها بالكلية ؛ فالهمُّ والغم من أشدّ الأعراض النفسانية ، وأكثرها نكاية للبدن . وقد رُوِى فى أن سبب موت أبى بكر الصديق رضى الله عنه، موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن علىّ رضى الله عنه قال : النومُ يغلب الإنسان ، والهمُّ يمنع النوم؛ فأشد ماخلق الله عزّ وجل الهم. والسُّقم : المرض، وهو بضمّ السين المشددة ، وإسكان القاف ، وبفتحهما ، لغتان مشهورتان ، والله أعلم .

الحديث السابع والثلاثون

عن عكرمة ، عن ابن عباس، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ وَغمومُه ، فليُكثِرْ مِنْ قوْلِ : لاحَوْلَ وَلاقُوَّةَ إلاَّ بِالله ، وَالّذِى نفسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ: إنَّ لاحوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ ، شِفَاءٌ مِنْ سَبْعِينَ دَاء ، أدْنَاهَا الْهَمُّ وَالغَمُّ وَالحَزَنُ ». رواه ابن الجوزىّ .

قال المؤلف : اشتمل هذا الحديث على معانٍ ، منها جواز تسمية جميع الأعراض النفسانية أدواء، لأنّ أكثر الأمراض يسميها الأطباء أعراضا نفسانية ، وخصّ منها الهم والغم والحزن بالذكر ، لأنها تدلُّ على المستقبل منها ، والماضى والحال . فإن الهمّ كما تقدم هو الحزن لشرّ وقع ، أو لخيرٍ فات ، والحزن بينهما مقترن بالحال . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إنّ لاحوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله ، شِفاءٌ مِنْ سَبْعِينَ داء »: أراد بذلك ، والله أعلم المبالغة لا الحصر ؛ لأنّ لفظة سبعين

تستعملها العرب المبالغة فى كلّ شىء ، ومعلوم أنّ لاحول ولا قوّة إلا بالله ، تفويض وتسليم لأمر الله تعالى . وما ذُكِرَ ذلك عن روية صادقة لزم منه التوكل المحض . وفى ذلك ترك الأفكار ، ودفع كثير من أمراض النفس ، كالهمّ والغمّ والحزن ، وغير ذلك .

واعلم أنه يجب على من كان يكثرُ همُّه ، أن يتشاغل بما يمكن أن ينسيه إياه ، كما رُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما عَلَى أحَدِكُمْ إذَا ألَحّ بِهِ هَمُّهُ أنْ يَتَقَلَّدَ سَهْمَهُ ، لِيَتَّقِىَ بِهِ هَمَّهُ » . وكذلك يجب على من كان سيىء الأخلاق ، أن يَرُوض نفسه ، وينقلها بالتدبير الصناعىّ بحسب الإمكان ، إلى ما يصلحها ؛ إذ كان سوء الخُلق ، وكثرة الهموم يوجبان كثرة الأمراض النفسية والبدنية ، ويؤيد ذلك ما رُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ سَاءَ خلقه عذَّبَ نفسه (١) » . وفى حكمة آل داود عليه الصلاة والسلام : العافيةُ مُلكٌ خفىّ ، وغمُّ ساعةٍ هرم سنة . ومن كلام جالينوس : كثيرا ما تكون الأخلاق الرديئة أسبابا للأمراض . ويستحب لمن كان كثير الهموم النظر إلى الألوان المشرقة والخضرة ، واجتناب النظر إلى السواد والألوان الداكنة ، لأنها تثير المِرة السوداء ، وهى من أكبر أسباب الغم . وقوله « لا حول » : قال أهل اللغة : الحول الحركة والحيلة ، أى لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله تعالى . وقيل : معناه لا حول فى دفع شر ، ولا قوّة فى تحصيل خير إلا بالله . ويقال أيضا : لا حيلة ولا قوّة ، فى لغة عربية حكاها الجوهرىّ .

---

(١) انظر رقم (١) هامش صفحة (١٧٨) .

الحديث الثامن والثلاثون

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[1] يرفعه : «أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم احْتجمَ على رأسِهِ بقَرْنٍ حِينَ طُبَّ» . رواه أبو عُبيد فى غريبه ، وقال ومعنى طُبَّ : أى سُحِر .

قال المؤلف : إنما احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسِه فى هذه الحالة المذكورة فى الحديث ، لأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله ، وغير ذلك من الخيالات التى حدثت له فى تلك المدة ، مما لا حقيقة لها ؛ على ما رُوى عنه صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما ، لأنه ظنَّ أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها، مالت إلى جهة الدماغ ، وغلبت على البطن المقدم منه ، الذى هو مركز التخيل ، فحَرَفت مزاجه عن الحالة الصحية . واستعمال الحجامة على الرأس فى مبدأ ذلك من أفضل المعالجة ، إذا استعملت على القانون الطبيّ .

ولذلك قال أبقراط : الأشياء التى ينبغى أن تُستفرغ ، يجب أن تُستفرغ من المواضع التى هى إليها أميل ، بالأعضاء التى تصلح لاستفراغها . وكانت هذه الحجامة قبل أن ينزل عليه الوحى فى أمر نفسه . فلما أتاه الملكان وأخبراه بأنه مسحور على ما ورد ذلك فى الأسانيد الصحيحة ، رجع عن التداوى بالطبّ البشرى ، إلى الطبّ الإلهى ، وسأل الله سبحانه فى إزالة ما عرض له من ذلك ، ثم دعا ثم دعا ، إلى أن كشف الله ما به من السحر ، وعافاه مما كان ابتلاه ،

---

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الأوسى أبو عيسى الكوفى . مات سنة ثلاث وثمانين . « الخلاصة » .

وأطلعه على دائه من السحر ، وما كان قد سحر به ، والمكان الذى أُودعَ فيه السحر ، على ما جاء مبينا فى الحديث الآخر . قال القاضى عياض : قد جاءت روايات هذا الحديث[١] مبينة أن السحر إنما سلط على جسده وظواهر جوارحه ، لا على عقله وقلبه واعتقاده ، وأنه كان فى تلك المدة لا يعتقد صحة ما يتخيله ، وكان اعتقادُه فيها على السَّداد ، وإنما كان سوء تخيُّله بالبصر ، لا لخالل تطرَّق إلى قلبه وعقله صلى الله عليه وسلم . وأما السحر وحقيقته ، وما ورد فيه ، فقد ذكرنا منه طرَفا فى شرح الحديث السابع والثلاثين من الأربعين الأولى ، فيعلم من هناك .

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبى إدريسَ الخَوْلانىّ[٢] ، عن بلال رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وقُرْبَةٌ إلى اللهِ تعالى ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإثْم ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ » . رواه الترمذىّ .

قال المؤلف : أشار صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث إلى منافع الصلاة الدنيوية والأخروية . وقد تقدم ذكر منافعها فى شرح الحديث الرابع من هذا الباب ، فيُعلم من هناك .

---

(١) فى خ زيادة هذه الجملة (يعنى المذكور فى هذا المعنى فى الصحيحين) .

(٢) هو عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولانى العوذى أبو إدريس الشامى . مات سنة ثمانين . « الخلاصة » .

الحديث الأربعون

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قَدَحُ قوارِيرَ يشْربُ فيه » . رواه ابن ماجه وغيره .

قال المؤلف : الزجاج فاضل للشرب، ولاسيما فى زمن الشتاء ، فإنه أقل تبريدا للماء من غيره ، والهنود تفضّله ، وملوكها تشرب فيه ، وتختاره على ماسواه ، لأنه قلّما يقدر الساقى أن يدسّ فيه سُمًّا ، وقلّما يقبل الوضَرَ والسُّهُوكة ، ويرجع بالغسل جديدا ، ثم إنه قد يُرِى ما وراءه ، ويَنُمُّ عن قذى الشراب ، وفيه يرى كَدَرَه ، ويستمتع بصافيه . والقوارير : الآنية من الزجاج وما سواه ، للشرب وغيره . والمراد بها هنا المتخذة من الزجاج للشرب خاصة ، وهى أفضل الآنية لبياضها وشفيفها . قال الله تعالى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ) فى صفاء الزُّجاج ، يُرَى ما فى داخلها من خارجها . لا حرمنا الله إياها بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

تمّ الجزء الأول ، ويتلوه الجزء الثانى ، وأوله :

« الباب الثامن » فى ذكر الخلاف :

هل التداوى أفضل أو تركه ... الخ

فهرس الجزء الأول

من الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية

الأحكام النبوية

في

الصناعة الطبية

تأليف

أبى الحسن على بن عبد الكريم بن طرخان بن تقى الحموى

علاء الدين الكحال

٦٥٠ — ٧٢٠ هـ

عنى بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ

عبد السلام هاشم حافظ

الجزء الثانى

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

الباب الثامن

فى ذكر الخلاف : هل التَّداوى أفضل أو تركه ؟
وحجة كل واحد من الطائفتين

اتفق العلماء على جواز التَّداوى، واختلفوا: هل فعله أفضل أو تركه ؟ فذهبت طائفةٌ إلى أنَّ التداوىَ أفضل .

قال القاضى أبو يعلَى : ذاكرتُ بعضَ الشافعيَّة فى هذه المسألة ، فقال : التَّداوى أفضل ، واحتجَّ بعموم الأمر بالتداوى . ومما يُستدلُّ به على ذلك ، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُديمُ التَّطَبُّب فى حالِ صحَّتِهِ وَمرَضِه؛ أما فى زمن صحته فباستعمال التدبير الحافظ لها ، مثل الرياضة ، وقلة المتناوَل ، وأكله الرطب بالبطيخ ، ويقول: يدفعُ حرُّ هذا بردُ هذا ، ويردُّ بردَ هذا حرُّ هذا ، وإكحال عينيه بالإثمد كلَّ ليلة عند النوم ، وتأخير صلاة الظهر فى زمن الحرِّ القوى، ويقول: «أبردُوا بها[1] » . وأما تداويه فى حال مرضه فثابتٌ بما رُوى فى ذلك من الأخبار الصحيحة ، منها عن عُروة عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثُرَتْ أسقامُه ، وكان يَقْدَم عليه أطباء العرب والعجم ، فيصفون له ، فنعالجه» . وعن عائشة رضى الله عنها :«إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَسْقَمُ عِندَ آخرِ عُمره — أو فى آخِرِ عُمره — وكانت تقدَم عليه وفود العرب من كل وجه ، فتنعت له الأنعات ، وكنتُ أعالجها له » .

فثبت حينئذ ما ذكرناه من تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومداومة

(١) الإبراد : الدخول فى البرد ؛ أى صلوها عند انكسار الوهج والحر .

تطببه فى صحته ومرضه . ولم يكن صلى الله عليه وسلم يُدَاوِمُ إلاّ على الأفضل .
وقد رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَدَاوَوْا» ، وَأُمِرُوا بِالْمُدَوَاةِ[1]
فى عدة أحاديث صحيحة . وأقلّ مراتب الأمر الندب والاستحباب ، وعن كعب
الأحبار رضى الله عنه ، أنه قال : قال الله عز وجل : «إِنِّى أنَا أُصِحُّ وَأُدَاوِى
فتَدَاوَوْا» .

وذهبت طائفةٌ إلى أن ترك التداوى أفضل ، لمن توكل على الله عز وجل ،
واستدلوا بقوله تعالى : (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) وفى صفة الذين يدخلون الجنة
بلا حساب : «وهمُ الَّذِينَ لا يكتبون ولا يَسْتَرْقُون ، وعلى ربهم يتوكلون». وبما
رُوى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قيل له : ألا نَدْعُو لك الطبيب ؟
قال : قد رآنى ، فقال : إنى فعّالٌ لما أريد. وقيل لأبى الدرداء فى مرضه : ماتشتكى؟
قال : ذنوبى . قيل : فما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى . قيل : أفلا ندعو لك طبيبا؟
قال : الطبيبُ أمرضنى .

حُكى أن جماعة من الصالحين دخلوا على شيخ يعودونه فى مرضه ، فقال
بعضُ من حضر : ألا ندعو لك طبيبا ؟ فسكت ، ثم أعيد الكلام عليه ،
فقال :

إنَّ الطَّبِيبَ بِطِبِّهِ وَدَوائِهِ لايَسْتَطِيعُ دِفاعَ أمرٍ قُدِّرَا
ما لِلطبيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذى قدْ كانَ يُبْرِئُ قَبْلَهُ مُسْتَظهِرَا
هَلَكَ المُدَاوِى وَالمُدَاوَى وَالذِى جَلَبَ الدَّوَا وَابْتاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَى

---

(١) الحديث فى الجامع الصغير : (تداووا عباد الله ، فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع
له دواء ، غير داء واحد : الهرم) . عن أسامة بن شريك .

وقد رُوى عن جماعةٍ من السلف أنهم تركوا التّداوى . وسئل الإمام أبو عبد الله أحمدُ بن حنبل عن الرجل يتعالج ؟ فقال: العلاج رُخْصَة ، وتركه أعلَى درجة منه . وسئل عن رجل اشتدت علتّه ، فأمروه بالعلاج، فلم يتعالج ؟ قال : أتخاف عليه ؟ قال : لا ، هذا يذهب مذهب التوكل. وقيل : فَمَنْ تعَالج إلى أىّ شىء يذهب ؟ قال : إلى الرُّخْصة ، تلك منزلة فوق هذه .

فأقول : إن التوكل لا ينافى التسَبُّب ، لأن التوكل اعتماد القلب على الله عز وجل ، وذلك لاينافى الأسباب ، وغالب التسبب لا يكون إلا مع التوكل ، فإن المعالِجَ إذا كان عالماً بالطب يعمل ما ينبغى عمله ، ثم يكِلُ الأمر إلى الله تعالى ، ويتوكل عليه فى نجاحه ، ويتضرّع إليه فى إتمام عمله ، فيكون بمنزلة الفلاّح، يحرثُ الأرض ويُودِعها البذر ، ويتحيّن الوقت ، ثم يتضرّع إلى خالقه سبحانه فى بلوغ الغاية، ودفع العاهات، وإنزال القَطر. وكذلك يفعل المُدَاوِى : يَسْقِى الدواء ، ويدبّر المريض بكل ماتصل القوةُ إليه، ويستعمل بعد ذلك التوكل على الله سبحانه ، ويتضرع إليه فى حصول العافية ودفع المرض ، ولو كان التوكلُ وحده كافيا، لما قال الله عز وجل : (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى : « اعْقِلْها وَتَوَكَّلْ [1] » . وقال صلى الله عليه وسلم : « أغْلِقُوا الأبْوَابَ [2] » . فمن ظنّ أن التوكل هو ترك الأسباب، فما عرف

---

(١) الجامع الصغير . رواه الترمذي عن أنس رضى الله عنه .

(٢) فى خ زيادة (وقال صلى الله عليه وسلم : لو اتكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا . فذكر مع الاتكال أنها تروح وتغدو ، ولم يقل تصبح وتمسى) .

التوكل ، ولو كان كما ظنّ ما اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ، فلو قال قائل : أغلق بابى وأتوكل ، كان مخالفا للعقل والشرع .

وأما من ترك التداوى كما رُوى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وغيره من السلف ، فالجواب بأمور : أحدها أن يكون تداوى ثم أمسك . الثانى : أن ماقاله لاينافى التداوى ، وإنما أخرجه مُخرَج التسليم للقدر . الثالث : أن يكون كُوشِف بقرب أجله . الرابع : أن يكون مشغولا بذكر عاقبته عن حاله . الخامس : أن تكون العلة مزمنة ، والدواء الموصوف له موهوم النفع . وعلى هذه الأشياء يُحمل حال كل من ترك التداوى ، وأخصّ ما حملوا عليه ، أنهم تركوا مداواة الأدواء الغامضة الموهومة ؛ وعليه يُحمل كلام الإمام أحمد بن حنبل ، فإنه ليس فى مقتضى الحال ترك الأسباب إلى المصالح ، بل على الإنسان بذل الاجتهاد ، وإن لم يحصل المقصود ، والله أعلم .

الباب التاسع

فى الحمية وما ورد فيها من الأحاديث ، وما يكتب للحُمّى وغيرها . وذكر نُكَتٍ طبية من معجزات النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفصول تتعلق بتدبير حفظ الصحة

فأقول : الحِميةُ كَفٌّ ما يؤذِى أو يزيد فى المرَض ، فإذا احتمى الإنسان وقف مرضه ، وأخذتِ القُوَى فى دفعه ، وقد جاء فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « الحِمْيَةُ رَأسُ الدَّوَاءِ ، وَالمَعِدَةُ بيتُ الدَّاءِ ، وَعَوِّدُوا كلَّ جِسْمٍ ما اعْتَادَ[1] » . وكان يأمر بالحِمْية ، والكف عما يؤذى المريض . رُوِى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المَعِدَةُ حوضُ البَدَن ، وَالعرُوقُ إليها وَارِدَة ، فإذَا صَحَّتِ المَعِدَةُ ، صَدَرَتِ العُرُوقُ بِالصِّحَّة ، وَإذَا سَقِمَتِ المَعِدَةُ ، صَدَرَتِ العُرُوقُ بِالسَّقَم[2] » . وعن يعقوب ابن عبد الرحمن بن صعصعة ، عن يعقوب بن أبى يعقوب ، عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علىّ ، وعلىّ ناقِهٌ من مرض ، ولنا دَوالٍ معلقة ؛ قالت : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكلُ منها ، وقام علىّ يأكل منها ، فطفِق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلىّ : مهْ يا علىُّ ، فإنَّكَ نَاقِه ، فجلس علىّ والنبى صلى الله عليه وسلم يأكل ، قالت : فجعلتُ له سِلْقاً[3] وشعيرا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : يا علىُّ مِنْ هَذَا فأصِبْ ، فإنَّهُ أوْفَقُ لَكَ » . رواه ابن ماجه .

(١ ، ٢) زاد المعاد . (٣) السلق : بكسر السين : بقلة معروفة .

الدَّوالى(١) : معروفة . وقيل : الدالية عِذق البُسْر . وعن ساعد بن سعيد ابن حذيفة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ تعالَى أشدُّ حِميةً لِلمُؤمنِ عَنِ الدُّنيا، مِنَ المَريضِ أهلُهُ لِلطَّعَامِ » . رواه ابن الجوزىّ . وعن محمد ابن الهيثم(٢)، قال : سمعت حفص بن عتاب يقول : «إن النبىّ صلى الله عليه وسلم حَمَى عليًّا فى مرَض مَرِضَه، وأنه كان يَعُدّ عليه التمر: واحد . اثنين. ثلاثة . إلى سبعة . ثم يمسك(٣)» . قال بشر: سمعتُ الزَّنْجِي يذكر عن زيد بن أسلم، أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حمى مريضا له ، حتى إنه كان من شدة ما حماه كان يَمصُّ النوى(٤) . وعن عبد الحميد بن الصيفىّ ، عن أبيه، عن جده : أنَّ صُهَيْبا قال : « قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين يديه تمر ، فقال : ادنُ فَكُلْ ، فأخذتُ تمرا فأكلتُ ، فقال : أتأكُلُ تَمْرًا وَبِكَ رمَد ؟ فقلت : يارسول الله ، إنما أمضغ من الناحية الأخرى . فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم» . رواه ابن ماجه وغيره .

وحكى عن الحارث بن كَلَدَةَ ، وهو طبيب العرب، أنه قيل له : ماراس الطب؟ قال : الحِمْية ، قال له معاوية : ما الطب يا حارث ؟ فقال : الأَزْمُ يا معاوية ، يعنى الجوع . وقيل لآخر : ما أفضل الدواء ؟ قال: أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه . وقيل لبعض الحكماء : أىُّ الأُدْم أطيب ؟ قال : الجوع: ما ألقيت إليه

---

(١) الدوالى : أقناء من الرطب تعلق فى البيت للأكل ، بمنزلة عناقيد العنب والفاكهة ، تضر بالناقه من المرض ، لسرعة استحالتها ، وضعف الطبيعة عن دفعها .

(٢) محمد بن الهيثم بن حماد بن واقد الثقفى . مات سنة تسع وسبعين ومائتين « الخلاصة » .

(٣) الحديث فى زاد المعاد (أن عليا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أرمد، وبين يدي النبي صلى الله عليه وسلم تمر يأكله ، فقال : يا على تشتهيه ؟ ورمى إليه بتمرة ، ثم بأخرى ، حتى رمى إليه سبعا . ثم قال : حسبك يا على) .

من شيء إلا قتله. وقال آخر: الشِّبع داعية البَشَم، والبَشَم داعية السَّقم، والسقم: داعية الموت، ومن مات بهذه الميتة، فقد مات ميتة لئيمة، لأنه قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره. وقالت الحكماء: البِطْنَة تُذْهِبُ الفِطْنة(١). وقيل لبعض الحكماء: ماتعدُّون الأحمقَ فيكم؟ قال: الذى يملأ بطنه من كل ما وجد.

وحُكى عن بعض الفلاسفة، أنه كان يحمل على نفسه فى الحمية، فقال له تلميذه: أيها الحكيم: لو زدت فى غذائك، فازددت به قوّة ونشاطا؟ فقال له: يا بنىّ إنما أطلب الغذاء، حرصا منى على البقاء، ولا أطلب البقاء حرصا منى على الغذاء.

ولم يزل العلماء والصالحون يقلِّلون الغذاء، ويكثرون الرياضة، وكذلك غيرهم من سكان البَرارىّ وأصحاب الكدّ والتعب، وهم أصحّ بدنا وأحسن حالا، وأقوى شهوةً، وأخفُّ حركات. ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا تَصِحُّوا(٢)».

وعن سَلْمان رضى الله عنه: أنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ أكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فى الدُّنْيَا أطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ». وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مِنَ السَّرَفِ أنْ تَأكُلَ كلَّ مَا اشْتَهَيْتَ». أخرجهما ابن ماجه.

وعن عبد الرحمن بن المرقّع قال: «لمَّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيْبر، وجد كيسا فيه ألف وثمانمائة دينار، فقسمها على ثمانية عشر سهما، وكانت يومئذ مخضرة من الفواكه، فوقع الناس فى الفاكهة، فغنثتهم(٣) الحمّى، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيُّهَا النَّاسُ إن الحُمَّى رَائِدُ المَوْتِ، وَسِجْنُ

---

(١) هذا القول مأثور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٢) اصحيحان. (٣) أى أصابتهم.

الله فى الأرض ، وَقِطعة مِنَ النَّار ، فإذَا أَصَابَتْكُم فبرِّدُوا المَاء فى الشِّنَانِ ، وَصُبُّوهُ عليكُم فِيما بَيْنَ الصَّلاتين » : يعنى : المغرب والعشاء ؛ ففعلوا ، فذهبت عنهم . ثم قال : « أيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ » .

وعن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رَمِد ، و بين يدى النبيّ صلى الله عليه وسلم تمر يأكله ، فقال : يا عليُّ تَشْتَهِيهِ ؟ ورمى إليه بتمرة ، ثم بأخرى ، حتى رمى إليه سبعا ، ثم قال : حَسْبُكَ يا عليّ[1] » .

فصـــــل

يجب على كل عاقل حفظ هذه الوصايا فى تدبير بدنه . وهى :

تقدير الرياضة بعد إخراج فضلات البدن ، وقبل الغذاء ، وتعديل مقداره وجودته ، وترك الحركة المُشِقَّة بعده ، و إجادة المضغ ، وتنعيم السَّحق ؛ فإن كان مطبوخا ، فليكن مما أُجيد طبخه ، و يصلح الحارّ بالبارد ، و بالضدّ .

[[2] والحلو بالحامض ، و بالضد ، والدَّسِم بالمالح و بالضد ، والقابض بالدسم و بالضد ، ولا يجمع بين اللبن والسمك ، ولا الحموضات مع اللبن . ويكره الجمع بين غذاءين حارّين ، أو باردين ، أو لَزِجين ، أو قابضين ، أو غليظين ، أو مُرْخِيَين ، أو مُنفِّخين . ويكره أيضا الجمع بين المختلف ، كالقابض والمسهل ، والسريع الهضم والبطىء الهضم ، والشوىّ والطبيخ ، والسمك القَديد والطرىّ ، واللحم واللبن ، والبيض والسمك .

---

(١) تقدمت رواية هذا الحديث في صفحة ٨ من هذا الجزء .

(٢) الكلام من هنا : زيادة عن خ .

ويُكره الخَلُّ بعد الأرز ، والماشَ مع الفجل ، ولحم الدجاج بالماش[١] ، والرمان بعد الهريس ، ويفتقد كلَّ ماينفعه فيقصده ، وكلَّ مايضرُّه فيجتنبه ، وليجتنب الكثرة . وما تكلُّ الأسنان من مضغه ، فتعجز المعدةُ عن تمام هضمه ، فيؤدى ذلك إلى فساد الهضم والتُّخَمة . رُوِى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أصلُ كلِّ داء البَرَدة» ذكره ابن قتيبة من كلام ابن مسعود . وحُكى عن الأعمش ، أنه قال : سألت أعرابيا عن البرَدة ، فقال : التخمة . قيل : سميت التخمة بَرَدةً ، لأنها تبرد حرارة الشهوة والجوع .

وينبغى أن يقتصر من ألوان الطعام على الموافق له ، ولا يكثر منها . فقد قال علماء الطبِّ : اقتصر على الغذاء الواحد ، فإن الطبيعة تتحير من الألوان المختلفة ، وتعجز عن تمام هضمها ، ولأن كثرة الألوان تستدعى كثرة التناول منها ، وذلك مضرٌّ أيضا . قالوا : ما يفسده الجوع يصلح بحبة ، وما يفسده الشبع لايصلح بمائة درهم . رُوِى عن يحيى بن جابر الطائىِّ ، قال : سمعت المقدام بن معدى كرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مامَلَأَ آدَمِىٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فإِنْ كانَ لامَحَالَةَ ، فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ » . رواه الترمذىُّ . قيل معنى أكلات : أى لُقَم . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إياكُمْ والبِطنة فى الطعام والشراب ، فإنها مَفْسدة للجسد ، وأبعد عن الشرف ، وإن الله ليُبْغِض الحَبْرَ السَّمين ، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه . قال أبقراط : استدامة

---

(١) الماش ، هو الكشري ، وهو حب كالكرسنة إلى الخضرة والطول ، يقارب اللوبيا ، أجوده الهندي ، ثم اليمني .

الصحة تكون بترك التكاسل عن التعب ، وترك الامتلاء من الطعام والشراب وقال أيضا : الإقلال من الضارّ ، خير من الإكثار من النافع[١]] .

ورُوِيَ عن عُتبة الراسبيّ قال: دخلتُ على الحسن ،فوافيته يتغذى خبزا ولحما ، فقال : أقبل إلى طعام الأحرار ؟ فقلت : أكلتُ حتى لا أستطيع أن آكل ، فقال : سبحان الله ! أو يأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل ! وسُئل الحارث ابن كَلَدَة : ما الدواء ؟ قال : الأَزْم ، قال فما الداء ؟ قال : إدخالُ الطعام على الطعام . والأَزْم : الإمساك ، يشير إلى قلة التناول من الطعام . وسئل رجل : هل أُتخِمتَ قطُّ ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : لأنا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا دقّقْنا ، ولا نملأُ المعدة ولا نخليها . وكانت الملوك تأكل الوَجْبة الواحدة فى اليوم والليلة . وقال علماء الطب : نفعُ الحمية للناقه والمريض ، كنفع التخليط للمعافَى الصحيح ، وإنه لا يجب فى الحالين استعمال غذاء قبل هضم ما قبله . قال الرئيس ابن سينا :

وَاجْعَلْ طَعَامَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً   وَاحْذَرْ طَعَامًا قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ
إِيَّاكَ تَلْزَمُ أَكْلَ شَيْءٍ وَاحِدٍ   فَتَقُودَ طَبْعَكَ لِلْأَذَى بِزِمَامِ

ويجب ألّا يأكل طعاما حارا شديد الحرارة ، يضرُّ بالأسنان واللسان ، وأكثرِ آلات الهضم ، ويؤيد ذلك ما رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أَبْرِدُوا بِالطَّعَامِ ، فإنَّ الحَارَّ لا بَرَكَةَ فِيه[٢] » . والله أعلم .

---

(١) مابين القوسين زيادة فى خ . (٢) الجامع الصغير – عن ابن عمر وأنس رضى الله عنهم.

فصـــــل

ويبنغى لمن تعشَّى أن يمشىَ بعد العَشاء خَطوات ، ولو مائة خطوة ، أو يشتغل بالصلاة ، ليستقرّ الغذاء بقعر المعدة ، فيحسُن هضمه بذلك . ويؤيد ذلك ما رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاةِ ، وَلا تَنَامُوا عَلَيْهِ ، فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ » . رواه أبو نعيم فى الطب النبوىّ . ولا يُكثر الحركة فتضرّه ، ولا يترك العشاء بالكلّية ، فقد قيل : إن العَشاء أنفع من الغَداء ، ويؤيد ذلك ما رُوى عن أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَعَشَّوْا وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشَفٍ ، فَإِنَّ تَرْكَ الْعَشَاءِ مَهْرَمَةٌ » . رواه الترمذىّ . وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَدَعُوا الْعَشَاءَ وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ تَمْرٍ ، فَإِنَّ تَرْكَهُ يُهْرِمُ » . رواه ابن ماجه . ثم يعرض نفسه على الخلاء قبل النوم . قال أفلاطون : من عرَض نفسه على الخلاء قبل النوم دام له حسن صورته ، فإن كان فى يده غَمَر أزاله بالغسل ، ليكون أحسن حالا ، وأسلم نفسا ، فقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا بَاتَ أَحَدُكُمْ وَفِى يَدِهِ غَمَرٌ ، فَأَصَابَهُ شَىْءٌ ، فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ » . رواه النَّسائى .

ويستحب غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، لما رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ ، يَنْفِى الْفَقْرَ ، وَهُوَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ[1] » .

---

(١) الجامع الصغير : رواه ابن عباس .

فصـــل

ولا يشرب الماء حتى ينحدر الطعام عن البطن الأعلى، ثم ينظر إلى قدر مايرْويه، فليشرب نصفه، فذلك أصلح لبدنه، وأهضم لطعامه. وأجود المياه الصافى العذب، البارد الخفيف الوزن، الذى لا رائحة له ولا طعم يكره. رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم، أنه كان أحبّ الشراب إليه الحلوُ البارد، وينبغى أن لا يكون شديد البرودة، فإنه يؤذى الأسنان والصدر، لا سيما بعد الطعام الحار، والرياضة عند الانتباه من النوم، وقبل الطعام، وعقيب أكل الفاكهة، والخلوّ والحمام والجماع، قال الشاعر:

لا تَكُنْ عِنْدَ أَكْلِ سُخْنٍ وَبَهْرٍ ... وَدُخُولِ الْحَمّامِ تَشْرَبُ مَاءَ

فَإِذَا مَا اجْتَنَبْتَ ذَلِكَ مِنْهُ ... لَمْ تَخَفْ مَا حَيِيتَ فى الْجَوْفِ دَاءَ

فصـــل

منقول من كلام ابن ماسَوَيْه، وابن بُخْتَيشُوع من كتاب (المحاذير) نقلتهُ بلفظه، ليُنتفع به.

قال ابن ماسَوَيْهِ: من أكلَ البصل أربعين يوما، وكَلِفَ وجهُهُ، فلا يلومنّ إلا نفسه. من افتصَد فأكل مالحا، فأصابه بهَقٌ أو جرَب، فلا يلومنّ إلا نفسه. من جمع فى معدته اللبن والسمك، فأصابه جُذام أو برَص أو نِقرس، فلا يلومنّ إلا نفسه. من احتلم فلم يغتسل حتى وطئَ أهلَه، فولدَتْ مجنونا أو مخبّلا، فلا يلومنّ إلا نفسه. من أكل الأترجّ ليلا فاْحول، فلا يلومنّ إلا نفسه. من أكل بيضا

مسلوقا باردا، حتى يمتلئ منه، فأصابه ربو، فلا يلومنّ إلا نفسه. من أكل البيض حتى يُتخَم منه، فأورثه الطّحال، فلا يلومنّ إلا نفسه. من جامع فلم يصبر حتى يُفرغ، فأصابته حصاة، فلا يلومنّ إلا نفسه. من نظر فى المرآة ليلا، فأصابته لَقْوة أو أصابه داء، فلا يلومنّ إلا نفسه. ومن كلام ابن بُخْتَيَشُوع قال: احذر أن تجمع بين البيض والسمك، فإنهما يورثان القُولَنْج وأرياح البواسير، ووجع الأضراس. إدامة أكل البيض يولّد الكلَف فى الوجه. أكل الملوخية واللحم والسمك المالح بعد الحجامة وفصد العروق، يولّد البهق والجرب. إدامة أكل كُلَى الغنم يَعْقِر المثانة. الاغتسال بالماء البارد بعد السمك الطرىّ، يولد الفالج. لبن المرأة الحائض يولد الجُذام. الجماع من غير أن يُهْرِيق الماء على أثَره، يولد الحصاة. طول المكث فى المَخْرج، يورث الداء الدّوىّ.

فصل

فى حفظ صحة العين

أقول: إنه ينبغى أن يَتَوَقّى الحر والبرد المفرطين، والهواء الخارج عن الاعتدال، والغبار والدخان، وكثرة البكاء، والتحديق، ودوام النسخ، وقراءة الخط الدقيق، إلا أحيانا على سبيل الرياضة، فإنه يقوّيها ويُنهِضُ النور الباصر فيها. ويحذر كثرة النظر إلى الأجسام البرّاقة، والألوان البيض والسود، فإن أحدهما يضر بتفريقه الروح الباصر، والآخر بشدّة جمعه له. وأفضل الألوان ما توسّط بينهما، وهو الأخضر والأسمانجونىّ. ويؤيد ذلك ما رُوى عن قتادة

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان أحبُّ الألوانِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخُضرة [١] ». وعن أبى سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجارى [٢] » . وعن عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النَّظَرُ إلى الخُضْرَةِ يَزِيدُ فى البصَرِ ، وَالنَّظَرُ فى المَاءِ يَزِيدُ فى البصَرِ ، وَالنَّظَرُ إلى الوَجْهِ الحَسَنِ يَزِيدُ فى البصَرِ » . رواه ابن الجوزىّ وغيره . وينبغى أن يتعاهد الاكتحال بما يقوّى العين ، ويحفظ عليها صحتها من الأكحال ، كالإثمد المطيّب وغيره . وقد ذكرت ما ورد فى هذا المعنى من الأحاديث ، وصفة الاكتحال عند ذكر الإثمد ، فى الباب العاشر من هذا الكتاب ، فيعلم من هناك ، والله أعلم .

فصل فى الطبّ

الروائح الطيبة غذاء للروح ، مطية للقُوَى ، فالقُوَى تزيد بالطِّيب ، وينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطيّب ويُحبُّ الطيب ، ويأمر باستعماله ، ولغير ذلك . رُوِى عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حُبِّبَ إلىَّ مِنَ الدُّنْيَا : النِّسَاء وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِى فى الصَّلَاةِ » . رواه النسائىّ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ ، فنَظِّفُوا أفْنَاءَكُمْ وسَاحَاتِكُمْ ، وَلا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ » . رواه البزار وغيره .

---

(١) الفتح الكبير . رواه ابن السنى وأبو نعيم ، عن أنس .
(٢) الجامع الصغير . رواه ابن السنى وأبو نعيم ، عن ابن عباس .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ لِلَّهِ حَقًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ طِيبٌ مَسَّه » . رواه ابن أبى شيبة

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: « أنه كان له سُك يتطَيَّبُ منه ». رواه ابن أبى شيبة وغيره . وعنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يردُّ الطِّيب » . رواه البخارىّ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرُدَّهُ ، فإنّهُ خفيفُ المحمَلِ ، طَيِّبُ الرَّائحة » رواه النَّسائىّ وأبو داود .

فصل فى الجماع

الأصل فى منفعة الجماع شيئان : أحدهما حفظ النسل ، والثانى إخراج الماء المحتقن ، و إنما قرِنَتْ به اللذة ، ليحث الحيوان على استعماله .

وجالينوس يرى أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة ، قال : والغالب على المنىّ جوهر النار والهواء ، ومزاجه حارّ رطب ، لأنّ كونه من الدم الصافى الذى تغتذى به الأعضاء الأصلية ، و إذا ثبت فضل المنىّ ، فلا ينبغى إخراجه إلا فى طلب إحدى فائدتيه : أما طلب النسل فمعلوم . وأما إخراج المحتقِن منه ، فاعلم أنه إذا دام احتقانه ، أحدث أمراضا رديئة ، منها : الوسواس، والجنون، والصَّرْع ، وغير ذلك . وقد يبرئ استعماله من هذه الأمراض كثيرا ، فإنه إذا طال احتباسُه فسدَ ، واستحال إلى كيفية سُمِّية ، وجلب أمراضا رديئة كما ذكرنا ، ولذلك تدفعه الطبيعة إذا كثر عندها من غير جماع . رُوى عن الحسين بن واقد ، عن أبى بريدة ، قال : ينبغى للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثاً : ينبغى أن لا يدع

المشى ، فإن احتاج إليه يوما قدر عليه . وينبغى أن لايدع الأكل ، فإن أمعاءه تضيق . وينبغى أن لايدع الجماع ؛ فإن البئر إذا لم تُنزح ذهب ماؤها .

قلت : ومن حق هذه الأشياء كلها القصد فيها ، فإن الإفراط من كل شىء مضرّ ، إلا فيما يرضى الله عز وجل . قال محمد بن زكريا : من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى أعضائه ، وانسدّت مجاريها ، وتقلّص ذَكَره . قال : ورأيت جماعةً تركوه لنوع من التفلسف ، فبردت أبدانُهم ، وعَسُرتْ حركاتهم ، ووقعتْ عليهم كآبةٌ بلا سبب ، وقلّتْ شهواتهم وهضمهم .

أقول : ومن أجلِّ منافعه أيضا : إغضاء البصر ، وقمع النفس ، وردعها عما حُرِّم عليها من ذلك ، ولذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتعاهده ، ويأمر به ، ويحبه . فقد رُوى عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاء وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِى الصَّلاة ». رواه النَّسائىّ وغيره[١] . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي ، فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي ، وَمِنْ سُنَّتِي النِّكَاحُ[٢] ». ويستحبُّ له أن لايتزوج إلا ذات دين ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » . أخرجاه فى الصحيحين[٣] .

ومعنى تَرِبَتْ يداك : قال عيسى بن دينار : تربت : بمعنى استغنيت ؛ ومعنى تَرِبت هنا : أى افتقرَتْ ولصِقَتْ بالتراب إن لم تفعلْ ما أمرتُك . وقيل : افتقرت يداك من العلم : أى جهلت مثل هذا . ويستحب له أن يتزوج شابة بكرا ،

(١، ٢) من الحسان : المصابيح للبغوى .

(٣) البخارى ومسلم .

لما رُوى عن جابر بن عبدالله، قال: «تزوَّجت امرأة، فأتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: أتزوَّجْتَ ياجابر؟ فقلت: نعم، فقال: بِكرًا أمْ ثيّبًا؟ فقلت: بل ثيبا، فقال: فهلاّ جاريةً بِكْرًا تلاعِبُها وتُلاعِبُك(١)». وذكر الحديث بطوله.

واعلم أنه لايجب استعماله إلا عند صدق الحاجة إليه، وكثرة تقاضى النفس له، وليكن بعد انهضام الغذاء فى المعدة؛ لأنه إذا جامع فى حال الامتلاء، فحملت ولدا، يكون ثقيل الحركات، عَيِيَّ الكلام. وإذا كان بعد انهضام الغذاء من المعدة يكون الولد بخلاف ذلك، وأجودُه ما كان فى زمان معتدل، لاعلى جُوع، فيضعف الحرارة الغريزية، ولا على شبع، فإنه يوجب أمراضا سُدَدِية، ولا عقيب تعب ولا حمام ولا استفراغ، ولا انفعال نفسانى، كالغم والهم. وأجودُ أوقاته أوَّل الليل، إذا صادف انهضام الغذاء على الوجه المذكور، وهو بالغداة قبل التبرُّز ردىء، ولا ينبغى جماع المبغوضة، والعجوز، والمريضة، والصغيرة التى لم تبلغ، فإن ذلك يُوهِن قوة الجماع بخاصِّيَّة فيه، ولا النفساء ولا الحائض، فإن ذلك مضرٌّ جدا.

رُوِى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ وَهِيَ حائِض، فأَصَابَ وَلَدَهُ الْجُذَام، فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ(٢)».

ومما يعين على الجماع مجامعة الشخص المحبوب، فإنه أكمل لذةً، وأبسط للنفس، لا سيما إن كان المحبوب مُحِبًّا. رُوِى عن ابن عباس رضى الله عنهما،

---

(١) من الحسان: المصابيح للبغوى.

(٢) وفى الجامع الصغير حديث آخر: (من أتى امرأته فى حيضها فليتصدق بدينار، ومن أتاها وقد أدبر الدم عنها ولم تغتسل، فنصف دينار». روى عن ابن عباس.

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابَّيْنِ مِثْلُ النِّكَاحِ». رواه ابن ماجه. ومعنى النكاح هاهنا التزويج، ويستحب القصد منه لمن كان شابًّا، فإن الإفراط فيه مضر جدا؛ ويؤيد ذلك ما رُوِى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تُعَلِّمُوا نِساءَكُمُ الزِّنَا، فَأْتُوهُنَّ فِى كُلِّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ». ومن طلب النسل فليمسك عن الوطء مدةً لا يبلغ أن يفسُد فيها المنىّ، ثم ينتظر أوّل طهر المرأة، ويراعى الوقت المختار للجماع، ويطاول الملاعبة، ليخرج الماء جميعا. رُوِى عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل الملاعبة»، فإن اختار أن لا تحبَل، فله فى ذلك حِيل: منها العزْل، فيجوز أن يعزِل عن جاريته بغير إذنها، وعن زوجته بإذنها. روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: «أصبنا سبايا يوم حنين، وكنا نلتمس فداهن، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزْل، فقال: اصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَمَا قَضَى اللهُ عَزَّ وَجلَّ فهُوَ كائِنٌ، وَلَيْسَ مِنْ كُلِّ المَاءِ يَكُونُ الْوَلَد». وعنه قال: أصبنا سبايا فكنا نعزِل، فسألنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «وَإنكُمْ لَتَفْعَلُونَ، وَإنَّكُمْ لتفعَلُونَ، مامِنْ نَسَمةٍ كائِنَةٍ إلى يَوْمِ القِيامَةِ إلاَّ وَهِيَ كائِنَةٌ». أخرجاه فى الصحيحين. وعن جابر بن عبد الله قال: «كنا نعزِل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن ينزل». أخرجاه فى الصحيحين.

فإن كان شابا شَبِقا عاجزا عن التزويج، فليستعمل الأشياء الحامضة المبردة، والأدوية المجففة للمنىّ، كبذر السَّذاب مع السكر، وبذر الخس، وبذر البقلة الحمقاء ونحو ذلك. ويشتغل عنه مهما أمكن، فقد رُوِى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم

أنه قال: «خَيْرُكُمْ بَعْدَ المِائَتَيْنِ، كلُّ خفيفِ الحَاذِ الّذِى لا أَهْلَ لَهُ وَلا وَلَد [1]».

وقد روى عن عبد الله بن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يامَعْشَرَ الشَّبَابِ : مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فإنَّهُ أغضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلفَرْجِ ، وَمَنْ لايَجِدْ فَلْيَصُمْ ، فإنَّ الصَّوْمَ لهُ وِجاء» . أخرجاه فى الصحيحين .

وإن كان ممن لاتتوقُ نفسهُ إليه، فاشتغالُه بالعبادة أولى، لأن الله تعالى مدح يحيا بن زكريا بذلك ، فقال فى حقه : (وَسَيِّدًا وَحَصُورًا) . والحصور: الذى لايأتى النساء ، يعنى أنه كسر شهوتَه باشتغاله بعبادة ربه تعالى .

واعلم أن التقلّل منه أصل عظيم فى حفظ القوّة، وصلاح حال الإنسان ، وله مضارّ كثيرة ، لايحتمل هذا المختصر ذكرها . قال الرئيس ابن سينا :

أَقْلِلْ نِكَاحَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فإنهُ ماءُ الحَيَاةِ يُرَاقُ فى الأرْحامِ

رُوى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أنه سئل عن الباهِ ؟ فقال : «هُوَ نُورُ عَيْنِكَ ، وَمُخُّ سَاقِكَ ، فأَقْلِلْ مِنْهُ أوْ أَكْثِرْ» . ومن كان من الشباب قادرا على التزويج وأراد النسل ، فليتزوج شابة حسنة الخَلْق والخُلُق ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «النِّسَاءُ لُعَبٌ ، فإذَا اتَّخَذَ أَحَدُكُمْ لُعْبَةً فَلْيَسْتَحْسِنْهَا» . ويستحب له أن يتزوّج ذات نسب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ ، فقال : لِحَسَبِهَا» والحسب : الشرف الثابت فى الآباء . ويجتنب الإماء، ومن كانت رديئة المزاج ، ليحسن خلقُ ولده ومرآه . فقد روى عن النبى صلى الله

---

(١) الفتح الكبير روى عن حذيفة

عليه وسلم أنه قال: « الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ[(١)] » . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللهَ طَاهِرًا مُطَهَّرًا فَلْيَتَزَوَّجِ الحَرَائِرَ » رواه ابن ماجه . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ ، قيل : يا رسـول الله وما هى ؟ قال : المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ فى المَنْبَتِ السُّوءِ » . وعنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ[(٢)] » وقال : « انْظُرْ فى أىِّ إِهَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ » وينبغى أن لا يجامع إلا ووجهه تلقاء صدره ، ولا يعاود إلا بعد البول ، والغسل والراحة . فقد رُوى عن أبى سعيد الخُدرى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِىَ أَهْلَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ بَيْنَهُمَا وُضُوءًا » . أخرجه مسلم .

واعلم أن سبب الإذكار أمور : منها كثرة منىِّ الرجل وحرارته ، وموافقته الجماع وقت طهر المرأة ، ودرور المنىّ من اليمين ، فإنه أسخن وأثخن ، وكذلك إذا وقع فى يمين الرحم ، وأن يكون الرجل شبقا غزير المنىِّ ، وتـكون المرأة غير شبقة ولا غزيرة المنىّ؛ ويؤيد ذلك ما رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: « أنه سُئل : كيف تُؤنِثُ المرأة، ويُذْكِرُ الرجلُ ؟ فقال : يَلْتَقِى المَاءَانِ ، فإنْ عَلا ماءُ المَرْأَةِ ماءَ الرَّجُلِ أَنَّثَ ، وَإِنْ عَلا ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرْأَةِ أَذْكَرَ » . وروى فى الصحيحين : « وماء المرأةِ أصفرُ ، فإذا اجتمعا فعلا منىُّ الرجل منىَّ المرأة، أذْكَرَ بإذن الله ، وإن علا منىُّ المرأة منىّ الرجل آنثت بإذن الله » . وقال علماء الطب :

---

(١) الفتح الكبير : القضاعى عن ابن عباس .

(٢) تمام الحديث بالفتح الكبير : « تخيروا لنطفكم واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشوه » روى عن أنس ، عدا روايتين أخريين عن عائشة رضى الله عنها .

إذا كان منىّ الأب أقوى وأكثر ، فالمولود يشبه أباه ؛ وإذا كان منى المرأة أكثر وأقوى ، فالولد يشبه أمه .

وقد رُوى فى هـذا المعنى حديث عائشة رضى الله عنها : « أن امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تغتسل إذا احتملت وأبصرت الماء ؟ فقال : نَعَمْ . فقالت لها عائشة رضى الله عنها : تَرِبتْ يداكِ ! قالت : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعِيهَا ، وَهلْ يكونُ الشَّبَهُ إلاَّ مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ ؟ إذا عَلا ماؤُهَا ماءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أخوالَهُ ، وَإذَا عَلا ماءُ الرَّجُلِ ماءَهَا أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَعْمَامَهُ » . أخرجه مسلم . وقد رُوِى أيضا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه سُئِل : مِنْ أين يشبه الولد أباه وأمه ؟ فقال : « إذَا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرْأَةِ نَزَعَ إلَيْهِ ، وَإِذَا سَبقَ ماءُ المَرْأَةِ ماءَ الرَّجلِ نَزَعَ إليْهَا » . انفرد بإخراجه البخارى . وفى رواية عن أنس من جملة حديث : « وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه ، كان الشَّبه له ، وإذا سبقت كان الشبه لها » . انفرد بإخراجه البخارىّ أيضا . وفى حديث لمسلم عن أنس : « إن ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر ، فمن أيّهما علا وسبق يكون الشبه[1] » .

حكاية غريبة فى المنىّ : قال جالينوس فى مقالته فى الترياق لقيصرَ ملكِ الروم : بلغنى عن بعض القدماء ، أنه أحبّ أن يولد له غلام جميل ، فصوّر فى الحائط صورة الغلام من أحسن ما صوّر ، وعند ما واقع زوجته أمرها أن تطيل النظر فى تلك الصورة ، ولا تصرِفَ نظرها عنها لحظة واحدة ، فجاء ولدها يحسن تلك الصورة ، ولم يشبه الأب .

---

(١) ورد إسناد لهذا الحديث .

فصل فى الحَمَّام

اشتقاق الحَمَّام من الحَميم : وهو الماء الحار ، وهو جامعٌ بين قُوَى النار والماء على الوجه الممكن ، ويذهب مذهب الرياضة فى ترقيق الفضولات وتحليلها ، لكنه لايقوِّى الحرارة الغريزية ، وربما أضعفها بكثرة تحليله ، ولا ينبغى أن يستعمل على الامتلاء الغذائى ولا الخلطى ، لئلا تندفع هذه الأشياء إلى أقاصى البدن ، وتنتشر فيه ، لجذب هواء الحمام إياها من خارج ، قبل هضمها ونضجها ، فتورث سُدَدا وأمراضا رديئة . وينبغى أن يكون الحمام معتدلا ، بحيث تُستلذُّ حرارته ، ويكون ماؤه أسخن من هوائه قليلا ، فإن حرارة هواء الحمام مضرةٌ بالقلب والروح ، ولأن الهواء يَرِد على القلب بالاستنشاق ، وهو حارٌّ ، فلا يصلح للترويح عليه ، ويحلِّل جوهر الروح بحرارته ويضعفه ، ولذلك يحصل من طول المُقام فيه : الضعف والكرب ، وضيق النفَس . وأجود الحمامات ما قدُم بناؤه ، وارتفع سماؤه ، واتَّسع فِناؤه ، ورقَّ وعذُب ماؤه ، وطاب ريحه ، وكثر ضياؤه ، وسلم من الشوائب الرديئة هواؤه . ومن منافع الحمام المعتدل : التسخين والترطيب بمائه وهوائه ، وتوسيع المنافس ، وإنضاج الأخلاط ، وجذبها إلى خارج البدن ، وتسكين الأوجاع ، وفشّ البخارات والرياح ، وتليين الجفاف ، وجلب النوم ، ومنع الإسهال ، والنفع من الحِكّة والجَرَب ، ويُنْضج الزكام والنزلة ، ويسهل عسر البول ، ويبسُط الأعصاب المُتَشَنِّجة ، ويُذهب الإعياء والتعب ، ويغسل الأوساخ ، ويحلِّل الفضولات ، ولذلك كان نافعا للناقهين وبعض المرضى ، ويؤيد ذلك ما رُوِى عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تُفْتَحُ لَكُمْ أَرْضُ الأَعَاجِمِ ، وَسَتَجِدُونَ فِيهَا بُيُوتاً يُقَالُ لَهَا الحَمَّامَاتُ ، فَلاَ يَدْخُلْهَا الرِّجَالُ إِلاَّ بِإِزَارٍ ، وَامْنَعُوا النِّسَاءَ أَنْ يَدْخُلْنَهَا إِلاَّ مَرِيضَةً أَوْ نُفَسَاءَ » . رواه ابن ماجه . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتَّقُوا بَيْتاً يُقَالُ لَهُ الحَمَّام . قالوا : يارسول الله ، إنه يَذْهب بالدَّرَن ، و ينفع المريض ، قال : فَمَنْ دَخَلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ » . رواه أبو نعيم وغيره . ورُوِى عن أبي موسى الأشعري عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الحَمَّامَ وَصُنِعَتْ لَهُ النُّورَةُ سُلَيْمَانُ ابْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلام[1] » . والله أعلم .

إن ستر العورة واجب بإجماع المسلمين ولا سيما فى الحمام ، فإنه مظنة الانكشاف ، مع ما فيه من أدب النفس ، وكمال المروءة ، والتباعد عن الإثم . رُوِى عن الأصمعيّ رحمه الله أنه قال : ينبغى لمن دخل الحمام أن يتخذ إزارين : إزارا لفرجه ، و إزارا لعينيه . وقيل : إن أبا حنيفة رضى الله عنه ، دخل الحمام وكان فيه شخص من المتكلمين يقال له (ساطربا) مكشوف العورة ، فلما رآه أبو حنيفة غَضّ بصَرَهُ ، وَاستمرّ على ذلك ، فقال : منذ كم كفّ الله بصرك يا إمام ؟ فقال : منذ هتكَ الله ستر الأبعد ؟ ورُوِى عن جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، فَلاَ يَدْخُلِ الحَمَّامَ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ » . رواه النَّسائىّ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ[2] »

---

(١) تمام الحديث فى الفتح الكبير : (أول من دخل الحمامات ، وصنعت له النورة ، سليمان ابن داود ، فلما دخله ، وجد حره وغمه ، فقال : أوه من عذاب الله ، أوه قبل أن لا تكون أوه) .

(٢) الفتح الكبير — روي عن يعلى بن امية بن أبي عبيدة بن همام . بقى إلى قرب الخمسين .

ويستحب فى الصيف عند الخروج من الحمام، غسل القدمين بالماء البارد ، ولاسيما للشباب ، ومن كان مزاجه حاراً ، لما فى ذلك من إصلاح مزاج القلب ، والدماغ الحار وأكثر الأعضاء . ويؤيد ذلك ماروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « غَسْلُ القَدَمَيْنِ بِالمَاءِ البَارِدِ عَقِيبَ الخُرُوجِ مِنَ الحَمَّامِ ، أَمَانٌ مِنَ الصُّدَاعِ » . رواه أبو نعيم فى الطب النبوى .

باب

فى السّماع والاستماع

السّماعُ المطربُ : طِب للأنفس الإنسانية ، وراحةٌ للقلوب البشرية ، وغذاء لأكثر الأرواح ، وهو من أجلِّ أنواع الطبِّ الرُّوحانىّ ، وسبب لسرور الإنسان ، وبعض أنواع الحيوان . وقيل السّماع : حانة الأشواق ، ورياضة أهل الصفاء ، ومقام المحبين ، وهو سِرٌّ دقّ على أفهام العوامّ ، وخُصّ به أهل المعرفة . والله تعالى يلقى الروح على مَنْ يشاء مِنْ عباده ، ويَهدى من يشاء إلى السعادة . وقد عُلم من جهة الطب ، أن سماع الطرب من أعظم أسباب السرور ، وأن السرور باعتدال يذكى الحرارة الغريزية ، ويقوِّى أفعال القوى كلها ، ويحفظ الصحة ، ويبطئ بالهرم ، ويدفع كثيرا من الأمراض ، ويُخصب البدن ، ويحسِّن اللون . ويختلف حال السّماع بحسب اختلاف أفهام المستمِعين ، لإدراك معانى كلام المتكلمين ؛ ولذلك فإن الاستجابة على قدر السماع ، والسماع من حيث الفهم ، والفهم على قدر المعرفة بمعانى الكلام ، والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة بالعلم ، ووجوه الفهم لاتنحصر ، وبالفهم يفتح الله على كل قلب بما يَرزق من النور . قال الله تعالى : (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) ... الآية . قيل أحسنه : أهداه وأرشده . ورُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أساسُ كلِّ خَيْرٍ حُسْنُ الاسْتِماع[١] » .

---

(١) الجامع الصغير .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ ، ما أَذِنَ لِنَبِيٍّ يتغنّى بالقرآنِ يجهرُ به [١] » . قال أبو عبيد: معنى ما أذن الله : أي ما استمع الله ، وأنشد لعديّ بن زيد [٢] :

أَيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي في سَمَاعٍ وَأَذَنْ

وقوله : يتغنّى بالقرآن : أي بألحان طيبة . قال أبو عبيد : إنما مذهبه عندنا تحزين القراءة . ورُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ [٣] » وقيل : النغمة الطيبة روحٌ من روح الله ، يُرَوِّحُ بها عن قلوب محترقة بالله . وقيل في قوله تعالى (يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ) : إنه هو الصوت الحسن . وروى عن زيد بن أسلم [٤] ، قال : قرأ أُبَيُّ بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَقُّوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ ، فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ [٥] » . وسئل ذو النون عن السماع؟ فقال: واردُ حق يُزعج

---

(١) الجامع الصغير .

(٢) عدى بن زيد العبادى بن حماذ بن أيوب بن زيد مناة من تميم ، كان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف ـ فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً . وهو القائل قصيدته المشهورة فى قصة الزباء وجذيمة وقصير الطالب بالثأر – والتى منها قوله :

وَلَمْ أَجِدِ الفَتَى يَلْهُو بِشَيْءٍ وَلَوْ أَثْرَى وَلَوْ وَلَدَ البَنِينَا

« الشعر والشعراء » .

(٣) الجامع الصغير ، عن البراء .

(٤) زيد بن أسلم العدوى . من الأعلام ، كان يحدث من تلقاء نفسه فإذا قام فلا يجترئ عليه أحد . مات سنة ست وثلاثين ومائة فى شهر ذى الحجة . « الخلاصة » .

(٥) الجامع الصغير .

القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق .
وسئل عن الصوت الحسن ؟ فقال : مخاطبات وإشارات أودعها الله كل طيب وطيبة . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه ترنم يوما فى منزله وأنشد :

وَكَيْفَ مُقَامِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ ما تَرَحَّلْتَ عَنْهَا يا جَمِيلَ بنَ مَعْمَرِ (١)

فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف ، وقال : ما هـذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا أبا محمد ، إنا إذا خلونا ترنمنا كعادة الناس . وعنه أنه قال : الغناء زاد المسافر . وقد كان جعفر الطيار ، والجنيد وسرى السقطى ، وذو النون رضى الله عنهم يسمعون ويستمعون .

وحـكى أن عبد الله بن جعفر كان مولعًا بالسماع ، وقد سمع معاوية عنده يوما ، فحرك رجليه وصفق بيديه ، ثم قال : إن الـكريم طروب . وقيل للزهرى : أتكره السماع ؟ قال : نعم إذا كان غير طيب . وقيل لأبى الحسن بن سالم : كيف تنـكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون ؟ فقال : كيف أنـكر السماع ؟ وقد أجازه وسمعه من هو خير منى ، وقد كان جعفر الطيار يسمع ، وإنما المنـكرُ اللهو واللعب فى السماع . وقد أجاز الشافعى رضى الله عنه

---

(١) جميل هو ابن عبد الله بن معمر العذرى وصاحبته بثينة ، وهما من عذرة ، ويكنى أبا عمرو وهو أحد عشاق العرب المشهورين ، وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك ، ولها يقول جميل :

يا أُمَّ عَبْدِ المَلِكِ اصْرِمِينِي وَبَيِّنِي صُرمَكِ أوْ صِلِينِي

« الشعر والشعراء » .

السماع بجلاجل وغير جلاجل، لاسيما فى الإملاك والختان، وأيام الأعياد والمسرات، ورخص فيه. ورُوى عن الزهرىّ عن عُروة، عن عائشة: «أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان، وتضربان بالدُّفَّين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجًّى بثوبه، فانتهرهما، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه، وقال: دَعْهُمَا يا أبَا بكرٍ، فإنَّهَا أيَّامُ عِيد». وقالت عائشة رضى الله عنها: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد»[1]. ورُوى عنها «أنها قالت: كانت عندى جارية تُسمعنى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على حالها، ثم دخل عمر رضى الله عنه ففرَّت، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله؟ فحدثه حديث الجارية، فقال: لا أبرح حتى أسمع ما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمعته». وفى الحديث فى مدح داود عليه السلام «أنَّهُ كانَ حَسَنَ الصَّوْتِ بِتِلاَوَةِ الزَّبُورِ، حتَّى كانَتْ تجتَمِعُ الإِنْسُ، وَالجِنُّ، وَالوَحْشُ، وَالطَّيْرُ، لِسَماعِ صوْتِهِ». وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرىّ: «لَقَدْ أُوتِىَ الأشعَرِىُّ مِنْ مزَامِيرِ آلِ داوُد»[2].

---

(١) فى صحيح البخارى رواية الحديث: (عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن أبابكر رضى الله عنهما دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى، تدففان وتضربان، والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد. وتلك الأيام أيام منى). (وقالت عائشة: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد. فزجرهم عمر. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: دعهم، أمنا بنى أرفدة: يعنى من الأمن) اهـ.

(٢) كنوز الحقائق للمناوى.

ونقل عن الدينورى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا؟ فقال : « ما أُنْكِرُهُ ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ يفتَتِحُونَ قبلَهُ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ ، وَيَخْتَتِمُونَ بعْدَهُ بِالقُرْآنِ ». وقال بعض المشايخ: كل حركة لايتقدمها وَجْدٌ فهى وبالٌ على صاحبها . وقال الشيخ تاج الدين الفركاح رحمه الله : لقد كان فى عصرنا شخص مقعد لايستطيع القيام ، فإذا جاءت الصلاة ، قام منتصبا زمانا طويلا كأصحّ الرجال . قال أفلاطون : لذّات الدنيا أربع : الطعام ، والشراب ، والجماع ، والسّماع ، وأجلها السماع ؛ لأنه يحصل بغير تعب ولا نصب ، وهو مع ذلك يزيل تعب بعض الناس والحيوان ، ولذلك كان أهل كل صناعة متعبة ، يستخرجون لأنفسهم ألحانا يخففون بها تعبهم . والأطفال إذا بكوا عُلِّلُوا بألحان طيبة وغناء لذيذ ، والإبل بحُداء معروف ، فتطرب وتسير ، ويخفف عنها ثقل الأحمال. قال بعض سادات الفقراء: بينما أنا فى البادية، إذ وجدت جماعة ، فتعرّض لى منهم شخص، وسألنى أن أكون ضيفه، فأجبته . فلما وصلتُ معه البيت نظرتُ ، وإذا عبدٌ موثَق بكلا كل . فقلت لصاحب البيت: لا آكل لك طعاما، ولا أشرب لك شرابا ، دون إطلاق هذا العبد . فقال : إن له جُرما يستوجب أكثر مما هو عليه . فقلت : ما ذنبه الذى تغاليت فى ذكره ؟ فقال : إنه شجيُّ الصوت، طيب الحداء، وإنه حَمَّلَ لى إبلا فوق طاقتها، وحدا لها، فقطعت مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد ، فلما وصلت ماتت . ثم أطلقه لأجله ، وقال له : احد ، فأنشد :

إنْ كُنْتَ تُنْكِرُ فى الـ ـأَلحانِ فائِدَةً ونَفعاً
فانظُرْ إلى الإبِلِ اللّوَا تِى هُنّ أغلَظُ مِنكَ طَبعاً
تُصْغِى إلى نغَمِ الحُدَا ةِ فتَقطَعُ البَيْداء قَطْعاً

وربما سَمِعتْ صوتا حسنا فى ورودها الماء ، فرَفعتْ رءوسها على شدة عطشها ، وأصغت لذلك الصوت . فهذى إبل غير مؤهَّلة للسماع ، ولا محل عندها لفهم المعانى ، أطرَبها صوتُ النَّغم فقط ، فأخرجها عن هدوئها وقرارها ، وهاج شوقها وتذكارها . فكيف تكون أحوال أهل الذوق والمعرفة بالمعانى اللطيفة ، والأسرار الربانية ؟ وأما بعض أنواع الطير ، كالهزَار والشحرور وغيرهما ، فربما ألقت بأنفسها على الأماكن التى بها الألحان الطيبة ، والأنغام الحسنة .

وُحكى أن بجزيرة الأندلس أطباء عارفين بالموسيقى ، يأخذون نبض المريض ، ويغنونه فى نغم يوافقه ، فيزيلون بذلك أكثر ما به من الألَمَ . ورُوى عن إدريس عليه السلام ، أنه وضع صناعة الطرب على نسبة صرير الفُلك . وبراهين السماع ظاهرة ، والراحة به واضحة ، قال بعض المتكلمين : اختلف الناس فى السماع ، فأباحه قوم ، وحظَرَه آخرون . وأنا أخالف الجميع فأقول : إنه واجب . ووصف الحسن بن وهب مغنّيا ، فقال : كأنه خُلِق من كل قلب ، فهو يغنى كل واحد بما يشتهيه . وقال المأمون : خير الغناء ما يناسب كل وقتٍ وحالٍ . قال بعض الحكماء : لا سيما إن كان من صانع متقن بضرب معين غير مضطَّرب ، مع إيراد شعر متضمِّن لمراد النفس السامعة ، فهذا ما أمكن ذكره من أمر السماع والاستماع فى هذا المختصر ، من غير إسهاب ولا إطناب .

فصـــل

فى استعمال الفراسة ، والاستدلال بها فى صناعة الطب

رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ لِلّهِ عِبَاداً يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ[1] ». وقال: « إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ أَصْفَرَ الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلا عِلَّةٍ ، فَذَلِكَ مِنْ غِشِّ الْإِسْلامِ فى قَلْبِه[2] » .

قال المؤلف : الذى ذكره العلماء فى حد الفِراسة أنها : عبارة عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة . وقيل : الفراسة خاطر يأتى على القلب بحكم واستيلاء ، كاستيلاء الأسد على فريسته ، ومنه اشتقاقها . وفِراسة كل إنسان بحسب ما عنده من الإيمان ، والعلم بأصول الفراسة . قال الله تعالى: (إنَّ فى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ). وفى تعرُّف ذلك والعلم به منافع كثيرة ، لا سيما للأطباء عند اشتباه أسباب المرض عليهم ، فإنه كثيرا ما يَدِقُّ على الطبيب الفاضل ، بسبب مرض من الأمراض ، حتى يظن أنه حارٌّ ، ويكون سببه باردا ، فما ظنك بغيره ؟ فإذا كان الطبيب عارفا بالفِراسة ، حاذقا فى صناعته ، كان أجدر بمعرفة الصواب فى معالجة كل مرض من الأمراض على اختلاف أسبابها ، واشتراك أكثر علاماتها ، حتى يدعوَ ذلك المرضَى إلى الثقة به ، ويكون علاجه لهم على أفضل الوجوه وأحمدها . وقد رُوى فى الأثر عن بعض العلماء ، أنه قال : إن الله يحب النظر النافذ عند مجىء الشبهات . وهـذا القول وإن كان شاملا للأصحاء والمرضى ،

---

(١) الجامع الصغير . رواه الحكيم والبزار عن أنس .

(٢) الفتح الكبير ؛ عن أنس . رواه ابن السنى وأبو نعيم .

فإن انتفاع الطب به أخصّ، إذ أنه يتوصل بذلك إلى معرفة حقيقة المرض ومعالجته على الصواب. ومما يُستعان به فى علم الفراسة: العلم بمِزاج البدن، واللون والسَّحْنة واللمس والأفعال، والأشياء التى تظهر عنه، من كلام وحركة وسكون وغير ذلك، كالاستدلال عليها من أحوال الرأس والعين والفم والأنف والرقبة، وأكثر الأعضاء الظاهرة. وللحكماء فى ذلك مصنَّفات مشهورة؛ فمن أراد معرفة علم الفِراسة فلْيتَتَبَّعها، ويحصل معانيها، ليحصُل له بذلك مقصوده منها.

فصل فى شرب الأدوية المُسْهِلة

شُرْب الأدوية المُسْهِلة مما يجب اجتنابها، إذا لم تَدْعُ إليها الضرورة، ولاسيما لمن لم يعتدْ عليها، أو كان بدنُه صحيحا، فإن ضررها له أشد. ومن كان به داءٌ لم يتحقق سببه، أو كان مزمنا فى بعض أعضائه — وهو قادر على حمله — فالأولى له أن لا يتداوى، لئلا يحرك الدواء أسباب الداء، ويعجز عن إخراجها. ويؤيد ذلك ما قاله أحد العلماء الأجلاء: من استقلّ بدائه فلا يتداوى، فربَّ دواء أورث الداء. وقال أبقراط: من كان بدنُه صحيحا وأُسْهِل، أُتِى بدواء أسرعَ إليه الغِشُ. قال غيره: إياك وشربَ الدواء ما حملتك الصحة. وأما من اعتاده لحفظ صحته، فيستحب له استعماله بطريقه الطبىّ. فقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: «أنه كان يشرب الدواء فى كل سنة، ويحتجم فى كل شهر» ولذلك لمن كان فى بدنه أخلاط يخاف أضرارها، أن يشرب المسهلات الموافقة لإخراج ذلك الخلط بعد الحِمْية واعتماده. فقد رُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأسماء بنت عُمَيس: «بماذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ فى الجاهِلِيَّة؟ قالت بالشبرُم. قال: حارٌ

جارٌ . قالت : ثم استمشيت بالسَّنا ، فقال : لو أنّ شيئاً يَرُدُّ القَدَرَ لرَدَّهُ السَّنا » .

وقد تقدم ذكر هذا الحديث فى الأربعين حديثا الأولى، مشروحا فى كتابنا هذا ، فيعلم من هناك .

وحكى الأصمعيّ عن غيره، قال : لقيت طبيب كسرى، وهو شيخ قد شدّ حاجبيه بخرقة. فسألته عن دواء المَشْى ، فقال: سهمٌ تَرْمِى به فى جوفك، أصابَ أم أخطأ ، فاجْتَنِبْهُ ما لم يكن بك إليه حاجة

فصــــل

يشتمل على نكتٍ طبية من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم

[١ ـ معجزة] عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدّث «أن يهودية من خيبر سمَّتْ شاة مَصْلِيَّة[1] ، ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراعَ فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، وأرسل إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها : سَمَمْتِ هٰذِهِ الشَّاة ؟ قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : أَخْبَرَتْنِي هٰذِهِ الذِّرَاع . قالت : نعم . قال : فَمَاذَا أَرَدْتِ إِلى ذَلِكَ ؟ قالت : قلت : إن كان نبيًّا لم يضره ، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه . فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجله » رواه أبو داود .

---

(١) مصلية : قد صليت بالنار ، أى شويت .

قال المؤلف : هذه المرأة اليهودية، اسمها زينب بنت الحارث، أخت مَرْحَبٍ اليهودىّ ، روينا تسميتها هذه من مغازى موسى بن عُقبة، ودلائل النبوّة للبيهقى.
قال القاضى عياض : واختلاف الرواة والعلماء ، هل قتلها النبى صلى الله عليه وسلم أو لا ...؟ فوقع فى صحيح مسلم وغيره أنهم قالوا : لم يقتلها ، وفى رواية أنه قتلها . وفى أخرى أنه صلى الله عليه وسلم دفعها إلى أولياء بشر بن البراء ، وكان كل من أكل منها مات فقتلوها . قال : ووجه الجمع بينهما أنه لم يقتلها أوّلا ، فلما مات بشر بن البراء من ذلك ، سلّمها إلى أوليائه ، فقتلوها قصاصا ، فيصحُ قولُهم : « لم يقتلها » : أى فى الحال ، ويصح قولهم « قتَلَها » : أى بعد ذلك ، والله أعلم .

وأما احتجامه صلى الله عليه وسلم على كاهله، الذى هو مَوْصِل العنق بالصلب، فليجذب السم الذى حصل فى البدن ، وفصد القلب الذى هو مركز الحياة ، إلى ضد الجهة التى مال السمُّ إليها بامتصاص المحاجم له ، و إخراجه عن البدن بأسهل طريق طبى ممكن فى ذلك الوقت . والسم معروف ، وقد تقدم شرحه فى شرح الحديث الثالث من الباب الثانى من هذا الكتاب .

[٢ ـ معجزة] عن سهل بن سعد الساعدىّ رضى الله عنه : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دعا عليًّا كرم الله وجهه على خيبر ، وأعطاه الراية فقال : يا رسول الله إن عينى رَمِدة، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه، ودعا له ، فبرأَ وهو مكانَه ، حتى كأن لم يكن به شىء » . أخرجاه فى الصحيحين عن حازم ، وذكر الحديث بطوله .

[٣ ـ معجزة] رُوى « أن امرأة جاءت ، إلى النبى صلى الله عليه وسلم بابن لها صغير ، و به عاهةٌ فى رأسِه ، فمسحَ بيدِه على رأس الصبىّ ، فذهبتْ عاهته »

[٤ ـ معجزة] روى «أن أبا بُرْدة مالك بن طوق ملاعب الأسنة، كان ببطنه استسقاء، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشفيه، فأخذ بيده حُثْوة من الأرض، فتفل عليها ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجبا، يرى أنه قد استهزأ به، فأتاه بها، فشربها، فعُوفِيَ من مرضه».

عن أنس رضى الله عنه قال: «مرض أبو طالب، فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا بن أخى، أدعُ ربَّكَ الذى تعبده أن يعافيَنى، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهمَّ اشْفِ عمِّى. قال: فقام كأنه أُنشط من عِقال. فقال أبو طالب: إن ربَّك الذى تعبده يُطيعك. قال: كذلكَ أنتَ يا عمَّاه، لئن أطعت الله ليطيعنَّك».

[٥ ـ معجزة] عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، عمن حدثه: «أن حبيب بن فُورك خرج به أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعيناه مُبْيَضَّتان، لا يبصر بهما شيئا، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أصابه؟ فقال: إننى كنتُ أُمرِّنُ جَملاً لى، فوضعتُ رجلى على بيض حيَّةٍ، فابيضَّتْ عيناى، فنَفَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه، فأبصر، فلقد رأيته يُدْخِلُ الخيط فى الإبرة وهو ابن الثمانين».

[٦ ـ معجزة] عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم: «أن امرأة أتته، فقالت: إنَّ ابنى هذا به جنون يصيبه عند الغداء والعشاء، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرَهُ، ودَعا له، فثعَّ ثعَّةً، فخرج من جوْفهِ جَرْوٌ[1] أسود فشُفِى». رواه أبو عبيد، وقال: قوله فثعَّ ثعَّة: يعنى قاء قَيْئة، يقال للرجل: قد ثعَّ ثعَّةً: إذا قاء.

---

(١) كذا فى النهاية لابن الأثير. وفى الأصل: جرذ. تحريف. والمراد بالجرو فى الحديث شىء صغير من الدم أو نحوه فى مقدار جرو القثاء أو الرمان أو الحنظل وهو الصغير منها.

[٧ – معجزة] روى «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل به أُدْرَة[1] ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يَنْضَحها بماء من غير فجّ ، ففعل فبرأ » .

فصـــــل

في ذكر أشياء تنفع بالخاصية ، وما ورد فيها من الأخبار ، وغير ذلك

عن عبد الله بن بطة ، بإسناد يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مَنْ قَصَّ أظْفَارَهُ مُخَالِفاً لَمْ يَرَ فى عَيْنيهِ رَمَداً » وفسر ابن بطة ذلك فى حرف (الظاء) ، فيعلم من هناك .

ورُوى « أن بعض الصحابة شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه ، فقال له : انظرْ فى المُصحَفِ ، فإنِّى اشْتَكَيْتُ عَيْنِى إلى رَبِّ العِزَّةِ ، فقَالَ لِى انظرْ فى المُصْحَفِ » .

﴿ مما نُعِت لقساوة القلب ﴾ : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: «أتى رجلٌ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يشكو إليه قساوة قلبه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أدْنِ اليَتيمَ مِنْكَ وَألْطِفْه ، وَامْسَحْ بِرَأسِهِ ، وَأطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ ، فإنَّ ذَلِكَ يُلِينُ قَلْبَكَ ، وَتُدْرِكُ حاجَتَكَ[2] » . وروى أن رجلا شكا إلى أبى الدرداء قساوة فى قلبه ، فقال : هى داء ، وعلاجه : عيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، وزيارة القبور ؛ ففعل ذلك ، فرأى فى نفسه ما يسره ، فرجع إليه ، وشكره على ذلك .

---

(١) الأدرة : انتفاخ فى الخصيتين لوجود ماء بهما .
(٢) الفتح الكبير : (الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عساكر) .

﴿ مما يُكتب للحُمَّى ﴾ :

عن أحمد بن محمد الخلال ، بإسناد له قال : أخبرنا أبو بكر المَرْوَزِىّ قال : بلغ أبا عبد الله أحمد بن حنبل أنى حُممت ، فكتب لى من الحمى رقعة :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، بِاسْمِ اللهِ ، وَبِاللهِ ، وَمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ، يا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلاما عَلَى إبْرَاهِيم ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ . اللهمّ ربّ جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، اشفِ صاحب هذا الكتاب ، بحولك وقوّتك وجبرُوتك ، يامن لهُ الخلق . آمين »

وعن ابن عباس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الحمى ومن الأوجاع كلها أن يقولوا : بِاسْمِ اللهِ الكَبِيرِ ، أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّار [1] ، وَمِنْ شَرِّ حرِّ النَّار » . رواه الترمذىّ وابن ماجه .

ومما مُدح فى معالجة الحمى التى يتقدمها بردٌ ونافض : أن يكتب على سبعة أوراق صغار هذا المثال ، ويَبلَع كل يوم عند الإحساس بها ورقة منها ، وهو هذا ١٩٩١ فيبرأ بإذن الله تعالى .

﴿ ومما يكتب للحمى المثلثة ﴾ :

باسم الله قَلَّتْ ، باسم الله قَلَّتْ ، باسم الله . ويكتب على ثلاث ورقات ، اسم ذلك الشخص ، ويأخذ كل يوم ورقة يجعلها فى فمه ، ويبلعها . ووجدت فى كتاب ابن سمجون ، عن بعض حكماء اليونان : أن حمارَ قَبَّان ، وهو صنف من الدود يوجد فى المواضع الندية ؛ من البيوت وغيرها ، إذا مسه الإنسان انقبض ، وصار كأنه حبة صلبة ، إذا لُفّتْ فى خرقة وعُلقت على من به حمى مثلثة ، قلعها أصلا .

---

(١) يقال : نعر العرق : إذا فار منه الدم ، أو صوت لخروج الدم .

﴿ فيما يكتب وينفع لوجع الضرس والأذن ﴾ :

عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنِ اشْتَكَى ضِرْسَهُ فَلْيَضَعْ أُصْبُعَهُ عَلَيْهِ ، وَلْيَقْرَأْ هٰذِهِ الآيَةَ ، قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ) » . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ قَالَ عِنْدَ كُلِّ عَطْسَةٍ سَمِعَهَا : الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَى كُلِّ حال ، لَمْ يُصِبْهُ وَجَعُ ضِرْسٍ وَلا أُذن أبدًا » . رواه أبو نعيم في الطب النبوي .

ومما يُرقَى به لوجع الضرس أيضا :

تمسح بيدك على الخد الذي يلي الألم وتقرأ : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) إلى آخر السورة ، ويقرأ : (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) ، ويقرأ : (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ) .

﴿ فيما يكتب لعرق النَّسا ويُرْقَى به ﴾ :

رُوِيَ عن يونس بن حُباب قال : كان يقال : إذا أصاب الرَّجلَ عرق النَّسا يقرأ عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يقول : اللهمَّ رب كل شيء ، ومليكَ كلِّ شيء ، وخالقَ كلِّ شيء ، أنتَ خلقتني وخلقتَ النَّسا فيَّ ، فلا تُسلِّطني عليه بقطع ، ولا تسلطه عليَّ بأذى ، واشفِني ربي شفاءً لا يُغادرُ سقما ، لا شافي إلاَّ أنت » ومما رأيت بعض مشايخ الأطباء بالبيمارستان النوريّ بدمشق ، يكتب عليه مثالا هذه صورته :

ا	د	٢	٥	ب
٥	ع	لما	ا	سد

ومما مُدح فيه بالخاصية : أن يأخذ سامَّ أبرَصَ[١] حيا ، ويُجعل فى أنبوبة قصب ، ويشد رأسها ، وتعلّق على مكان الألم ، فيسكن وجعه بإذن الله تعالى ، وقد اختبرت ذلك وجرّبته

﴿ ومما يُكتب لعُسر الولادة ﴾ :

روى عن أبى بكر الخلال بإسناد له ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : رأيتُ أبى يكتب للمرأة إذا عسُرَتْ عليها ولادتُها ، فى جام أبيض ، أو فى شىء نظيف ، يكتب حديث ابن عباس ، وهو : عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال : إذا عسُرَتْ على المرأة ولادتها ، فيُكتب : يا ألله ، الّذى لا إله إلاّ هوَ الحليمُ الكريم ، سبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ العظيم ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. (كأنهم يومَ يَرَوْنَ ما يُوعدون ، لم يلبثُوا إلا ساعة من نهارٍ بَلاَغٌ ، فهل يُهلكُ إلاّ القَوْمُ الفَاسِقُون) .

﴿ ومما مُدح لعُسر الولادة ﴾ :

أن يكتب نسختين على خرقتين لم يصبهما ماء ، وتنظر الحامل إليهما بعينيها ، وتضعهما تحت قدميها ، بعد أن ترى المرأة الماء الذى يسمى الهادى[٢] ، هذه الأحرف على هذا المثال ، فإنه يسرع الولد فى الحال للخروج ، سواء وضعه على طول الشكل ، أو عرضه ، أو على التقريب .

والمثال الذى يكتب هو هذا :

ب	ط	د
ز	ه	ج
و	ا	ح

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سام أبرص : كبار الوزغ (البرص) .
(٢) الماء الهادى : هو الذى ينزل من المرأة قبل الولادة دون ألم أو مغص .

« إذَا عَسُرَ عَلَى المَرْأةِ وَلَدُهَا أخذَ إنَاءٌ نَظِيفٌ ، فيُكْتَبُ فِيهِ : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا . لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الأَلْبَابِ . مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ولَـكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) . ثُمَّ يُغْسَلُ وَتُسْقَى المَرْأَةُ مِنْهُ ، وَيُنْضَحُ مِنْهُ عَلَى أَسْفَلِ بَطْنِهَا وَفَرْجِهَا » .

قال الخلاّل : أخبرنا أبو بكر المَرْوَزِىّ : أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، ما تكتب لامرأة قد عَسُر عليها ولدها منذ يومين ؟ فقال له : قل له يجىءُ بجام واسع ، ويجىء بزعفران ، ويكتب له فى الجام ، فرأيته يكتب لغير واحد .

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : مرّ عيسى عليه السلام على بقرة ، وقد اعترض ولدها فى بطنها ، فقالت : يا كلمة الله ، ادع الله لى أن يخلصنى مما أنا فيه . فقال : يا خالق النفس من النفس ، ويا مخلّص النفس من النفس ، ويا مخرج النفس من النفس ، خلّصها . قال : فرمت بولدها ، فإذا هى قائمة تشمّه . قال : فإذا عسُر على المرأة ولدها فاكتبه لها .

ومن الخواصّ أيضا : إذا عُلّق زَبَدُ البحر على فخذ المرأة اليمنى أسرع الولادة ، وإذا سُحق الزعفران وعجن ، واتخذ منه قدر جوزة ، وعلق على المرأة ، طرحت المشيمة ، وكذلك إن عُلق على إناث الخيل .

باب

للحَزَاز ، وَهى القُوْباء

﴿ يكتب عليه ﴾ : شبشت نبتت ، فأصابها إعصارٌ فيه نار فاحترقت .

﴿ آخر ﴾ : يكتب : شامخ ، دامخ ، يابس ، إن شاء الله تعالى .

(ويكتب أيضا) : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . يكتب عند اصفرار الشمس .

باب

للرُّعاف

﴿ يكتب ﴾ : خرج موسى برداء ، فوجد منبعا ، فسدّه بردائه : (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

﴿ آخر ﴾ : يكتب على جبهته : كعكد .

﴿ آخر ﴾ : نزل ملك من دم ، معه سيف من دم ، بيده رمح من دم ، يقطع به الدم . انقطع يا دم ، بحق حوّاء وآدم .

[حكاية] عن ابن شهاب : أن رجلا أهدى لأبى بكر يوما صَحْفة من حريرة[1] ، وعنده رجل يقال له الحارث بن كَلَدَة ، عنده علم من الطب . فلما أكلا منها قال ابن كَلَدَة : فيها سَمُّ سنةٍ ، والذى نفسى بيده ، لا يمرّ بى و بك أكثر من سنة ، فماتا فى يوم واحد على رأس السنة ، وكلٌّ من أكل منها . وكان الحارث ابن كَلَدَة طبيبا فاضلا من أطباء العرب ، من أهل الطائف ، رحَل إلى أرض فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار ، من أهل جُنْدَيْسابور وغيرها فى الجاهلية ، وأجاد فى هذه الصناعة ، وطبّب بأرض فارس ، وحصل له بهذا مال هناك ، وشهد من رآه من أهل فارس بعلمه ، وشاع اسمه بينهم ، ثم رجع إلى بلاده ، واشتهر طبُّه بين العرب ، وأدرك الإسلام . « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر من كانت به علة أن يأتيه ، فيستوصفه » .

(١) نوع من الطعام .

* * *

وهنا انتهى الكلام فى هذه الفصول المذكورة ، ونختمها بهذه الأبيات المباركة ، رجاء بركة معانيها ، وهى هذه :

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِى كثْرَةً   فلقَدْ عَلِمتُ بِأنَّ عَفْوَكَ أعْظَمُ !

إنْ كانَ لايَرْجُوكَ إلاَّ مُحْسِنٌ   فَمَنِ الّذِى يَدْعُو ويَرْجُو المُجرِمُ !

أدْعُوكَ رَبِّ كما أمرْتَ تضَرُّعًا   فإذَا رَدَدْتَ يَدِى، فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ !

مالِى إليْكَ وسِيلَةٌ إلاَّ الرَّجا   وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إنِّى مُسْلِمُ !

الباب العاشر

في ذكر قوى أدوية مفردة ومنافعها ، وما ورد فيها من الأحاديث الطبية وغيرها

حرف الألف

﴿إبْرَيْسَم﴾ الابريسم : هو الحرير بالعربية ، يقوى القلب ويفرحه شربا ، والنظر اكتحالا . والمستعمل منه فى علاج الطب هو الخام خاصة . ويمنع لبسه من القمل ، وينفع من الحكة ، ويؤيد ذلك ما رُوى «أن عبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام شكيا القمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة لهما ، فرخّص لهما فى قميص الحرير . قال أنس : ورأيته عليهما» . متفق عليه .

وقد تقدم شرح هذا الحديث فى الأربعين حديثا الأولى ، فيعلم من هناك

﴿إثْمِد﴾ الإثمد: هو حجر الكحل الأسود ، يؤتى به من أصفهان وهو أفضله ، ومن جهة المغرب أيضا . وقيل: هو حجر الأُسْرُبّ ، ومنه يصير الأسرب ، وإذا أذيب عاد أسرُبا ، وأجود الإثمد السريعُ التفتّت ، وما كان لفتاته بريق ، وكان داخله أملس ، ولم يكن فيه شىء من الأوساخ ، ومزاجه بارد يابس ، ينفع العيون ويقويها ، ويقوّى أعصابها ، ويحفظ صحتها ، ويَذْهب باللحم الزائد فى القروح ويدملها ، وينفى أوساخها ويجلوها . وقيل : إنه يَذهب الصُداع إذا اكتحل به مع العسل المائى الرقيق . وإذا دُقّ وخلط ببعض الشحوم الطرية ، ولُطخ على

حرق النار ، لم يعرض فيه خُشْكَرِيشَة . ونفع من التنفُّط الحادث بسببه ، وهو أجود أكحال العين لا سيما للمشايخ ، والذين قد ضعفت أبصارهم ، إذا جعل معه شيء من المسك .

وقد روى فيه أحاديث كثيرة ، منها : عن سالم بن عمر ، عن أبيه[1] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالإِثْمِدِ ، فإِنَّهُ يَجْلُو البَصَرَ ، وَيُنْبِتُ الشَّعر » . رواه ابن ماجه . وفى رواية : « مصفاة للشعر » . رواه أبو نعيم فى الطب النبوى .

وعن عثمان بن عفان مسندا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالْكُحْلِ ، فإنَّهُ يُنْبِتُ الشَّعْرَ ، وَيَشُدُّ العيْن[2] » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدُ يَجْلُو البَصَرَ ، وَيُنْبِتُ الشَّعْر » . رواه ابن ماجه . وعن عبد الرحمن بن النعمان ابن معبد بن هوذة الأنصارى ، عن أبيه عن جده : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالإثمد المروّح عند النوم ، وقال : لِيتَّقِهِ الصَّائِمُ » . رواه أبو داود والبخارى . قال أبو عبيد : المروّح : المطيَّب بالمسك .

عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : « كانت للنبى صلى الله عليه وسلم مُكْحُلة يكتحلُ منها ثلاثا فى كلّ عين » . رواه ابن ماجه وغيره . ورُوى : « أنه كان يكتحلُ بالإثمد ثلاثا كلّ ليلةٍ قبل أن ينام » . وعن ابن عباس أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اكتحل يكتحِلُ فى اليمنى ثلاثا ، يبتدئ بها ويختم بها ، وفى اليسرى اثنتين . رواه الترمذى .

---

(١) سالم بن عبد الله بن عمر العدوى المدنى الفقيه ، أحد الفقهاء السبعة . مات سنة ست ومائة « الخلاصة » .

(٢) الجامع الصغير .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنِ اكْتَحَلَ فَلْيُوتِرْ ، مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ ، وَمَنْ لا فَلاَ حَرَجَ » . رواه ابن ماجه وغيره .

﴿ آس ﴾ : الآس بالعربية ؛ وهو المَرْسِين بالرومية . مِزَاجُه بارد فى الأولى ، يابس فى الثانية ، وهو مع ذلك مركب من قوى مُتَضَادَّة ، والأكثر فيه الجوهر الأرضى البارد ، وفيه شىء حار لطيف ، وهو يجفف تجفيفا قويًّا ، وورقه وقضبانُه وثمرته وعصارته متقاربة القُوَى ، وجميعها قوة قابضة حابسة من داخل وخارج معا ، قاطع للإسهال الصفراوىّ ، دافع للبخار الحار الرطب ، إذا شُمّ ، مفرح للقلب تفريحا شديدا ، مانع للوباء إذا شمّ وافترش فى البيت . ومن خواصه أنه يبرئ الأورام الحادثة فى الحالبين إذا وضع عليها . وذكر الرازىّ أنه إذا عُمل من قضبانه خاتم ، وتُختم به ، أبرأ أورام الأرنبة ، وهـذا الدواء إذا دقّ ورقه وهو غضّ ، وضرب بالخلّ ، ووضع على الرأس ، قطع الرُّعاف . وإذا سُحق ورقه اليابس ، وذرّ على القروح ذوات الرطوبة نفعها ، وهو يقوّى الأعضاء الواهنة إذا ضُمد به ، وينفع الداحس . وإذا ذُرّ على البثور والقروح التى تكون فى اليدين والرجلين نفعها ، وإذا دلك به البدن قطع العرَق . ونشّف الرطوبات الفَضْلية ، وأذهب نَتْن الآباط . وإذا وضع فى الطبيخ نفع من خروج المقعدة والرحم ، ومن استرخاء المفاصل . وإذا صُبّ على كسور العظام التى لم تَلْتَحم نفعها ، ويجلو نخالة الرأس ، وقروحه الرطبة وبثوره ، ويمسك الشعر المتساقط ويسوده ، وإذا دقّ ورقه وصُبّ عليه ماء يسير ، وخلط به شىء من زيت الأنفاق ، أو دهن الورد ، وضمد به وافق القروح الرطبة ، والنملة والحمرة والأورام الحارة ، والشَّرَى والبواسير .

وحَبُّ الآس نافع من نفث الدم العارض فى الصدر والرئة ، دابغ للمعدة ، وليس بضارٍّ للصدر ولا للرئة لحلاوته . وخاصيته النفع من استطلاق البطن مع السعال ، وذلك فى الأدوية ، مدرٌّ للبول ، نافع من لذع المثانة ، وعضِّ الرُّتيلاء ، ولسع العقرب . والعرب تسمى الآس بالرَّيحان . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا أُعْطِىَ أَحَدُكُمُ الرَّيْحَانَ فَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنهُ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ[١] » . إلا أنه يُكره التخلل بعوده . روى عن الأوزاعىّ يرفع الحديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم : «أنه نهى عن التخلل بالآس ، وقال : إنه يسقى عِرْق الجذام» وفى رواية عن الأوزاعىّ : «أنه قال : يورث عرْق النساء» . وعن الزهرىّ عن قَبيصة بن ذؤيب عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتَتَخَلَّلُوا بِقَصَبٍ وَلَا بِآسٍ وَلَا قَضِيبِ رَيحَانٍ ، فإِنِّى أَكْرَهُ أَنْ يُحَرِّكَ عِرْقَ الْجُذَامِ » . والله أعلم .

﴿ أُتْرُجّ ﴾ قال أحمد بن داود[٢] : الأُترج كثير فى بلاد العرب ، وهو مما يغرس غرسا ، ولا يكون بريا ، ويسمى : المُتْك أيضا ، الواحدة مُتْكة . وقرأ قوم هذا الحرف فى الآية : (واعتدت لهن مُتْكاً) وقالوا هو الأترج . وكذلك قال ابن عباس ، وقال الكلبى : هو بلغة الحبشة .

قال المؤلف : وكل شىء من شجرتها ريحان : ورقها ونوارها وثمرتها . وزعموا أن بعض الأكاسرة غضب على قوم من الفلاسفة ، وأمر بحبسهم ، وخيَّرهم إداما واحدا لا مزيد عليه ، فاختاروا الأترجّ . فقيل لهم : لماذا اخترتموه وقد منعوه على سائر الإدام ؟ قالوا : لأنه فى العاجل ريحان ، وقشره طيب ، ولحمه فاكهة ، وحماضه

(١) الفتح الكبير ، عن أبى عثمان النهدى . (٢) هو أبو حنيفة الدينورى

أدم ، وحبه ترياق ، وفيه دهن . وقد رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان يحب النظر إلى الأترجّ » . وذلك لما فى لونه من التفريح .

والأترجّ مركب من أربعة أشياء : قشره ولحمه وحماضه وبذره ، ولكل منها مزاج ومنافع : فقشره حار يابس ، ولحمه بارد رطب ، وحماضه بارد يابس ، وبزره حار يابس .

ومن منافع قشره : أنه إذا جُعل فى الثياب منع التسوس ، ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء ، ويطيب النكهة إمساكا فى الفم ، ويحلل الرياح ، وإذا جعل فى الطعام كالأبازير ، أعان على الهضم . قال ابن سينا : وعصارة قشره تنفع من نهش الأفاعى شربا ، وقشره ضمادا ، وحراقة قشره : طلاء جيِّد للبرص . وأما لحمه فملطف لحرارة المعدة ، نافع لأصحاب المرة الصفراء ، قامع للبخارات الحارة . ونقل (الغافقىّ) فى منافع لحم الأترجّ ، أنه قد ينفع أكله للبواسير .

وأما حُمّاضه فقابض كاسر للصفراء . مسكّن للخفقان الحار ، نافع من اليرقان شربا واكتحالا ، قاطع للقىء الصفراوىّ ، مشهٍّ للطعام ، عاقل للطبيعة ، نافع من الإسهال الصفراوىّ ، وعصارة حُماضه تسكن غُلْمة النساء ، وتنفع طلاء من الكَلَف ، وتذهب بالقُوباء ، ويستدل على ذلك من فعله فى الحبر إذا وقع على الثياب ، فإنه إذا طُلِى عليه قلعه . وله قوة تلطف وتقطع ، وتبرد وتطفىء حرارة الكبد ، وتقوّى المعدة الحارة ، وتمنع حدة المرة الصفراء ، وتزيل الغم العارض منها ، وتسكّن العطش . وأما بذره فله قوة محللة مجففة . قال ديسقوريدُوس : إذا شرب بذر الأترج بالخمر كانت له قوة يضاد بها الأدوية القتالة ، ويسهل البطن وقال ابن ماسويه : خاصّةُ حبِّ الأترج النفع من السموم القاتلة ، إذا شرب منه وزن مثقالين بماء فاتر ، وإن دُقّ ووُضع على موضع اللسعة نفع ، وهو مفيد للطبيعة ، مطيب للنكهة ، وأكثر هذا الفعل

منه موجود فى قشره . قال غيره : خاصة حب الأترج النفع من لدغ العقارب ، إذا شرب منه وزن مثقالين مقشرا بماء فاتر ، وطلاء مطبوخا . وإن دُقّ ووضع على موضع اللذعة نفع . قال إسحاق بن عمران : إن حَبّ الأترج حار يابس غليظ ، ليس يصلح للأكل ، ويصلح للسموم كلها . وهو نافع من لدغ الهوام كلها . وبالجملة ، فمنافع الأترج كثيرة ، وقد ذكرت بعضها ، تنبيها على فضله وكثرة منافعه ؛ وكذلك خصّه النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن مقال ، فقال : «مثلُ المؤمنِ الذى يقرأ القرآنَ كمثلِ الأترجّة : ريحُها طيبٌ ، وطعمُها طيبٌ»(١) .

﴿ أرز ﴾ الأرز : حار يابس ، وهو أغذى من سائر الحبوب بعد الحنطة ، وأحمدها خلطا ، يشد البطن شدًّا يسيرا ، ويقوّى المعدة ويدبغها ، وله مكث فيها . أما أهل الهند فزعموا أنه أحمد الأغذية وأنفعها ، إذا أكل بلبن البقر الحليب ، وزعموا أن من اقتصر على الغذاء به دون سائر الأغذية ، طال عمره ، ولم يشبه فى بدنه صفرة ولا تغير ، وإذا طبخ بالحليب وأخذ بالسكر ، أكسب البدن غذاء كثيرا ، وزاد فى المنىّ ، وهو بالجملة كثير المنافع .

وقد روى حديث مرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُّ شَىْءٍ أخْرَجَتْهُ الأرْضُ ، فيهِ داءٌ وَشِفَاءٌ إلاّ الأرْزَ ، فإنَّهُ شِفَاءٌ لا داء فيهِ » .

---

(١) الجامع الصغير – وتمام الحديث بعد الذى ذكر : (ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ؛ ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) .

حرف الباء

﴿ بطيخ ﴾ البطيخ أصناف كثيرة : فمنه الحلبي ؛ ومنه العبْدَلِيّ ، منسوب إلى عبدالله[١] ، أو من زرعه بالديار المصرية . ومنه المأموني ، وهو المعروف في الشام بالسمرقندي ، وفي مصر بالصِّيني . ومنه صنف مستطيل ، وهو أحمد وأقلّ غائلة مما استدار . ومنه الهندي ، ومنه غير ذلك .

والكلام هنا في أنواع البطيخ الأصفر دون الأخضر .

فأقول : البطيخ بارد رطب في الدرجة الثانية ، ورطوبته أكثر ، وتختلف برودته بحسب قلة حلاوته وكثرتها . فأما البطيخ المأموني الذي حلاوتُه غالبة ؛ فمزاجه حار رطب ، وجميعه فيه جِلاء ، ولذلك يدرّ البول ، وهو أسرع انحدارا عن المعدة من القرع ، والقثاء ، والخيار . وإذا دُلِكَ به الوجه ذهب عنه النمَش والكَلَف ، وبزره أقوى في الجلاء من جسمه ، وهو مذيب للحصى في الكليتين والمثانة ، والنضيج منه لطيف في طبع القثاء ، وفيه تفتيح كيفما كان ، ويستحيل إلى أيّ خلط صادفه في المعدة ، من البلغم والصفراء . منقّ للبشرة بجلائه ، خصوصا إذا عُجِن جوفُه كما هو بدقيق التُّرمُس أو الباقلّاء ، وجفف في الشمس . ويجب على آكل البطيخ أن يتبعه طعاما آخر ، فإن لم يفعل غَثِيَ وربما قَيَّأ ، وكان أسرع إلى الاستحالة والانقلاب . ومتى فسد استحال إلى كيفية رديئة سُمِّيَّة . ومتى ثقل أو استحال يجب أن يخرج عن البدن بسرعة ، وليستعمل عليه المحرُورُون : السكنجبين ، والمبرُودون : الزنجبيل المربّى ؛ فقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل البطيخ بالرطب ، ويقول : « يَدْفَعُ هٰذَا بَرْدَ هٰذَا » . رواه أبو داود والترمذيّ . وعن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله

---

(١) هو عبد الله بن طاهر ، جاءه من خراسان إلى مصر أيام ولايته عليها للمأمون . قاله عبد اللطيف البغدادي ، في الإفادة والاعتبار .

عليه وسلم « أنه كان يأكل الخِرْبِز بالرطب ، ويقول : هُمَا الأَطْيَبَانِ » . رواه البيهقى . وعن بعض عمات النبى صلى الله عليه وسلم قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « البطِّيخُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَغْسِلُ البَطْنَ غَسْلاً ، وَيُذْهِبُ الدَّاءَ أَصْلاً (١) » . وعن أمية بن زيد رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنبَ والبطيخ (٢) » . وقد ذكر الحلو منه بعلامته الحسنة . وعن جابر بن سهل قال : سمعت أبا مُسْهر يقول : كان أبى إذا بعثنى أشترى البطيخ قال : يا بُنىَّ ، أُعْدُدِ الخطوط التى فيها ، فإن تكن فُرَادى فخليق بها أن تكون حلوة .

وقد روى فى فضل البطيخ أحاديث غير التى ذكرناها لا أصل لها فتركتها . وقال وهب بن منبه : وجدتُ فى بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة ، وريحان وأشنان ، ينضج المعدة : ويشهى للطعام ، ويغسل المثانة ، ويصفى اللون ، ويزيد الماء فى الصلب .

﴿ باذنجان ﴾ هو أنواع : منه الساحلىّ الأبيض المستطيل ، ومنه الأسود ، ومنه المستدير ، ومنه عتيق وجديد ، والحديث الحلو أصلحه . ومزاجه حار يابس فى الثانية . وقيل : هو بارد ، وهو مزاج الأبيض الحديث التَّفِه الطعم منه ، ومضاره كثيرة أكثر من منافعه ، وخِلْطُه ردىء يولِّد أمراضا رديئة ، ولا أعرف فيه نفعا كثيرا سوى سحيق أقماعه المجففة فى الظل ، طلاء نافعا للبواسير . وإذا أحرق وعجن رماده بخلّ قلع الثآليل ، وأكله نيئا أو مطبوخا ينفع الذين يعرقون دواما . وقد وردت فيه أحاديث كثيرة ، لم تذكر فى الصحاح ولا فى الحسان ، ولا أصل لها ، فذكرتُ ما ذكرتُ تنبيها عليها ، منها قوله : الباذنجان لما أكل له ، وغير ذلك .

---

(١) (الفتح الكبير – ابن عساكر) .   (٢) الفتح الكبير .

﴿ بُسْرٌ وَبَلَحٌ ﴾ البسر : حار يابس فى الدرجة الأولى ، ويبسه أكثر من حره ، وينشف الرطوبة ، ويدبغ المعدة ، ويحبس البطن ، وينفع اللثة والفم ، والمختار منه ما كان هشًّا حلوا .

والبلح بارد يابس فى وسط الدرجة الثانية ، دابغ للفم واللثة والمعدة ، ردىء للصدر والرئة للخشونة التى فيه ، بطىء فى المعدة ، يغذو غذاء يسيرا . والبلح فى النخلة كالحِصْرِمِ فى الكَرْمة ، وهما جميعا يولِّدان رياحا وقرقرا ونفخا ، لاسيما إذا شرب عَقِيبَهما الماء . ودفع مضرتهما بالعسل والزبد ، وما يجرى مجراهما ، أو بالتمر . فقد روى عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُوا البَلَحَ بِالتَّمْرِ ، فإنَّ الشَّيْطَانَ إذَا نظَرَ إلى ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُ البَلَحَ بِالتَّمْرِ ، يقُولُ : بَقِيَ ابْنُ آدَمَ حتّى أكلَ الحَدِيثَ بِالعَتِيقِ[1] » وفى رواية : « كلُوا البَلَحَ بالتَّمْرِ ، فإنَّ الشَّيْطَانَ يحْزَنُ إذا رأى ابْنَ آدَمَ يأكُلُه ، يقُولُ : عاشَ ابنُ آدَمَ حتّى أكَلَ الجَدِيدَ بالخَلَقِ » رواه النسائى وأبو بكر البزار بلفظه ، وابن ماجه بمعناه .

قال المؤلف : إنما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بأكل البلح بالتمر ، ولم يأمر بأكل البسر مع التمر ، لأن البلح بارد يابس ، والتمر حار رطب ، ففى كل منهما إصلاح للآخر .

أما البُسْر بالتمر ، فإن كل واحد منهما حار ، وقد كره من حيث صناعة الطب الجمع بين حارين أو باردين — كما تقدم بيانه .

---

(١) صيغة الحديث فى الفتح الكبير : « كلوا البلح بالتمر ، كلوا الخلق بالجديد ؛ فإن الشيطان إذا رآه غضب ، وقال : عاش ابن آدم حتى أكل الخلق بالجديد » .

وفى هذا الحديث إثبات علم الطب ، وتنبيه على معرفة القانون الطبى ، الذى يحفظ به الصحة ، من الأغذية وغيرها ، وهو مقصود الحديث ، والله أعلم .

﴿ بَيْض ﴾ قال يونس : اختر من البيض الحديث على العتيق ، و بيض الدجاج على سائر بيض الطير . قال جالينوس : ومزاج البيض أبرد قليلا من المعتدل المتوسط . قال المسيحى : مُحُّ البيض حار رطب ، يولد دما صحيحا محمودا ، و يغذو غذاء يسيرا ، و يسرع الانحدار من المعدة إذا كان رخوا . قال غيره : مُحُّ البيض مسكن للألم ، مملِّس للحلق وقصبة الرئة ، نافع للحلق والسعال ، وقروح الرئة والكلى والمثانة ، مُذهِب بالخشونة ، لاسيما إذا أخذ بدهن اللوز الحلو . قال بولس : و إذا تحسّى البيضَ أنضج ما فى الصدر وليّنه ، وسهّل خشونة الحلق وملّسه . قال ديسقوريدوس : و بياض البيض إذا قُطر فى العين الوارمة ورما حارًّا بّردها وسكن الوجع . و إذا لطخ به حَرْق النار فى أول ما يعرض، لم يدعه يتنفَّط . و إذا لطخ به الوجه منع منه الاحتراق العارض من الشمس، و إذا خلط بالكُندُر ولطخ به على الجبهة نفع من النزلة . ومنافع البيض كثيرة ، يضيق هذا المختصر عن حصرها . قال ابن سينا رحمه الله : فيه من الأدوية القلبية ، و إن لم يكن من الأدوية الملطفة ، فإنه مما له مدخل فى تقوية القلب جدًّا ، أعنى الصفرة من بيض الحيوان المحمود اللحم كالدجاج ، وهذه الصفرة تجمع ثلاث معان : سرعة الاستحالة فى الدم ، وقلة الفضل ، وكون الدم الذى يتولّد منه مجانسا للدم الذى يغذو القلب ، خفيفا مندفعا إليه بسرعة ، فلذلك هو أوفق ما تتلافى به عادية الأمراض المحللة لجوهر الروح ، و يؤيد ذلك ما روى عن نافع ، عن عمر رضى الله عنه

عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أن نبيا من الأنبياء شكى إلى الله تعالى الضعف، فأمره بأكل البيض » . رواه البيهقيّ فى شعب الإيمان .

﴿ بَصَل ﴾ البصل : حارّ فى الثالثة ، فيه رطوبة فَضْلية ، ينفع من تغير المياه ، ويدفع ضرر ريح السموم ، ويفتق الشهوة ، ويقوِّى المعدة ويجلوها ، ويهيج الباه ، ويزيد فى المنيِّ ، ويحسِّن اللون ، ويقطع البلغم . وبذره يذهب البهق . ويُدْلَك به حول موضع داء الثعلب، فينفع جدًّا ، وهو بالملح يقلع الثآليل ، وإذا شمه من شرب دواء مسهلا ، منع من القىء والغثيان ، وأذهب رائحة ذلك الدواء، وإذا أسعط بمائه نقّى الرأس ، ويُقطَر فى الأذن لثقل السمع والطنين، والقيح والماء الحادث فى الأذنين . وينفع من الماء النازل فى العين اكتحالا ، ويكتحل ببذره مع العسل ، لبياض العين ؛ والمطبوخ من البصل كثير الغذاء ، ينفع من اليَرَقان والسعال وخشونة الصدر ، ويُدرّ البول ، ويُليِّن الطبع .

رُوى عن أبى داود فى سننه ، عن أبى الزياد قال: «سألت عائشة عن البصل، فقالت : إن آخر طعام أكله النبيّ صلى الله عليه وسلم كان فيه بصل». وعن معاوية ابن أبى سفيان « أنه قدم عليه وقد قرّب طعاما ، ثم دعا ببصل، وقال : كلُوا مِنْ هذا الفحَا ، فإنَّهُ قلَّمَا أكل قومٌ منْ فحَا الأرْضِ فضرَّهمْ ماؤُها[1] » . والبصل فى مِزاجه ينفع من عضة الكلب الغير الكلِب ، إذا نُطِل[2] عليها ماؤه بملح وسَذَاب ، وإذا احتُمِل به فتح أفواه البواسير . وأما ضرره فإنه يثير الشقيقة ،

---

(١) الحديث فى مختار الصحاح للرازى ورد : « من أكل (فحا) أرض لم يضره ماؤها » يعنى البصل .

(٢) نطل الدواء : صبه قليلا قليلا .

ويُصَدِّع الرأس ، ويولِّد رياحا ، ويُظلم البصر . ودفع ضرره بالخل ، وكثرةُ أكله تورث النسيان ، وتفسد العقل ، وتغير رائحة الفم والنكهة الطيبة ، ولذلك نَهى النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ أكله أن يدخل المساجد . فقد روى عن عطاء ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ هذِهِ البقْلَة ، وقال مرة : الثُّومَ وَالبَصَلَ وَالكُرَّاثَ ، فَلَا يقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا ، فإنَّ الملَائِكَةَ تَتَأذَّى مِمَّا يَتَأذَّى مِنْهُ الإنْسَانُ » . أخرجاه في الصحيحين .

حرف الجيم

﴿ جُبْن ﴾ أما الجبن فإنه لبن ينعقد ؛ فيصير جُبْنا ، وليست جميع الألبان تنعقد وتقبل التجبُّن ، لكن ما كان الغِلَظ أغلب عليه . وهو نوعان : حديث وعتيق ، ثم كل واحد منهما مخالف للآخر في مِزاجه ، وكذلك في فعله .

والحديث منه نوعان : مملوح وغير مملوح . قال ديسقوريدوس : الجبن الرطب غير المملوح جيد للمعدة ، هيِّن السلوك في الأعضاء ، يزيد في اللحم ، ويليِّن البطن تليينا معتدلا ، وإذا طُبخ وعُصِرَ وشُوِيَ عقَل البطن . والجبن الحديث المملوح أقلُّ غذاء من الجبن الرطب الذي لا ملح فيه ، وهو رديء للمعدة ، مؤذ للأمعاء ، والجبن العتيق يعقِل البطن . قال غيره : الجبن نافع لقروح الأمعاء ، وخصوصا المشويُّ منه ، ويمنع الإسهال .

أقول : الجبن الحديث بارد رطب ، فإن استُعمل مشويًّا كان أصلح لمزاجه ، فإن الشيَّ يصلحه بتعديله إياه وتلطيف جوهره ، وتطييب طعمه ورائحته . والعتيق

المملوح حار يابس، والشئ يصلحه أيضا بتلطيفه جوهره، وكسر حرافته لم تجتذبه النارية منه، من الأجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها، ولذلك كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يأكل الجبن مشويًا. فقد رُوى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: «ضِفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فأمر بجبن فشُوِى، ثم أخذ شَفْرة، فجعل يحزّ لى بها منه». وفى الحديث قصة. وعن أم سلمة رضى الله عنها، «أنها قدّمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبنا مشويًّا، فأكل منه، ثم قام إلى الصلاةِ وما توضأ». رواهما الترمذى فى كتاب [الشمائل].

قلت: معنى الوضوء هنا: النظافة، أى قام إلى الصلاة ولم يغسل يديه، والله أعلم

﴿جُمَّار﴾ قال أحمد بن داود: الجُمَّار لبّ النخلة الأبيض، الذى يكون فى فمها، وهو قلب النخلة، ويقال أيضا بالضم.

أقول: الجمار بارد يابس فى الدرجة الأولى، يختم القروح وينفع من نفث الدم، واختلاف الغرائز، واستطلاق البطن، وغلبة المِرة الصفراء، وثائرة الدم، يغذو البدن غذاء يسيرا، لكنه بطىء الهضم، وليس بردىء الكيموس.

ولشجرته منافع وفضل على سائر الأشجار، وقد خصها الله عزّ وجل بالذكر الحسن، ونبّه النبيّ صلى الله عليه وسلم عليها، وأشار إليها بالبركة. فقد رُوِى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس، إذ أُتِى بجمار نخلة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَهَا بَرَكَةٌ كَبَرَكَةِ المُسْلِم، يعنى النخلة، وذكر الحديث بطوله». أخرجاه فى الصحيحين.

﴿ جِرْجِير ﴾ الجِرْجير : بقلة معروفة ، منه بَرِّىّ وبستانىّ ، وبذره يستعمل بدل الخردل. قال أبو حنيفة الدينورىّ : سألت عنه بعض الأعراب ، فقال : هو عُشبة تستَعْلِي مقدار الساعد ، لها ورقة أعرض من ورقة الحَوْكة[1] ، وزهرة بيضاء ، وهى تؤكل ، وفيها مرارة .

ومزاجه حار فى الدرجة الثانية ، يابس فى الأولى ، قيل : رطب فيها . يهيج الباه ، ويزيد المنىّ ، ويولد نفخة يكون بها الإنعاظ ، وهذه خاصيته . وأكله وحده يصدِّع ، وهو يدرّ البول ، ويلين الطبيعة ، ويهضم الطعام . وإن أُخِذ حبُّه ، وسُحق وطلى على الكلف فى الوجه أذهبه ، وبذره إذا دُقّ ووضع على البيض النِّيمرُشْت[2] بدل الملح ، هيَّج الجماع . روى عن نافع عن ابن عمر : أن رجلا شكى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قِلَّةَ النَّسْل ، فأمره بأكل البيض وبَذر الجرجير مدقوق فيه .

وضرره : أنه يصدِّع ويثقل الرأس ، ويُسَدِّد ، ويُظلم البصر . ضار بالمحرورين ، وينبغى ألاَّ يأكلوه إلا مع الخسّ والهندَباء ونحوهما ، وإلا لم يؤمن منه أن تحمى الأبدان بحرارته : فقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَكَلَ الجِرْجِيرَ ثُمَّ نَامَ عليهِ ، نَامَ وَعِرْقُ الجُذامِ يُنَازِعُهُ فى أَنْفِهِ » وقال : « إِنِّى رَأَيْتُهُ فى النَّارِ : يعنى الجرجير » . ذكره صاحب الوسيلة .

﴿ جَوْزٌ وجُبْن ﴾ المشهور من أصناف الجوز ثمانية أصناف ، منها : الجوز المأكول ، ويقال له : جوز الملك ، ومنها : الجوز الهندىّ ، وهو النارَجيل ، ومنها :

---

(١) الحوكة : الباذروج ، والبقلة الحمقاء : الرجلة .

(٢) النيمرشت : الذى لم يبالغ فى إنضاجه .

جوز بُوَا ، وهو جوز الطيب ، ومنها : جوز السّرو ، وهو معروف . وكذلك جوز القطن . ومنها : جوز القَيْء ، وهو جوز الرُّقع . ومنها : جوز الطرفا ، وهو الـكَزْمازك . ومنها : جوز ماثل ، وهو من السموم . ولـكل صنف منها مِزاج خاص ، ونفع وضرر ، وخاصية بمشيئة الله تعالى ، ليس هذا موضع ذكرها .

قال الشيخ الرئيس ابن سينا : الجوز المأكول مع التين والسذاب، دواء لجميع السموم . وكذلك قال ديسقوريدوس : إنْ أُخِذَ قبل أخذ الأدوية القتالة ، وبعد أخذها كان نافعا لدفع مضرتها .

وقد رُوى عن المهدىّ أنه قال : دخلتُ على أبى المنصور بالله، فرأيته يأكل الجوز والجُبن . فقلتُ : يا أمير المؤمنين جَوْز وجُبْن ؟ فقال : نعم . حدثنى أبى عن أبيه ، عن جده العباس قال : « دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته يأكل الجبن والجوز . فقلت : يا رسول الله ، الجبن والجوز ؟ قال : نَعَمْ ، الجُبْنُ دَاءٌ ، وَالجَوْزُ دَوَاءٌ ، فإذا اجْتَمَعَا صَارَا دَوَاءً » . رواه صاحب الوسيلة .

قلت : الجوز حار يابس ، لطيف سريع الاستحالة إلى الصفرة ، والجبن الرّطب بارد رطب ، غليظ مولد للبلغم ، فإذا اجتمعا حجب كل واحد منهما أذى الآخر ، وأصلح الخلط المتولد عنه ، وصار غذاء حسنا .

وفى هذا الحديث إثبات علم الطب و إظهار فائدته، إذ قابل الشىء الحار بالبارد، واللطيف بالغليظ، مراعاة لحفظ الصحة ، كما فعل النبىّ صلى الله عليه وسلم فى أكله القثّاء بالرُّطَب، وقد تقدم ذكره . وفيه من الفقه جواز أكل إدامين فى وقت واحد . رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال فى قوله تعالى : (تُؤْتِي أُكُلَهَا

كُلَّ حِينٍ » قال: هو شجر جوز الهند، تحمل فى كل شهر، ولا تتعطل من الثمر والله أعلم .

حرف الدال

﴿ دُبَّاء ﴾ الدباء : هو القَرْع ، وقد ذكر فى حرف الياء ، فيعلم من هناك إن شاء الله تعالى[1] .

﴿ دُهْن ﴾ الدهن يتخذ من ثمر : كالزيتون والبُطْم ، ومن لُبوب : كالجوز واللوز ، ومن بذور: كالسمسم و بذر الكتان . وربما سمى ما يؤخذ من الحيوان من شحم ومن دسم لبنه دهنا . والدهن : يسدُّ مسامَّ البدن ، ويمنع ما يتحلل منه ، وإذا استعمل بعد الاستحمام بالماء الحار العذب ، فإنه يحسن البدن ويرطبه ، وإن دهن به الشعر حسَّنه وطوَّله ، ونفع من سقوطه ، ودفع أكثر الآفات عنه .

رُوى عن طلحة بن يحيى ، عن أبيه[2] ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّهْنُ يَذْهَبُ بِالْبُؤْسِ ، وَالْكِسْوَةُ تُظْهِرُ الغِنَى ، وَالإِحْسَانُ إِلى الخَادِمِ مِمَّا يَكْبِتُ اللهُ بِهِ العَدُوَّ[3] » . وروى أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْه[4] » ويجب على من يدهن أن يدهن وقتا ، و يترك وقتا . فقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ادَّهِنُوا غِبًّا » . وكان

---

(١) فى رسم اليقطين صفحة ٧٩ .

(٢) طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمى الكوفى . مات سنة ثمان وأربعين ومئة . « الخلاصة » .

(٣ ، ٤) الجامع الصغير .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن بالزيت والشَّيرَج ، أو الكادى أو البنفسج

وروُى أن رجلا ألحّ على رأسه بالدهن ، فذهبت عيناه .

﴿ دهن البنفسَج ﴾ : بارد رطب ينفع الصداع الحار ، وينوّم أصحاب السهر ، ويرطب الدماغ ، وينفع من الشُّقاق ، وغلبة اليبس والجفاف ، ويطلى به الجرب والحكة اليابسة فينفعها ، ويسهل حركة المفاصل ، والإكثار منه يرخى البدن ، ويصلُح لأصحاب الأمزجة الحارة فى زمن الصيف .

وقد جاء فى فضله حديث ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَضْلُ دُهْنِ البَنَفْسَجِ عَلَى سَائِرِ الأَدْهَانِ ، كَفَضْلِي عَلَى سَائِرِ النَّاسِ » ذكره ابن الجوزى . وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده الحسين بن علىّ ، فى حديث يرفعه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فَضْلُ البَنَفْسَجِ عَلَى الأَدْهَانِ ، كَفَضْلِ الإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ » .

﴿ دُهْن البان ﴾ حار رطب فى الثالثة ، وليس المراد بالبان زهر الخلاف ، بل هو دهن يستخرج من حبّ أبيض أغبر نحو الفستق ، كثير الدهن ، والدهن يجلب من بلاد الكَرَك والشَّوبَك من الشام . ينفع من صلابة العصب ويلينه ، وينفع من البَرَش[1] والنمش ، والكَلَف والبَهق ، ويسهل بلغما غليظا ، ويليّنُ الأوتار اليابسة ، ويسخن العصب ، وهو ردىء للمعدة ، مُغْثٍ ، مطلق للبطن .

قال ديسقوريدوس : حبُّ البان يشبه البندق ، وهو ثمر شجرة تشبه الطَّرْفاء ،

---

(١) البرش : نقط بيض فى الجسم ، أو ما يخالف لونها لون الجلد .

وقد يعتصر ما بداخلها، مثل مايعتصر اللوز المرّ، فتخرج منه رطوبة. وقد رُوى فيه حديث عن إسماعيل بن أحمد، قال: أخبرنا إسماعيل بن مسعدة، أخبرنا حمزة ابن يوسف السَّهْمِىّ(١)، عن أبى سعيد العُرْوِىّ، عن إبراهيم بن سليمان بن موسى ابن جعفر، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد بن علىّ، عن أبيه علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنهم أجمعين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادَّهِنُوا بِالْبَانِ، فإنَّهُ أحْظَى لَكُمْ عِنْدَ نِسَائِكُمْ». ذكره ابن الجوزىّ.

ومن منافعه: أنه يجلو الأسنان، ويكسبها بهجة، ويقيها الصدأ. ومن مسح به وجهه ويديه ورجليه، لم يصبه حُصْرٌ ولا شُقاق، وإذا دهن به حِقويه ومذاكيره وما والاها، نفَع من برد الكُلْيتين وتقطير البول.

حرف الهاء

﴿هِنْدَبا﴾ الهِنْدَبا: نبات معروف، يستحيل مِزاجه وينقلب بانقلاب فصول السنة؛ فهو فى الشتاء بارد رطب، وفى الصيف حار يابس، وفى الربيع والخريف معتدل. وهو بالجملة فى غالب حاله أميل إلى البرودة واليبوسة، منه بَرِّى وبستانىّ. وجميعُ أصنافه قابضةٌ مبرِّدة، جيدة للمعدة، وإذا طبخت وأكلت بخلّ عَقَلت البطن، وخاصة البرِّىّ منها، فإنه أشدّ عقلا، وأجوده للمعدة. وينفع إذا أكل

---

(١) حمزة بن يوسف أو ابن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه — وعنه ابنه محمد. وثقه ابن حبان. «الخلاصة».

من ضعفها . و إذا تُضَمِّدَ به وحده ، أو مع السويق ، سكن الالتهاب العارض فيها ، وقد ينفع من النِّقْرس ، ومن أورام العين الحارة . و إذا تضمد به مع أصوله ، نفع من لسع العقرب . والهِندَبا يقوِّى المعدة ، و يفتح السُّدَد العارضة فى الكبد ، وهو نافع من أوجاعها ، حارِّها و باردها ، و يفتح سُدَد الطِّحال والعروق والأحشاء ، وينقِّى مجارىَ الكُلَى .

وأنفعها للكبد : مرُّها ، وماؤها المعتصر ، ينفع من اليرقان السُّدَدى ، و إذا خُلط به ماء الرازِيانَج الرطب ، كان أنفع فى ذلك ، لاسيما لأصحاب الأمزجة الباردة . و إذا دقَّ ورقُه ووضع على الأورام الحارة برَّدها وحلَّلها ، و يجلو ما فى المعدة ، مطفِئ لحرارة الدم والصفراء ، وأفضل ما أكل فى معالجة سدد الكبد والطحال ، غير مغسولة ولا منفوضة ، لما فيها من القوَّة المفتِّحة للسدد المائلة نحو ظاهرها . فمتى غسلت بالماء أو نفضت ، فارقتها تلك القوة النافعة أو أكثرها ، وفيها مع ذلك قوة ترياقيَّة ، تنفع من جميع السموم .

قال ابن سينا : إذا جعل ضِمادا مع أصوله ، للسع العقرب والحيَّة والهوام والزنابير وسام أبرص ، نفع ، وكذلك مع السويق . قال ابن ماسويه : الطَّرَخْشَقُوق . وهو البرِّى منه ، خاصته النفع من لسع الهوام ، إذا أكل أو شرب ماؤه . قال الطبرىّ : إذا اكتحل بماء ورقه نفع من الغشاوة ، وقد يدخل ورقُه فى الترياقات . قال غيره : ينفع من لدغ العقارب الجرارات ، و يقاوم أكثر السموم .

وخاصته : إذا اعتصر ماؤه ، وصُبَّ عليه الزيت وتُحُسِّى ، فإنه يخلِّص من الأدوية القتالة كلها ، و إذا شُرِب ماء أصله ، نفع من نهش الأفاعى ولسع العقرب

والزُّنبور ، ولبنهُ يجلو بياض العين . ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُوا الهِنْدَبَا وَلا تَنفضُوهُ ، فإنهُ لَيْسَ يَوْمٌ مِنَ الأيَّامِ إلاَّ وَقطَرَاتٌ مِنَ الجَنَّةِ يَقْطُرْنَ عَلَيْهِ[1] » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَكَلَ الهِنْدَبَا وَنَامَ عَلَيْهَا لَمْ يَحُلْ فيهِ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ[2] » . وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده الحسين بن علىّ رضى الله عنهم قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِ الهِنْدَبَا إلاَّ وَعَلَيْهَا قطرَةٌ مِنَ الجَنَّةِ[3] » .

حرف الواو

﴿ ورد ﴾ الورد : نوْر كل شجرة ، وزهر كل نبات ، ثم خُصّ به هذا الورد المعروف ، فصار علَما عليه . وهو ثلاثة أصناف : أحمر وأبيض وأصفر ، وقيل : إن بالعراق وردا أسود .

مزاجه بارد فى الأولى ، يابس فى الثانية ، مقوّ للأعضاء هو وماؤه ودهنه ومنافعه كثيرة . وقد رُوى فيه عن الحسن بن علىّ رضى الله عنهما قال : « جاءنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالورد بكلتا يديه ، فلما قرّبته من أنفى قال : إنّهُ مِنْ سيّدِ رَيَاحِينِ الجَنَّةِ بعْدَ الآسِ » . ذكره صاحب الوسيلة .

﴿ وَرْس ﴾ قال أبو حنيفة الدينورى : الورس يُزرع زرعا ، وليس ببرّىّ ، ولستُ أعرفه لغير أرض العرب ، ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن ، وقوته

(١، ٢، ٣) جاء فى كتاب (الطب النبوى) بأن هذه الأحاديث لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هى موضوعة . وفى الفتح الكبير يوجد الحديث رواه أبو نعيم عن ابن عباس : (عليكم بالهندبا فإنه ما من يوم إلا وهو يقطر عليه قطر من قطر الجنة) .

فى الحرارة واليبوسة فى أول الدرجة الثانية ، وأجوده : الأحمر اللين فى اليد ، القليل النخالة ، ينفع من الكلف والحكة والبثور الكامنة فى سطح البدن إذا طلى به ، وله قوة قابضة صابغة . وإذا شرب نفع من الوضح (١) ، ومقدار الشربة منه وزن درهم ، وهو فى مزاجه ومنافعه ، قريب من منافع القسط البحرى ، وقد ذكر نفعه من ذات الجنب الغير الحقيقية ، على ما تقدم بيانه فى موضعه .

قال البصرى : إذا لطخ به على البهق والحكة والبثور والسفعة نفع منها ، ومن لبس ثوبا مصبوغا بالورس ، قواه على الباه . وقد روى عن زيد بن أرقم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه كان ينعت الزيت والورس لذات الجنب » . رواه الترمذى . قال قتادة : يلده ويلد من الجانب الذى يشتكيه . وعن زيد بن أرقم قال : « نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذات الجنب ، ورسا وقسطا وزيتا يلد به » رواه ابن ماجه . وقد تقدم ذكر نفعه من الكلف . ويؤيده ماروى عن أم سلمة أنها قالت : إن النفساء تقعد بعد نفاسها أربعين يوما ، وكانت إحدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف . رواه أبو نعيم فى الطب النبوى .

﴿ وسمة ﴾ الوسمة غير الكتم ، وهى ورق النيل . قال جماعة من الرواة : الوسمة العظلم . وقال بعض الرواة : أخبرنى بعض الأعراب : أن العظلم شجر النيلج من عصيره يتخذ . وعن شيخ من موالى بنى هاشم قال : العظلم والنيلج والخطر والوسمة والسومة : كله واحد . قال : وأحسبها سميت وسمة للوسامة ، لأنها تحسن الشيب ، ففيها زينة .

قال الجوهرى : والكتم بالتحريك : يخلط بالوسمة : ويختضب به . وقيل : الوسمة نبات له ورق طويل ، يضرب لونه إلى الزرقة ، أكبر من ورق الخلاف . يشبه ورق اللوبيا وأكبر منه ، يؤتى به من الحجاز واليمن ، وهى مائلة

---

(١) الوضح ، بتحريك الضاد : البرص .

إلى الحرارة ، وفيها بعض قوة القبض، تُسَوِّدُ بها اللِّحَى. وقيل: حارة يابسة، منفعتها صبغ الشعر وخضابه . وقد رَوَى الزبير وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر وعائشة رضى الله عنهم ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى(١) » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. « اخْضِبُوا بِالحَاكم ، فإنَّ المَلَائِكَةَ تَسْتَبْشِرُ بِخِضَابِ المُؤْمِنِ(٢) ». وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: « دخلنا على أمّ سلمة، فأخرجت إلينا شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مخضوبٌ بالحنَّا والكتَم » رواه البخارىّ . وعن أبى ذرّ عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُم » رواه البخارىّ . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنَّ أَحْسَنَ مَا غَيَّرْتُمْ بِهِ الشَّيْبَ الحِنَّا وَالكَتَمَ » . رواه أبو داود والترمذىّ والنسائىّ . وعن أنس قال: « رأيتُ شَعَر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا » . رواه الترمذىّ . ورُوِى أنه قد اختضب بالحنَّا والكتَم أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فى خلْقٍ من الصحابة والتابعين . ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه اختضب بالحنا ، وقد اختضب به عمر بن الخطاب ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة فى خلق كثير من الصحابة والتابعين . وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه : أن أبا بكر اختضب بالحنَّا والكتَم ، واختضب عمر بالحنا . وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه اختضب بالصُّفرة . رُوى عن زيد بن أسلم عن عبيد الله قال : « رأيتُ ابن عمر

(١، ٢) الفتح الكبير .

يصفّر لحيته ، وقلت له فى ذلك ، فقال : إنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصفِّرُ لحيته . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : « مَرّ على النبى صلى الله عليه وسلم
رجلٌ قد خضب بالحنّا ، فقال : ما أحسن هـذا ؟ فمرّ آخر قد خضب بالحنّا
والـكَتَم ، فقال : هذا أحسنُ من هذا ، فمرّ آخر قد خضب بالصُّفرة ، فقال : هذا
أحسن من هذا كله » . رواه أبو داود وابن ماجه . وقد اختضب بالصُّفرة عثمان
ابن عفان والمِقداد . فإن قيل : قد صح فى الحديث عن أنس أنه قال : « لم يختضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقد أجاب عن هذا أحمدِ بن حنبل فقال : قد شهد
غير أنس على النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه اختضب ، وليس من شهد بمنزلة من لم
يشهد . والمختار فى جواب ذلك ، أنه صلى الله عليه وسـلم صبغ فى وقت ، وترك
فى معظم الأوقات ، فأخبر كلٌ بما رأى وهو صادق . قال ابن الجوزىّ : وما زال
السلف يخضبون حتى لم يتركوا ذلك بالمرة . وقد رُوى عن محمد بن سيرين قال :
أُتِىَ ابنُ زياد برأس الحسين رضى الله عنه فوُضعَ فى طَسْت ، وجعل ينكُت ثناياه ،
وقال فى نفسه شيئا . فقال أنس : كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان مخضوبا بالوَسْمة . هذا الحديث صحيح أخرجه البخارىّ . وقد صح عن الحسن
والحسين رضى الله عنهما أنهما كانا يخضبان بالسواد . روى ذلك ابن جرير
فى كتاب « تهذيب الآثار » . وسئل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن تغيير
الشيب ، وما رُوى فى ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « غَيِّرُوا الشَّيْبَ ،
وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » . فقال علىّ كرم الله وجهه : إنما قال ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسـلم والدين فى قُلٍّ ، فأما وقد اتسع نطاق الإسلام ،
فـكلُّ امرئ وما اختار لنفسه .

حرف الزاى

﴿ زُبْد ﴾ الزبد : حارّ رطب فيه منافع كثيرة : منها الإنضاج والتحليل . وهو مبرئ للأورام التي تكون إلى جانب الأذنين والحالبين ، وأورام الفم وسائر الأورام التي تعرض فى أبدان النساء والصبيان ، إذا استعمل وحده ، وإذا لُعق منه نفع من نفث الدم الذى يكون من الرئة ، وأنضج الأورام العارضة فيها . وهو ملين للطبيعة والعصب ، والأورام الصُّلْبة العارضة من المرة السوداء والبلغم ، نافع من اليبس العارض فى البدن ، وإذا طُلىَ على جانب أسنان الطفل ، كان معينا على إنباتها وطلوعها . وهو نافع من السعال العارض من البرد واليبس

قال الرازى : الزُّبد مغرّ مملِّس ، يذهب القوابَى والخشونة فى البدن ، ويطلق الطبيعة ، ويسقط شهوة الطعام ، ويَذهبُ بوخامته العسلُ إذا خلط به .

أقول : أو ما يقوم مقامه كالتمر ، وكذلك كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يحبهما ، ويجمع بينهما فى الأكل ، ويؤيد ذلك ما رُوى عن ابنىْ بشر قالا : «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدَّمنا إليه زُبدا وتمرا ، وكان يحبُّ الزبد والتمر» . رواه أبو داود .

﴿ زَيْت ﴾ زيت الزيتون قد يعتصر من الزيتون النضيج ، وهو حار رطب فى الأولى ، وقيل حارّ يابس فيها . وقد يعتصر من الزيتون الفِجّ ، وهو زيت الإنفاق ، ومزاجه بارد يابس ، وبمقدار ما فيه من القبوضة فيه من البرودة . والزيت المتخذ من الزيتون الأحمر ، متوسط بين الرتبتين ، والمتخذ من الزيتون الأسود يسخن ويرطب باعتدال ، وينفع من السموم ، ويطلق ويخرج الدود .

والخام : أى الصافى الجديد . مُزْلِق للمعى ، والعتيق منه أشدّ إسخانا وتحليلا .
وما استخرج منه بالماء فهو أقل حرارة ، وألطف أجزاء ، وأبلغ فى النفع .

وزيت الإنفاق [1] يُفضَّل على سائر أنواع الزيت، بتقويته للأعضاء أكلا ودهنا.
وجميع أصناف الزيت ملينة للبشرة ، ويمنع البرد أن يسرع إلى الأبدان ، ويبسطها للحركة ، ومنافعه جمة . وقد ذكره الله تعالى فى الكتاب العزيز فى مواضع كثيرة، ونبَّه النبى صلى الله عليه وسلم على فضله وبركته ، بأحاديث رويت عنه فيه . هذا الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائْتَدِمُوا بِالزَّيْتِ ، وَادَّهِنُوا بِهِ ، فإنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » . أخرجه ابن ماجه والبيهقىّ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ ، فإنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » . رواه الترمذىّ وابن ماجه . وعن عقبة بن عامر، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: « عَلَيْكُمْ بِزَيْتِ الزَّيْتُونِ ، فَكُلُوهُ وَادَّهِنُوا بِهِ ، فإنَّهُ يَنْفَعُ مِنَ البَوَاسِيرِ » . رواه ابن الجوزىّ وغيره .

﴿ زَبيب ﴾ قال أبو حنيفة الدينورىّ : الزبيب جفيفُ العنب خاصة، ثم قيل: لِما جُفف من سائر الثمر قد زبّب، إلا التمر فإنه يقال : تَمَّرَ الرُّطَب، ولا يقال زُبِّبَ . وأحمد الزبيب ما كَبِر جسمه، وسمن لحمه ، ودقّ قشره ، ونُزع عَجَمه ، وصغُر حبه ، وجِرْم الزبيب حار رطب فى الدرجة الأولى . وحبه بارد يابس، وهو كالعنب المتخذ منه ، والحلو منه حار ، والحامض والقابض منه بارد ، والأبيض أشدّ قبضا من غيره ، وإذا أكل لحمه وافق قصبة الرئة ، ونفع من السعال، ووجع الكُلَى والمثانة ، ويقوّى المعدة ، ويلين البطن . والزبيب الحلو اللحيم ، أكثر غذاء من العنب ،

---

(١) زيت الإنفاق : هو العذب المعتصر من الزيتون الفض (انظر المعتمد لابن رسول)

وأقلّ جِلاءً من التين اليابس، وله قوّة منضِجة هاضمة، قابضة محللة باعتدال. وهو بالجملة يقوّى المعدة والكبد والطحال، نافع من وجع الحلق، والصدر والرئة، والكلى والمثانة، وأغذاه أن يؤكل بغير حبه، وهو يغذو غذاء صالحا، ولا يُسدِّد كما يفعل التمر وما أكل منه بعَجَمه، كان أكثر نفعا للمعدة والكبد والطّحال، وإذا لُصِق لحمُهُ على الأظافر المتحركة أسرع قلعها. والحلوُ منه وما لا عَجَم له، نافع لأصحاب الرطوبات والبلغم.

قال جالينوس: الزبيب يخصب الكبد وينفعها بخاصية. «رُوى أن تميما الدارىّ أهدى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم زبيبا، فلما وضعه بين يديه، قال لأصحابه: كلُوا فَنِعْمَ الطعَامُ الزّبيبُ، يُذْهِبُ النّصَب، وَيَشُدُّ العَصَب، وَيُصَفّى اللّوْنَ، وَيُطَيِّبُ النّكْهَةَ، وَيُرْضِى الرّبّ[1]». وقد روى عن سعيد بن زياد بن أبى هند قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ الطّعَامُ الزّبيبُ، يُطَيّبُ النّكْهَةَ، وَيُذْهِبُ البَلْغَم». وعن علىّ كرم الله وجهه قال: من أكل إحدى وعشرين زبيبةً حمراء كل يوم، لم يُرَ فى جسمه شىء يكرهه. وعن المهدىّ قال: قال أمير المؤمنين المنصور: كلوا الزبيب واطرحوا عَجَمه، فإن فى عَجَمِه، داء وفى شحمه دواء هكذا حدثنى أبى عن أبيه، عن ابن عباس رضى الله عنه، أنه أمره بذلك

قال الزهرىّ قال: من أحبّ أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب.

---

(١) فى الجامع الصغير الحديث: «عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة، ويذهب بالبلغم، ويشد العصب، ويذهب بالعياء، ويحسن الخلق، ويطيب النفس، ويذهب بالهم». رواه أبو نعيم، عن على رضى الله عنه

﴿ زَنْجبيل ﴾ الزنجبيل : عروقُ نباتٍ يسرى فى الأرض، وليس بشجر. ينبت بالهند والصين وغيرهما ، وينبت أيضا كثيرا ببلاد العرب ، ونباته يشبه نبات الراسَن[1] ، ويؤكل رَطْبا كما يؤكل البقل ، ويستعمل يابسا ومربًّى بالعسل . والمختار منه الهندىّ ثم الصينىّ ، وما لم يكن متأكلا .

وهو حار فى الثالثة ، رطب فى الأولى ، مسخِّن معين على هضم الطعام ، مليِّن للبطن تليينا معتدلا ، نافع من سُدَد الكبد العارضة عن البرد والرطوبة، ومن ظلمة البصر الحادثة عن الرطوبة أكلا واكتحالا، معين على الجماع، يحلل الأرياح الغليظة الحادثة فى الأمعاء والمعدة . وبالجملة فهو صالح للكبد والمعدة الباردتى المزاج . وإذا أُخذ منه مع السكر وزن درهمين بالماء الحار ، أسهل فَضْلا لزجا لُعابيًّا . ويقع فى أخلاط المعجونات التى تحلِّل البلغم وتذيبه ، وهو كالدار فلفل فى قوّته وفعله ، والمربَّى منه حار يابس يهيج الجماع، ويزيد المنىّ، ويسخِّن المعدة والكبد، ويعين على الاستمراء، ويقوِّى الإنعاظ، وينشِّفُ البلغم ، وينفع الهرِم والبلغم الغالب على البدن ، ومنافعه كثيرة . وقد أكثر الشعراء من ذكره ، ونطَقَ به القرآن العزيز . ورُوى فيه عن أبى سعيد الُخدرىّ رضى الله عنه قال: «أهدى ملكُ الروم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم جرّة زنجبيل ، فأطعم كلّ إنسان قطعة ، وأطعمنى قطعة » . رواه أبو نعيم فى الطبّ النبوى .

---

(١) راسن : يسمى خرنبل ، ويقال له الجناح الرومى والشامى ، وبعضهم يسميه قسطاً لشبه بينهما . له منافع جليلة .

حرف الحاء

﴿ حِنَّا ﴾ الحنا : ورقُ شجر كبار كشجر السِّدْر ، يورق كل عام مرتين : أى يؤخذ ورقه ، وورقه شبيه بورق الزيتون ، غير أنه أعرق وألزج ، وألين وأشدّ خضرة ، وله زهر أبيض شبيه بالأسنة، ونَوْرُ الحنَّاء طيب الرائحة[1] ، ولونه أبيض إلى الصفرة ، وقد تقدم الكلام فى مزاجه ومنافعه فى الباب الأول من الأربعين حديثا الأولى ، فيعلم من هناك .

وقد رُوى فيه من الأحاديث ما تقدم ذكره ، ولنذكر منها فى هذا المكان غير ما ذكرناه هناك . رُوى عن معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع[2] ، قال : حدثنى أبو محمد عن أبيه عبد الله ، عن أبى رافع قال: كنتُ عند النبىّ صلى الله عليه وسلم إذ مسحَ يدهُ على رأسِه ، ثم قال : « عَلَيْكُمُ بِسَيِّدِ الخِضَابِ : الحِنَّا يُطَيِّبُ البَشَرَةَ ، وَيَزِيدُ فى الجماعِ » . رواه ابن الجوزىّ .

﴿ حرير ﴾ الحرير معروف، والمستعمل منه فى صناعة الطبّ هو الخام فقط ، وقد تقدم الكلام فى ماهيته ومزاجه ومنافعه . وما ورد فيه من الحديث النبوىّ ، فى شرح الحديث الخامس والعشرين من الباب الأول ، فيعلم من هناك .

﴿ حُرْف ﴾ قال أبو حنيفة الدينورى: الحُرْف هو هذا الحب الذى يتداوى به ، وهو الثُّفَّاء الذى جاء فيه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم، وكذلك نباته يقال له :

---

(١) قلت : ويسمى الفاغية .

(٢) معمر بن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع ، وقيل غير ذلك ، عن جده ، وعنه أبو قلابة . « الخلاصة » .

الحُرْف . قال : وتسميه العامة حبّ الرشاد . وقال عيسى بن ماسة : الحرف هو حبُّ الرشاد ، ويقال له : المرشد أيضا ، قيل : وأهل الحجاز يسمونه الثُّفَّاء[1] ، وهو اسمه بالعربية ، ويسمى المقلْياسا بالسريانية . وسَفُوف المقلياسا نافع من الزحير السكائن عن البرد ، منسوب إليه ، لأنه يقع مقلوًا فيه ، وأجود الحرف البابلي الأحمر .

وقوة الحرف فى الحرارة واليبوسة من الدرجة الثالثة ، وهو يسخّن ويليّنُ البطن ، ويخرج الدود وحبّ القَرَع ، ويحلل أورام الطحال ، ويحرِّكُ شهوة الجماع ، ويجلو الجرب المتقرِّح والقوابى . وإذا تُضمد به مع العسل ، يحلِّلُ ورم الطحال ، وإذا طُبِخَ فى الأحساء[2] أخرج الفضول التى فى الصدور . وإذا شرب نفع من نهش الهوام ولسعها ، وإذا دخن به فى موضع طرد الهوامّ عنه ، ويمسكُ الشعر المتساقط ، وإذا خلط بسويق الشعير والخل ، وتُضمد به ، نفع من عرق النّسا ، وحلّل الأورام الحارة عن آخرها ، وإذا تضمد به مع الماء والملح أنضج الدماميل ، وينفع من الاسترخاء فى جميع الأعضاء ، ويزيد فى الباه ويشهِّى للطعام ، وينفع الرَّبْوَ وعسر النفَس وغلظ الطحال ، وينقى الرئة ، ويدرُّ الطَّمث ، وينفع من عرق النَّسا ، ووجع حُقِّ الورك ، بما يُخرج من الفضول إذا شرب أو احتقن به ، ويجلو ما فى الصدر والرئة من البلغم اللّزِج ، وإن شرب منه بعد سحقه وزن خمسة دراهم بالماء الحار ، أسهل الطبيعة ، وحلّل الرياح ، ونفع من وجع القُولَنج البارد . وإذا سُحق وشرب نفع من البرص ؛ وإن لطخ عليه وعلى البهق الأبيض بالخل نفع منها ، ونفع من الصداع السكائن من البرد والبلغم ؛ وإن شرب مقلوًا

---

(١) السفات ، فى تذكرة داود .

(٢) الأحساء : جمع حسا ، وهو المرق . وفى الأصل : الأحشاء . تحريف .

عَقلَ الطبيعة ، لاسيما إذا لم يسحق ليحلّل لزوجته بالقلى ، وإذا غُسل بمائه الرأسُ وقاه من الأوساخ ، والرطوبات اللزجة .

قال جالينوس : قوة بذر الُحرْف ، قوّة تحرق مثل بذر الخردل ، وكذلك قد تسخَّن به أوجاعُ الورك ، المعروفة بالنَّسا ، وأوجاع الرأس ، وكل واحد من العلل الأخرى التى تحتاج إلى التسخين ، كما يسخن بذر الخردل . وقد يخلط أيضا فى أدوية يُسقاها أصحاب الربو ، من طريق أن الأمر فيه معلوم ، وأنه يقطع الأخلاط الغليظة تقطيعا قويا كما يقطعها بذر الخردل ، لأنه شبيه به فى كل شيء . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَاذَا فى الأمرّين مِنَ الشِّفَاءِ الصَّبِرُ وَالثُّفَّاء » . رواه الترمذىّ وغيره .

قال أبو عبيد : الثّفاء : هو الحرف . قال الشاعر :

فى الحُرْفِ سَبْعُونَ دَوَاءْ وَفى الـكَمُّونِ فِيما قيلَ سِتّونَا
قَدْ قَالَ هِرْمِسُ فى كُتُبِهِ فَلاَ تَدَعْ حُرْفًا وَ كَمُّونَا

﴿ حُلْبة ﴾ قال أبو حنيفة الدينورى : الُحلبة لها حبٌّ أصفر يسمى الحلبة أيضا ، يُتعالج به ، وَيُنَبَّتْ فيؤكل . وأخبر بعض المشايخ أن عرب الشام يسمونها الفاريقا ، وكذلك يسمى النَّقوع المتخذ منها ومن التمر ومن أخلاط أخرى ، فيسقاه المرضى : الفريقة . قال الهذلى :

وَلَقَدْ وَرَدْتُ الَماءَ لَوْنُ جِمَامِهِ لَوْنُ الفَرِيقَةِ صُفِّيَتْ لِلمُدْنَفِ

رُوى عن سعد بن أبى وقاص : « أنه مرض بمكة ، فعاده النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : اُدْعُوا لَهُ طَبِيباً ، فدُعِى الحارث بن كَلَدة الثقفى ، فنظر إليه فقال : ليس

عليه بأس ، فاتَّخَذوا له فريقة بشىء من تمر عجوة وحُلبة ، يُطبخان فيتحسَّاها ففعل ذلك فبرئ» . وقوّة الحلبة فى الحرارة من الدرجة الثانية ، وفى اليبوسة من الدرجة الأولى ، إذا طُبخت بالماء لينت الحلق والصدر والبطن ، وتسكّن السعال والخشونة والربو ، وعُسر النفَس ، وتزيد فى الباه ، جيدة للريح ، والبلغم والبواسير ، مُحدِّرة بلزوجتها الكيموسات المرسلة فى الأمعاء ، وتجلو البلغم اللّزج من الصدر ، وتُدر البول ، وتنفع من الرُّتيلاء ، وأمراض الرئة ، وتستعمل لهذه الأدواء فى الأحساء[1] مع السمن . وإذا شربت مع وزن خمسة دراهم فُوّة[2] ، أدرّت الحيض . وإذا طُبخت وغسل بمائها الشعر جعّدته ، وذهبت بالحزاز ، ودقيق الحلبة إذا خلط بالنطرون والخل وتضمد به حلّل ورم الطحال ، وقد تجلس النساء فى ماء طبيخ الحلبة ، فينتفعن به من وجع الأرحام العارض ، من ورم فيها وانضمام فمها . وإذا ضُمدت به الأورام الصلبة ، القليلة الحرارة نفعتها وحلّلتها . وإذا شرب ماؤها نفع من المغص العارض من الرياح ، وأذلق الأمعاء . وإذا أكلت مطبوخة بالتمر أو العسل أو التين على الريق ، حلّلت البلغم اللّزج العارض فى الصدر والمعدة ، ونفعت من السعال المتطاول منه ، وذلك إذا لم يكن حمّى .

وهى نافعة من الحصْر مطلقة للبطن . وإذا وضعت على الطرف المتشنّج أصلحته ، إلا أنها مغيرة للنكهة . ودهنها ينفع إذا خُلط بالشمع من الشقاق العارض من البرد ، منضج للأورام الصلبة .

ومنافع الحلبة أكثر مما ذكرناه . وقد روى عن القاسم بن عبد الرحمن[3]

---

(١) الأحساء : جمع حسا ، وهو المرق . وفى الأصل : الأحشاء .

(٢) فوة ، وتسمى عروق الصباغين . نبت أحمر طيب الرائحة .

(٣) القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لهذلى أبو عبد الرحمن قاضى الكوفة توفى سنة عشرومائة . « الخلاصة » .

رضى الله عنه أنه قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : «اسْتَشْفُوا بِالْحُلْبَةِ» .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَوْ تَعْلَمُ أُمَّتِي مَا لَهُمْ مِنَ الْحُلْبَةِ ، لَاشْتَرَوْهَا بِوَزْنِهَا ذَهَبًا» . ذكرهما صاحب الوسيلة وغيره .

حرف الطاء

﴿ طِيب ﴾ الطيِّب أنواع : أشرفها وأطيبها المسك .

وهو حار يابس فى الثانية ، يسرّ النفس ويقويها ، ويقوّى الأعضاء الباطنة جميعا ، شربا وشمًّا ، والظاهرة إذا وضع عليها ، نافع للمشايخ والمبرودين والمرطوبين ، لاسيما زمن الشتاء ، جيد للغَشى والخفقان ، وضعف القوّة ، بإنعاشه للحرارة الغريزية ، ويجلو بياض العين وينشِّف رطوبتها ، وَيُفَشِّى الرياح منها ومن جميع الأعضاء ، ويبطل عمل السموم ، وينفع من نهش الأفاعى .

ومنافعه كثيرة : ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يتطيَّب به ، ويستعمله لحله وإحرامه . رُوى عن عائشة قالت : «طَيَّبتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيدىّ هاتين حين أحرم ، ولحله حين أحلّ ، قبل أن يطوف» .

وفى حديث آخر : «كنت أطيِّب النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يُحْرِمَ ، ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت ، بطيب فيه مسك» . أخرجاه فى الصحيحين .

وعن أبى سعيد الخدرىّ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أَطْيَبُ الطِّيبِ : المِسْكُ» . رواه مسلم وغيره . وعن ابن عمر : «أنه كان يستجمر بِأَلُوَّة غير مطراة ،

و بكافور يطرح مع الالُوة ، وأنه قال : هكذا كان يستجمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » . رواه مسلم .

قال أهل اللغة : الاستجمار هنا : استعمال الطيب والتبخر به ، مأخوذ من المِجْمَر وهو البَخور ، والألوة : العود الذى يتبخر به . قال الأصمعى : أراها فارسية معربة ، وهى بضم اللام ، وفتح الهمزة أو ضمها ، لغتان مشهورتان .

وحكى الأزهرى ؛ بكسر اللام ، وقوله (غير مطراة) أى غير مخلوطة بغيرها من الطيب . ورُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه كان يتبع الطيب فى رباع[1] النساء ، وأنه كان إذا قام من الليل خلا واستنجَى ، واستاك وتوضأ ، ثم يطلب الطِّيب فى رباع نسائه » .

قال العلماء : وفى ذلك استحباب الطيب للنساء ، وهو مستحب للرجال أيضا لاسيما يوم الجمعة والعيدين ، ومجامع المسلمين ومجالس الذكر ، وغير ذلك . وفى خلط الكافور بالعود عند التبخر معنى طبّىٌّ ، وهو إصلاح مزاج كل واحد منهما بالآخر ، وفى ذلك إصلاح جوهر الهواء ، لاسيما فى الأزمان والبلدان الوبيئة ، وقد تقدم فصل فى ذكر الطيب ، وما روى فيه من الأحاديث النبوية ، فى الباب التاسع من هذا الكتاب ، فيعلم من هناك .

﴿ طَلْع ﴾ قال أحمد بن داود : طلْعُ النخل هو ما يبدو من ثمرته فى أوّل ظهورها ، وقشره يسمى الكُفُرَّى والُجفُرَّى . قال غيره : هو الطلع ، ذكره الغافقى فى كتابه فى حرف النون .

قال جالينوس : الطلع هو الذى يخرجُه النخل عند ما يعقد . وقال أحمد ابن داود : تلقيح النخل : هو أن يجعل الحرف فى طلعة الأنثى منكوسا ،

---

(١) جمع ربعة ، وهى : جؤنة الطيب : سفط صغيرة .

رأس الحرف إلى أصل الطلعة، لينثر دقيقه فى جوفها ، و يتوخى أن يجعل فى جوف الطلعة . ولشماريخ الفُحَّال دقيقٌ راكب عليها ، إذا نفض انتفض . قال العشى : النخلةُ تــكون تحت الفُحال، وتجد ريحه فتلقح بتلك الرائحة ، وتــكتفى بذلك . قال زياد الياقوتى : دقيق طلع النخل الذكر ، وهو مثل دقيق الحنطة ، يلقح به النخل . قال عمران بن عمر مثله . وقد رُوى عن طلحة بن عبد الله قال : «مررتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نخل ، فرأى قوما يلقحون ، فقال : مَا يَصْنَعُ هَؤُلاءِ ؟ قال : يأخذون من الذكر ، فيجعلونه فى الأنثى . قال : مَا أَظُنُّ ذَلِكَ يُغْنِى شَيْئاً ؟ فبلغهم ، فتركوه ونزلوا عنه . فبلغ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إِنَّمَا هُوَ ظَنٌّ إِنْ كَانَ يُغْنِى شَيْئاً فَاصْنَعُوهُ ، فإِنَّمَا أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ ، وَلَـكِنْ مَا قُلْتُ لَـكُمْ ، قَالَ اللهُ عزَّ وَجلَّ ، فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى الله » رواه مسلم وابن ماجه . قال الياقوتى : طلعُ النخل ينفع من الباه، و يزيد فى المباضعة .

قال المؤلف : سمعتُ بعض أشياخى يقول : إن دقيق طلع النخلة إذا تحملت به المرأة قبل الجماع، أعان على الحبَل معونة بالغة .

وقوّة الطلع فى البرودة واليبوسة من الدرجة الثانية ، يقوّى المعدة و يجففها ، و يسكّن ثائرةَ الدم مع غلظ و بطء هضم ، ولا تحتمله إلا أصحاب الأمزجة الحارة ، ومن أكثرَ منه يجب أن يأخذ عليه شيئا من الأشياء الحارة ، وهو يعقِل الطبع ، ويقوّى الأحشاء . والُجمّار يجرى مجراه ، وكذلك البلح والبسر ، والإكثار منه يضر المعدة والصدر ، وربما أورث القُولَنج ، وإصلاحه بالتمر أو بما تقدم ذكره .

وفضل الطلع تابع لفضل النخلة التى هى أصله ، وكذلك كل ما يخرج منها .

روى عن عروة ابن الزبير ، عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ ، فإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِى خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ[1] ، ولَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ مَا يُلَقَّحُ غَيْرُهَا » . وعن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لايَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِىَ مِثْلُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ ، حَدِّثُونِى مَا هِىَ ؟ قال عبد الله بن عمر ، فوقع الناس فى شجر البوادى ، ووقع فى نفسى أنها النخلة ، فاستحيَيْت، فقالوا : حدثنا يا رسول الله ما هى ؟ فقال : هِىَ النَّخْلَةُ » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : وفى ذلك فضل النخل والتمر والطلع ، وكل ما يخرج منها . وشبّهها بالمسلم لكثرة خيرها ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ووجوده على الدوام ، وما فى رأسها . فمن حين يطلع إلى حين ييبس يؤكل أنواعا ، ثم هو ما يدخر ، ولا ينقطع نفعه . قال الله تعالى: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ) . وقال تعالى : (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فى السَّمَاءِ ، تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)

حرف الياء

﴿ يَقْطِين ﴾ قال المؤلف : قال أهل اللغة: يقال لكل شجرة لا تقوم على ساق يقطين ، كالدُّبّاء والبطيخ، والخيار والقثاء ونحو ذلك . واليقطين والدُّبّاء والقرع: أسماء تقع على عين واحدة ، وهى معروفة .

---

(١) الطب النبوى .

قال أبو حنيفة الدينوري : الواحدة قَرعة وهى الدُّباء، الواحدة دباءة ، وإذا كانت صغيرة فهى جَرْو ، والجميع جِراء ، وهى من اليقطين الذى لاينهض ، ولكن ينفرس . ومزاجه بارد رطب فى الثانية ، يغذو غذاء يسيرا ، وهو سريع الانحدار وإن لم يفسد قبل الهضم ، تولّد منه خِلطٌ محمود .

ومن خاصيته أنه يتولد منه خِلط مجانس لما يصحبه ، فإن أُكِلَ بالخردل تولّد منه خِلطٌ حرّيف ، أو بالملح تولّد منه خلط مالح ، أو مع القابض تولّد منه خلط قابض ، وإن طبخ بالسفرجل غذّى البدن غذاء جيّدا ، وهو لطيف مائى ، يغذو غذاء رطبا بلغميًّا ، وينفع المحرورين ، ولا يلائم المبرودين المبلغمين .

وماؤه يقطع العطش ، ويذهب الصداع الحار إذا شرب أو غسل به الرأس ، وهو مليّنٌ للبطن كيف استعمل ، ولم يتداو المحرورون بمثله ، ولا أعجل منه نفعا .

ومن منافعه : أنه إذا خُلط بعجين وشُوِى فى الفرن أو التنّور ، واستخرج ماؤه ، وشرب ببعض الأشربة اللطيفة ، سكّن حرارة الحمّى الملتهبة ، وقطع العطش ، وغذّى غذاء حسنا ، وإذا شرب بترنجبين (١) وبنفسج مربّى ، أسهل صفراء محضة ، وإذا طبخ القرع بجملته وشرب ماؤه بشىء من عسل ، وشىء من نَطرون أحدَر بلغما ومِرّة معا ، وإذا دُقّ وعمل منه ضمادٌ على النافوخ ، نفع من الأورام الحارّة فى الدماغ ، وإذا عُصرت جُرادتُه ، وخُلطَ ماؤها بدهن الورد ، وقُطّر منها فى الأذن ، نفعت من الأورام الحارة التى تعرض فيها ، وإن اتخذ منها ضِمادٌ نفع من الحمرة ، والأورام الحارة . وحرارته نافعة من أورام العين الحارة ، ومن النِّقرس الحار ؛

---

(١) ترنجبين — فارسى — معناه عسل رطب لاطل الندى ، كما زعم .

وما أنفعه لأصحاب الأمزجة الحارة والمحمومين ، وقد شرّفه الله تعالى بذكره له في الكتاب المبين ، فقال تعالى في قصة يونس : ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ . وقد رُوى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة[1] أنه سمع أنس ابن مالك يقول : « إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه ، فذهبتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرّب خبزا من شعير ، ومرقا فيه دباء وقَديد ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى القصعة . فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ » . أخرجاه في الصحيحين . وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عَائِشَةُ ، إذا طَبَخْتُمْ قِدْرًا ، فأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الدُّبَّاءِ ، فإنهُ يَشُدُّ قَلْبَ الحَزِينِ[2] » . وعن عبدالله بن عمر ، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عَلَيْكُمْ بِالقَرْعِ ، فإِنَّهُ يُلَيِّنُ الصَّدْرَ ، وَيَجْلُو القَلْبَ[3] » . وعن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من أكل الدباء ، وقال : إِنَّهُ يُكَثِّرُ الدِّمَاغَ ، وَيَزِيدُ فى العَقْلِ[4] » .

---

(١) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الأنصارى أبو يحيى المدنى . توفى سنة اثنتين وثلاثين ومائة . « الخلاصة » .

(٢) يروى الحديث مرفوعا .

(٣ ، ٤) فى الجامع الصغير روايتان ، الأولى : « عليكم بالقرع فإنه يزيد فى الدماغ ، وعليكم بالعدس فإنه قدس على لسان سبعين نبيا » . عن واثلة . والرواية الثانية عن عطاء ، مرسلا « عليكم بالقرع ، فإنه يزيد فى العقل ويكثر فى الدماغ » .

حرف الكاف

(كَمْأَة) الكمأة : أصلٌ مستدير، لا وَرَق له ولا ساق.، ويتولَّد من عفونة الأرض ، لكثرة الأمطار . وهي باردة رطبة، غليظة الجوهر، عسرة الهضم، مولِّدة للبلغم الغليظ ، والأسود منها أشدّ رطوبة وغلظة ، وأجودها الرمليّ الأبيض، وقد تقدم من الكلام فيها ، في الباب الأول ، ما يغني عن إعادته ؛ لكن نذكر ههنا من متن الحديث النبويّ غير ماذكر هنالك . رُوي عن عمرو بن حُريث[1] عن سعيد بن زيد، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الكَمْأةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلعَيْنِ » . أخرجاه في الصحيحين .

قال أبو عبيد : إنما شبهها بالمنّ الذي سقط على بني إسرائيل، لأن ذلك كان ينزل عفوا بلا علاج منهم، إنما كانوا يصبحون وهو بأفنيتهم، فيتناولونه ، وكذلك الكمأة ليس لأحد فيها مؤنة في بذر ولا سقي ولا غيره ، وإنما هو شيء ينشئه الله في الأرض .

قال ابن سينا : وماؤها كما هو يجلو بياض العين ، مرويّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واعتراف عن مسيح الطبيب وغيره . وقيل : إن استُعمل ماؤها لتبريد ما في العين ، فماؤها مجرد شفاء ، وإن كان لغير ذلك، فمركب مع غيره ، والصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقا ، مفردا ومركبا .

قال الغافقيّ : وماء الكمأة من أصلح الأدوية للعين ، إذا رُبّي به الإثمدُ

---

(١) عمرو بن حريث بن عمر بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو سعيد الكوفي ، صحابي . توفي سنة خمس وثمانين . « الخلاصة » .

واكتحل به ، ويقوّى أجفانها ، ويزيد الروح الباصر قوةً وحدة ، ويدفع عنها نزول النوازل .

﴿ كُندر ﴾ الكندر بالفارسية : هو اللبان بالعربية . قال عبد الملك : ثلاثة أشياء لا تكون إلا باليمن ، وقد ملأت الأرض : اللُّبان وَالورس والقصب : يعنى البرد اليمنى . قال ديسقوريدوس : الكُندُر يكون ببلاد العرب ، وأجود ما يكون منه على هذه الصفة ، فهو صلب لا يتكسر سريعا ، وقد يكون أيضا ببلاد الهند ، ولونه لون الياقوت ، ويميل إلى لون الباذنجان ، ومعرفة ذلك هَيِّنة ؛ وذلك أن الصمغ العربى لا يلتهب بالنار ، وصمغ الصنوبر يُدخِّن ، والكندر يلتهب ولا يدخِّن ، وقد يستدل على المغشوش أيضا بالرائحة . قال جالينوس : الكندر يسخن فى الدرجة الثانية ، ويجفف فى الدرجة الأولى ، وفيه قبض يسير

أقول : الكُندر كثير المنافع ، قليل المضارّ جدا . فمن منافعه أنه ينفع من قذف الدم ونزفه ، ووجع المعدة واستطلاق البطن ، واختلاف الغرائز والدم ، ويهضم الطعام ، ويطرد الرياح ، ويجلو قروح العين ويدمُلها ، وكذلك ينبت اللحم فى سائر القروح ، ويقوِّى المعدة الضعيفة ويسخنها ، ويجفف البلغم ، وينشِّفُ رطوبات الصدر ، ويجلو ظلمة البصر ، ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار ، وإذا مُضغ وحده أو مع الصعتر الفارسى جاب البلغم ، ونفع من اعتدال اللسان ، ويزيد فى الذهن ويذكيه ، وإن بخر بهما نفع من الوباء وطيب رائحة الهواء . وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَخِّرُوا بُيُوتَكُمْ بِاللُّبَانِ وَالصَّعْتَرِ (١) » وعن عبد الله بن جعفر قال : جاء رجلٌ

---

(١) زاد المعاد ، وقد جاء فيه أن الحديث لم يصح عنه صلى الله عليه وسلم .

إلى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه يشتكى إليه النسيان . فقال : عليك باللبان فإنه يشجع القلب ويذهب بالنسيان. وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «مثقال من سكر ، ومثقال من كندر يسقاه الرجل سبعة أيام على الرّيق جيّد للبول والنسيان» . وعنه فى رواية أخرى ، قال: «خذ مثقالا من كُندر ، ومثقالا من سكر فدقهما دقا جيّدا ، ثم استعملهما على الرّيق ، فهو جيّد للبول والنسيان» وعن عمرو ابن شاكر قال : سمعتُ إنسانا شكى إليه النسيان ، فقال : عليك بالكندر فانقعه من الليل ، فإذا أصبحت ، فخذْ منه شربةً على الرّيق ، فإنه جيدٌ من النسيان .

أقول : النسيان قد يكون لسوء مزاج بارد رطب ، يغلب على الدماغ ، فلا يحفظ ما ينطبع فيه ، وهذا ينفع منه الكُندر ، ويكون لغلبة اليبس عليه ، فلا يتمكن من الانطباع فيه ، فيزول سريعا ، والفرق بينهما أن اليبس يتبعه سهر ، ويحفظ الأمور الماضية دون الحالية ، والرطوبة بالعكس . وقد يحدثه[١] أشياء بخاصتها منها حجامة النقرة ، وأكل الكزبرة الرطبة، والتفاح الحامض ، وكثرة الهمّ ، وقراءة ألواح القبور ، والنظر فى الماء الراكد ، والبول فيه ، والنظر إلى المصلوب .

﴿ كباث ﴾ قال أهل اللغة : الكَباث ، بفتح الكاف ، ثم باء موحدة مخففة ، ثم ألف ، ثم ثاء مثلثة . قال الأصمعىّ والهروىّ وغيرهما : الكباث هو ثمر الأراك ، وهو بأرض الحجاز معروف ، وطبعه حار يابس .

ومنافعه كمنافع الأراك : يقوّى المعدة ، ويجوّد الهضم ، ويجلو البلغم ، وينفع من أوجاع الظهر ، وكثير من الأدواء .

قال ابن جُلْجُل: إذا شرب طبيخه أدرّ البول، ونقى المثانة . قال ابن رضوان :

---

(١) يعنى النسيان .

يقوّى المعدة ، ويمسك الطبيعة . وقد رُوِى عن أبى سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكَباث ، فقال : « عليكم بالأسود منه ، فإنه أطيبه » . أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ كَتَم ﴾ قال الغافقى : الكتم المعروف عندنا ينبت بالسهول ، وورقه قريب من ورق الزيتون ، يعلو فوق القامة ، وله ثمر فى قدْرِ حبّ الفلفل ، فى داخله نوًى إذا نضِج اسودّ . إذا استخرجت عصارة ورقه ، وشرب منها قدر أوقية قيّأ قيئاً شديدا ، وينفع من عضة الكلب . قال : وأما الذى ذكره الكندى ، من أنّ بذر الكَتَم إذا اكتُحل به ، حلل الماء النازل فى العين وأبرأها ، فما أظنه أراد به سوى الكَتَم الذى نعرفه نحن ، وقد يمكن أن يكون نوعا آخر من الكتم ، ويستعمل فى خضاب الشعر ، وأصلُ الكتم إذا طبخ بالماء كان منه مداد يكتب به ، والكَتَم بفتح الكاف والتاء المثناة من فوق المخففة .

قال أبو عبيد : هو بتشديد التاء ، حكاه عن غيره . قال الجوهرى : الكَتَم بالتحريك : نبت يخلط بالوسْمة يختضب به . وقد اختلف العلماء فى أنه هل خضب به النبى صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فمنعه الأكثرون ، وحديث أنس المشهور فى ذلك هو مذهب مالك . وقال بعض المحدثين : بأنه خضب به ، واستدل بحديث أم سلمة وغيرها . وقد تقدم ذكر الأحاديث النبوية الواردة فى ذلك ، عند ذكر الوسْمة .

قال بعض العلماء : ووجه الجمع بينهما : أنه صلى الله عليه سلم خضب فى وقت ، وتركه فى وقتٍ ، أوفى معظم الأوقات ، فأخبر بما رأى وهو صادق .

﴿ كَرْم ﴾ : هو شجر العنب ، الواحدة منه كَرمة ، وتسمى الحَبَلة أيضا .

ومنافعه كثيرة كالنخل ، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما رُوى عنه : « الحَبَلَة أختُ النَّخْلَةِ ». والحَبلة، بفتح الحاء المهملة و إسكان الباء : قوّة زهرة الكرم باردة يابسة، وورقه وعساليجه وعلائقه مبردة فى آخر الدرجة الأولى، تنفع إذا دقت وضمد بها من الصداع والأورام الحارة والتهاب المعدة ، وعصارة أطرافه إذا شُربت سكنت القيء المِرّى ، وعقلتِ البطن، وكذلك إذا مُضغت قلوبُ الكرم الرطب ، وعصارة ورقه، تنفع من قرحة الأمعاء، ونفث الدم وقيئه ، ووجع المعدة، والنساء الحوامل .

قال الغافقى : دمعة الكرم: شىء شبيه بالصمغ ، تجمد على القضبان، إذا شربت مع الشراب أخرجت الحصاة . و إذا لطخ بها أبرأت القوابى والجرب المتقرح ، وغير المتقرح . وينبغى غسل العضو قبل استعمالها بالماء والنطرون ، و إذا مسح بها مع الزيت حلقت الشعر . ورماد قضبان الكَرْم إذا تضمد به مع الخل ودهن الورد والسذاب ، نفع من الورم العارض من الطِّحال . وقوة دهن زهرة الكرم قابضة شبيهة بقوة دهن الورد ، لكنه لا يطلق البطن .

قال العلماء : لفظة الكرمة كانت العرب تطلقها على شجر العنب نفسه ، وعلى الخمر المتخذ منه . ونهى النبيّ صلى الله عليه وسلم عن تسمية العنب وشجره بالكرم، لئلا يهيج ذِكرُها ميلَ نفوسهم إليها . قال صلى الله عليه وسلم : «لا يقولَنّ أحَدُكُمُ الكَرْم ، الكَرْمُ الرَّجلُ المُسْلِم ». وفى رواية : « لأنَّ الكَرْمَ قَلْبُ المؤمِن » . وفى أخرى : « لا تقولُوا الكَرْمَ ، وَلَكِنْ قولُوا العِنَبَ وَالحَبَلَة » رواه مسلم .

قال العلماء : الكرم مشتق من الكَرَم، بفتح الراء . وأصل الكَرَم : كثرة

الخير ، فسمى قلب المؤمن كرْما ، لما فيه من الخير والإيمان والنور والهدى والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم ، وكذلك الرجل المسلم ، والله أعلم .

﴿ كَرَفس ﴾ الكرفس : معروف ، وأنواعه كثيرة ، كلها حارة يابسة ، مفتحة لسُدَد الكبد والطحال ، وورقه رطبا ينفع المعدة والكبد الباردة ، ويُدرّ البول والطّمث ، ويفتت الحصاة ، وحَبّهُ أقوى فى ذلك .

قال الرازى : إنه حار رطب ، يفتح السُّدَد ، ويهيج الباه ، وينفع من البَخَر[1] . وينبغى أن يجتنب أكله إذا خيف من لدغ العقارب .

قال ابن سينا : البستانى منه يطيب النَّكْهة جدا . وقيل : إذا عُلّق أصله فى الرقبة ، نفع من وجع الأسنان . ويؤيد ذلك ما رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَكَلَ الكَرَفسَ ، ثمَّ نَامَ عليهِ ، نَامَ وَنكْهَتهُ طَيِّبَةٌ ، وَيَنَامُ آمِناً مِنْ وَجَعِ الأَسْنَانِ وَالأَضْرَاسِ[2] »

﴿ كُرّاث ﴾ الكراث : نوعان : نَبَطِى وشامى . فالنبطى منه : هو المعروف بكراث المائدة ، والشامى : هو الذى له رءوس .

قال ابن ماسة : الكراث : حار يابس ، يصدّع الرأس إذا أكل . وخاصّة أكل أصله ينفع من وجع القولنج . وإذا طبخ وأكل أو شرب ماؤه نفع من البواسير الباردة . قال ابن ماسَويه : إن سحق بذرُ الكراث وعجن بقطران وبُخّرت به الأضراس التى فيها الديدان ، نثرها وأخرجها ، وسكّن الوجع العارض فيها . قال ماسرجويه : إذا دُخنت المقعدة ببذر الكراث ، جفف البواسير .

---

(١) البخر : نتن رائحة الفم . (٢) زاد المعاد .

قلت : هذه الأفعال مخصوصة بالكراث النبطى إذا أكل ، وفيه مع ذلك إفساد للأسنان واللثة ، ويصدع ، ويؤدى أخلاطا رديئة ، ويظلم البصر ، ويُنتن النكهة ، وينفع من البواسير أكلا . وبيذره يتبخر . ويؤيد ذلك ما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَكَلَ الكُرَّاثَ ثُمَّ نَامَ عَلَيْهِ نَامَ آمِنًا مِنْ رِيحِ البَوَاسِيرِ ، وَاعْتَزَلَهُ المَلَكُ لِنَتْنِ نَكْهَتِهِ حَتَّى يُصْبِحَ » رواه صاحب كتاب « وسيلة المتعبدين » .

حرف اللام

﴿ لحم ﴾ قال الله تعالى : (وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

وعن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيْرُ الإِدَامِ فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ : اللَّحْمُ [1] » . وعن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَيِّدُ طَعَامِ أَهْلِ الدُّنيَا وَأَهْلِ الجَنَّةِ اللَّحْمُ » . أخرجه ابن ماجه وغيره .

﴿ القول فى لحم الضأن ﴾ : لحم الضأن حار فى الثانية ، رطب فى الأولى ، جيده الحولىّ ، مولد للدم المحمود المقوّى لمن جاد هضمه ، يصلح لأصحاب الأمزجة الباردة ، والرياضات التامة ، فى المواضع والفصول الباردة ، نافع لأصحاب المرة السوداء ، ويقوى الحفظ والذهن . ولحم الهرم والعجيف ردىء ، وكذلك النعاج ، وأجود اللحم الذكر الأسود منه ، فإنه أخف وألذ وأنفع . والدليل على ذلك ما رُوى فى الأثر

---

(١) زاد المعاد ، حديث بريدة يرفعه .

أنه قيل : الكبش العربيّ الأسود ، فيه شفاء من عرق النَّسا ، يؤكل من لحمه ويُحسَى من مرقه .

واعلم أن الخصيّ أفضل ، والأحمر من الحيوان السمين : أخفّ وأجود غذاء . والجَذَع أقل تغذية ، ويطفو فى المعدة ، وأفضل اللحم وأمْرَؤُهُ عائذه بالعظم ، والأيمن أخف وأفضل من الأيسر ، والمقدَّم أفضل من المؤخر ؛ والدليل على ذلك ما روى عن الأوزاعيّ ، عن واصل ، عن مجاهد ، قال : « كان أحب الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها » .

•

القول فى ذكر بعض أعضاء الحيوان

كل ما علا من الحيوان خلا الرأس ، كان أخف وأجود مما سفل منه .

رُوى عن الفرزدق أنه أعطى رجلا درهمين ليشترى له لحما ، فقال : خذ المقدَّم ، وإياك والرأسَ والبطنَ ، فإن الداء فيهما .

﴿لحم العنق﴾ جيد لذيذ سريع الانهضام . رُوى عن عبد الرحمن بن الأعرج ، عن ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب : « أنها ذبحت فى بيتها شاة ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنْ أطْعِمِينَا من شَاتِكُم ، فقالت للرسول : ما بقى عندنا إلا الرقبة ، وإنى لأستحى أن أرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع الرسول فأخبره ، فقال له : قُلْ لَهَا أرْسِلِي بِهَا ، فإنَّها هَادِيَةُ الشَّاةِ ، وَأقْرَبُ الشَّاةِ إلى الخَيْرِ ، وَأبْعَدُهَا عَنِ الأدْوَاءِ » . رواه أبو عُبَيد فى غريبه وغيره .

﴿لحم الذراع﴾ : جيد خفيف . رُوى عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة : « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الذراعان والكتف » . وعن أبى زُرْعة

عن عمرو بن جرير ، عن أبى هريرة ، قال: « أُتِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم ، فدُفِع إليه الذراع ، وكان يعجبه » . أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ لحم الظهر ﴾ : كثير الغذاء يولد دما محمودا. رُوى عن محمد بن عبد الرحمن: شيخ من بنى فهم ، أنه سمع عبد الله بن جعفر يحدث ابن الزبير ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أطيَبُ اللّحم لحمُ الظَّهْر » . رواه ابن ماجه .

القول فى لحم المعز

هو قليل الحرارة يابس ، والِخلط المتولد منه ليس بفاضل ، وربما كان باردا ليس بجيد الهضم، ولا محمود الغذاء . ولحم التيس ردىء مطلقا ، شديد اليبس، عسر الانهضام ، مولّد للخِلْط السوداوىّ .

قال عثمان البقرىّ : قال لى فاضل من الأطباء : إيَّاك ولحمَ المعز ، فإنه يورث الغم ، ويحرّك السوداء ، ويورث النسيان، ويفسد الدم . وهو والله يختِل الأولاد

أقول : وإن كان مذموما فليس مطلقا ، لكن المسنُّ منه ، لاسيما للمشايخ والباردى المزاج ، ولمن لم يعتد . وجالينوس جعل الحولىّ منه من الأغذية المعتدلة المولدة للكيموس المحمود . ولحم الإناث منه أنفع من الذكور . وقد رُوى فيه حديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أنه قال: « أحْسِنُوا إلى المَاعِزِ ، وَأَمِيطُوا عَنْهَا الأذَى ، فإنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الجَنَّةِ » . رواه النسائىّ .

﴿ لحم الجدْى ﴾ : قريب إلى الاعتدال، خاصة ما دام رضيعا، ولم يكن قريب عهد بالولادة ، وهو أنعم لحما ، وأسرع هضما ، وأكثر تغذية ، لما فيه من قوة اللبن،

مليّنٌ للبطن ، موافق لأكثر الناس فى أكثر الأحوال . والدم المتولد منه معتدل فى الرقة والغلظ ، والحرارة والبرودة . ولحم الجدى ألطف وأحمد من لحم الجمل .

﴿ لحم البقر ﴾ باردٌ يابس عسر الانهضام، بطىء الانحدار، يولد ماء سوداويا، لايصلح إلا لأصحاب الكدّ والتعب الشديد . وهو يورث الأمراض السوداوية ، كالبهق ، والجرب ، والقوباء ، والجذام ، وداء الفيل، والسرطان ، والوسواس ، وحمى الربع ، والدوالى ، وكثير من الأمراض .

والدليل على ذلك : ماروى عن عبد الحميد بن صَيْفِىّ بن صُهيب[1] ، عن أبيه، عن جده صهيب، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ البَقَرِ فإنّهَا شِفَاءٌ ، وَسَمْنُهَا دَوَاءٌ ، وَلَحْمُهَا داءٌ[2] » . وإصلاحه بالفلفل والثوم ، والدارصينى والزنجبيل ونحوه . ولحم الذكر منه أقلّ بردا ، ولحم الأنثى أقلّ يبسا ، ولحم العجل أحدُّهما ، وهو مائل إلى الحرارة والرطوبة ، قريب من الاعتدال فإذا انهضم جيّدا غذّى غذاء كثيرا ، وولّد لحما قويًّا .

﴿لحم الفرس﴾ : حار يابس غليظ سوداوىّ مضرّ، ولا يصلح للأبدان اللطيفة . وفى جواز أكله بين العلماء خلاف ، فمن أجاز منهم استدلّ بما رُوى عن جابر ابن عبد الله : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحُمُر الأهلية ، وأذِن فى لحوم الخيل » . أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ لحم الجمل ﴾ حار يابس مولد للسوداء الغليظة ، عسر الانهضام ، غير محمود الغذاء ، والأصفر منه أقلّ ضررا من المُسِنّ .

---

(١) عبد الحميد بن صيفى بن صهيب ، عن أبيه عن جده . وعنه هشيم . وهو ابن زياد . «الخلاصة» .   (٢) الفتح الكبير .

قال ابن سينا : وأردأ اللحوم : لحم الخيل والجمال ، والحمر الأهلية . ولحم الجمل فيه من الزُّهومة[١] ما ليس فى غيره من أكثر اللحوم . والدليل على ذلك ما رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أكَلَ لَحْمَ الجَزُرِ فليَتَوَضَّأْ[٢] » . وقيل هو على ظاهره .

القول فى لحوم ذوات الأربع من الوحش

عن أبى ثعلبة رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكلِ كلِّ ذى نابٍ من السِّباع » . رواه النسائىّ وغيره .

﴿لحم الغزال﴾ : أصلح الصيد وأحمده لحما ، وهو حار يابس ، وقيل معتدل جدًّا ، نافع للأبدان المعتدلة الصحيحة ، وجيده الخِشف .

﴿لحم الظبى﴾ : حار يابس فى الأولى ، مجفف للبدن ، صالح للأبدان الرطبة .

قال ابن سينا : وأفضل لحوم الوحش لحم الظبى ، مع ميله إلى السوداوية .

﴿لحم الأرنب﴾ : حار يابس ، يعقِل الطبع ، ويدرّ البول ، ويولد دما رديئا ، ويفتت الحصاة . وأكل رءوس الأرانب كلما أمكن أكله ، ينفع من الرّعشة . وأطيب ما فى الأرنب وركها . رُوى عن هشام بن زيد[٣] ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : « أنفَجنا أرنبا بمر الظهران ، فسعوا فى طلبها ، فأخذوها ، فبعث

---

(١) يقال : زهم من باب طرب ، والزهومة هى السمنة .

(٢) الجامع الصغير . الحديث : (من أكل لحماً فليتوضأ) . لأحمد فى مسنده عن سهل ابن الحنظلية . (٣) هشام بن زيد بن أنس الأنصارى ، عن جده ، وعنه شعبة ، وثقه ابن معين . « الخلاصة » .

أبو طلحة رضى الله عنه بوركها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبله » ، أخرجاه في الصحيحين .

وأحمد ما يؤكل من الأرنب ما كان مشويا . ورُوى عنه صلى الله عليه وسلم « أنه لم يأكلها ولم ينه عن أكلها ، ويزعم أنها تحيض » . رواه أبو داود .

﴿ لحم حمار الوحش ﴾ حار يابس ، كثير التغذية ، يولد دما غليظا سوداويا ، إلا أنه نافع مع دهن القُسْط لوجع الظهر والكُلَى من الريح الغليظة ، وشحمه جيِّد للكَلَف طلاء ، ولا خلاف في جواز أكله ، بما روى عن جابر ، قال : « أكلنا زمن خيبر لحم الخيل وحمر الوحش » . رواه ابن ماجه .

وعن أبي قتادة رضى الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منا المحرم وغير المحرم ، فلما كنا بالصِّفاح ، جئت فإذا هم يتراءون ، قلت : أي شيء تنظرون ؟ فلم يخبروني ، فنظرت فإذا حمار وحش ، فأسرجت فرسي وركبته ، وأخذت الرمح ، فذهبت ، فأتيته من خلف أكمة ، فطعنته ، ثم جئت به إليهم ، وقلت لهم : كلوا . قال بعضهم : كلوه ، وقال بعضهم : لا تأكلوه . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم بين أيدينا ، فأتيته ، فسألته عنه ، فأمرهم بأكله » . أخرجاه في الصحيحين .

فصـــــل

في ذكر فضيلة اللحم مطلقا ، وما ورد فيه من الأخبار والآثار

عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْطَعُوا اللَّحْمَ بِالسِّكِّينِ ، فإِنَّهُ مِنْ صُنْعِ الأَعاجِم ، وَانْهَشُوهُ نَهْشًا ، فإِنَّهُ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ » .

رواه أبو داود . وعن سُفيان الثورى[1] عن أبى الزناد ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم: أنه قال : « لِلقَلبِ فَرْحَةٌ عِندَ أكلِ اللَّحْم » . وعن سفيان الثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: « كلوا اللحم، فإنه ينبت اللحم، و إنه جِلاء للبصر، من تركه أربعين يوما ساء خُلُقُه» . وعن نافع قال : كان ابن عمر رضى الله عنهما يأتى عليه شهر لا يأكلُ عَرْقة لحم ، فإذا كان رمضان لم يفته اللحم ، و إذا سافر لم يفته اللحم . وروى محمد بن واسع ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : أكل اللحم يزيد فى البصر . قال الزُّهرىّ : أكل اللحم يزيد سبعين قوّة .

قال المؤلف : و يستحب ألا يدام استعماله ، فإنه يورث الأمراض الامتلائية، والحميات الحادّة . و يؤيد ذلك ما رُوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إيّاكُمْ وَاللَّحْمَ ، فإنّ لَهُ ضَرَاوَةً كضَرَاوَةِ الخَمْرِ » . وفى رواية : « إنّ لِلَّحْمِ ضَرَاوَةً كضَرَاوَةِ الخَمْرِ ، وَإنّ اللهَ يُبْغِضُ أهْلَ البَيْتِ اللَّحِمِين » رواه مالك فى الموطأ . وقال سقراط : لا تجعلوا بطُونكُم مقبرة للحيوان .

القول فى لحم الطير المأكول

قال الله تعالى: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع . وقيل هو من ثور همدان، الثورى أبو عبد الله الكوفى. أحد الأئمة الأعلام . قال العجلى: كان لا يسمع شيئاً إلا حفظه . توفى بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة . ومولده سنة سبع وسبعين . « الخلاصة » .

« إِنَّكَ لَتَنْظُرُ إِلى الطَّيْرِ فى الجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ، فيجىء إِلَيْكَ مَشْوِيًّا بَيْنَ يَدَيْكَ». رواه البزار وغيره .

أقول: إن أصناف الطير كثيرة : منها حلال، ومنها حرام، فالحلال كل طائر ليس له مخلب ، كالحمام ونحوه . والحرام ما كان له مخلب ، كالصقر والبازى . وما أكل الجيف، كالغراب الأبقع، والغراب الأسود الكبير. رُوى عن ابن عباس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن أكلِ كلّ ذى نابٍ من السباع، وعن كلّ ذى مخلبٍ من الطير» . رواه مسلم .

القول فى لحم الدَّجاج

قال ابن سينا : أفضل لحوم الطير: الدُّرَّاج والدَّجاج ، ولحم الدجاج حار رطب فى الأولى ، خفيف فى المعدة ، سريع الانهضام، جيد الخلط، وأجودها الراعى من الهندىّ ، وما لم يبض بعد ، يزيد فى الدماغ والمنىّ، ويصفى الصوت ، ويحسن اللون ، ويقوّى العقل، ويولد دما جيدًا ، إلا أنه مائل إلى الرطوبة ، وقد قيل : إن مداومة أكله يورث النِّقْرِس ، ولم يثبت ذلك . وفى الصحيحين من حديث أبى موسى رضى الله عنه : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أكل لحم الدجاج .

﴿ لحم الديوك ﴾ أسخن مزاجا وأقلّ رطوبةً ، وإذا كان عتيقا كان دواء لا غذاء ، ينفع القُولَنج والرَّبو ، والرِّياح الغليظة ، إذا طبخ بماء القرطم والقرفة والشِّبِث ، وأجود الديوك أصغرها . والخصىّ منها محمود الغذاء، سريع الانهضام .

﴿ لحم الفراريج ﴾ سريع الانهضام ، مليّنٌ للطبيعة ، والدم المتولد منه جيدٌ لطيف

﴿لحم الدُّرّاج﴾ حار يابس فى الثانية ، خفيف لطيف ، سريع الانهضام ، مولِّد الدم المعتدل ، إذا أكثر من أكله أحدَّ البصر . ولحم الطَّيْهوج ، والحَجَل ، يولد الدم الصالح ، سريع الانهضام ، معتدل بين الحرارة والبرودة .

﴿لحم الاوز﴾ : حار يابس ، ردىء الغذاء ، وليس بكثير الفضول .

﴿لحم البط﴾ حار رطب كثير الفضول ، عسر الانهضام ، غير موافق للمعدة .

﴿لحم الكُرْكىّ﴾ يابس خفيف ، وفى حرِّه وبرده خلاف ، يولِّد دما سوداويًّا ، يصلح لأصحاب الكد والتعب ، وينبغى أن يترك بعد ذبحه يوما أو يومين ثم يؤكل .

﴿لحم الُحبارَى﴾ حار يابس عسر الانهضام، غليظ الخِلْط ، ينفع لأصحاب الرياضة والكدِّ والتعب . رُوى عن أبى فُدَيك قال : حدثنى تَوْبة بن عمر ابن سفينة ، عن أبيه ، عن جده، قال : أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم الُحبارَى .

﴿لحم العصافير والقنابر﴾ حارة يابسة عاقلة للطبيعة ، تزيد فى الباه ، وأمراقها تليِّن وتنفع المفاصل وإذا أكلت أدمغة العصافير بالزنجبيل والبصل،هيَّجت شهوة الجماع ، وخِلْطها غير محمود ، ولا ينبغى أن يقتل عصفور فما فوقه إلا بحقه ، لمنفعة دوائية أو غذائية .

والدليل على ذلك : ما رُوى عن عبد الله بن عمر ، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عَصْفُورًا فَمَا فَوْقَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ ، إلا سَأَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ . قيل : يا رسول الله : ما حقه ؟ قال : تَذْبَحُهُ فَتأْكُلُه ، وَلا تَقْطَعُ

رَأْسَهُ وَتَرْمِي بِهِ» . رواه النسائي . وعن عمرو بن الشريد ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً ، عَجَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ إِنَّ فُلَاناً قَتَلَنِي عَبَثاً ، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ» . رواه النسائي أيضا .

﴿لحم الحمام﴾ حار رطب ، الوحشي منه أقل رطوبة ، والفراخ أرطب ، وخاصة ما رُبِّي منه في البيوت . والناهض أخف لحما ، وأحمد غذاء . وفي اتخاذ الحمام منافع : منها الانس ، والاستفراخ ، وغير ذلك .

رُوي عن عُبادة بن الصامت : «أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى إليه الوحدة . فقال : اتَّخِذْ زَوْجاً مِنْ حَمَامٍ» . والحمام أكثر الطير ألفة لأماكنها ، وأكثرها اجتماعا فيه . ولذلك يغشاه الصيادون ليلا ، فيأخذونه بِرُمَّته ، وهو مكروه . لما رُوي عن فاطمة بنت الحسين بن علي ، عن أبيها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تَطْرُقُوا الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا ، فَإِنَّ اللَّيْلَ أَمَانٌ لَهَا» . رواه أبو عبيدة في غريبه .

﴿لحم الوِرْشان والفواخت والشِّفانين﴾ حارة يابسة ، والوِرْشان : صلب عسر الانهضام

القول في الجراد

الجراد من أصناف الطير الذي يجوز أكله . وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الجَرَادُ نَثْرَةُ حُوتٍ فِي البَحْرِ»[1] . وهو حار يابس

(١) الفتح الكبير ، عن أنس وجابر معا .

قليل الغذاء ، وإدامة أكله تورث الهزال ، لكنه نافع إذا بُخِّرَ به من تقطير البول وعسره ، وخصوصا فى النساء ، ويبخر به للبواسير . والسّمان التى لا أجنحة لها تُشوَى وتؤكل للسع العقرب ، وهو ضارّ لأصحاب الصَّرْع والمستعدين له ، ردىء الخلط ، ولا خلاف بين الأئمة فى جواز أكل الجراد .

رُوِى عن أبى يعقوب ، قال : أتينا عبد الله بن أبى أوفى نسأله عن الجراد . فقال : «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد» . أخرجاه فى الصحيحين وحرّم مالك منه مامات حتف أنفه ، أو فى وعاء . وأحلّه الباقون .

رُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ : فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ ، وَأَمَّا الدَّمان فالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ[1] »

﴿ لَبَن ﴾ قال الله تعالى : (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعَاماً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَارْزُقْنَا خَيْراً مِنْهُ . وَمَنْ سَقَاهُ اللهُ لَبَناً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا مِنْهُ ، فإنّى لا أَعْلَمُ مَا يَجْزِى مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلاَّ اللَّبن » . رواه أبو داود والترمذىّ ، وابن ماجه ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

أقول : اللبن وإن كان بسيطا عند الحسّ ، فإنه مركب فى أصل الخلقة تركيبا طبيعيا من جواهر ثلاثة : وهى الجبنية والسّمنية والمائية . فالجبنية باردة رطبة مغذية للبدن غذاء غليظا ، والسّمنية معتدلة فى الحرارة والرطوبة ، ملائمة للبدن الإنسانىّ الصحيح ، كثيرة المنافع . والمائية وهى حارة رطبة ملطفة للطبيعة مرطبة للبدن .

---

(١) الفتح الكبير . عن ابن عمر .

واللبن على الإطلاق أبرد وأرطب قليلا من المعتدل . وقيل : قوته عند حلبه الحرارة والرطوبة ، وقيل : معتدل فى الحرارة والبرودة . وأجود ما يكون اللبن حين يحلب وهو حار ، ثم لا تزال تنقص جودته على مر الساعات ، فيكون حين يحلب أقل برودة وأكثر رطوبة ، والحامض بالعكس . ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يوما ، وأجوده ما اشتد بياضه ، وطاب ريحه ، ولذ طعمه ، وكان فيه حلاوة يسيرة ، ودسومة معتدلة ، وكان معتدل القوام فى الرقة والغلظة ، وقد حلب من حيوان فتى صحيح ، معتدل اللحم ، محمود الرعى والمورد . واللبن المحمود يولد دما جيدا ، ويرطب البدن اليابس ، ويغذو غذاء حسنا ، ويقوى البدن ، وينفع من الوسواس والغم والأمراض السوداوية . وإذا شرب مع العسل نقى القروح الباطنة من الأخلاط العفنة . وإذا شرب بالسكر حسن اللون جدا ، والحليب يتدارك ضرر الجماع ، ويوافق الصدر والرئة ، جيد لأصحاب السل ، ردىء للرأس والمعدة والكبد والطحال . والإكثار منه مضر بالأسنان واللثة ، ولذلك ينبغى أن يتمضمض بعده بماء العسل أو بالماء .

فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : «أنه شرب لبنا، ثم دعا بماء فتمضمض، وقال : إن له دسما » . أخرجاه فى الصحيحين ، عن ابن عباس رضى الله عنه .

واللبن ردىء للمحمومين؛ ولأصحاب الصداع ، مؤذ للدماغ والرأس الضعيف ، ويحدث ظلمة البصر والغشاوة إذا أديم عليه، ويورث وجع المفاصل، وسدد الكبد، والحجارة فى الكلى ، والنفخ فى المعدة والأحشاء ، وإصلاحه بالعسل والزنجبيل المربى ونحوه .

﴿ لبن الضأن ﴾ أغلظ الألبان وأرطبها ، وفيه من الزهومة والدسومة ما ليس

فى لبن الماعز ، ولا فى لبن البقر . يولد فضولا بلغمية ، ويحدث فى الجلد بياضا إذا أدمن استعماله . ولذلك ينبغى أن يشاب هذا اللبن بالماء، ليكون ما ينال منه البدن أقل ، وتسكينه العطش أسرع ، وتبريده للبدن أكثر ، ويجوز إشابة ذلك بالماء إذا لم يكن للبيع، ويستعمل بعده ما يصلحه .

والسنة لمن شرب لبنا مع جماعة ، أن يقدم بعده من يكون على يمينه ، فاضلا كان أو مفضولا . فقد رُوى عن أنس : «أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أُتِىَ بلبن قد شيب بماء ، وعن يمينه أعرابىّ ، وعن شماله أبو بكر رضى الله عنه ، فشرب ، ثم أعطى للأعرابىّ ، وقال : الأيمنُ فالأيمنُ(١) » . متفق عليه . قال الشاعر :

صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا(٢)

﴿ لبن المعز ﴾ لطيف معتدل يطلق البطن ، ويرطب البدن اليابس ، وينفع من قروح الحلق والسعال اليابس ، والسُّلّ ، ونفث الدم . واللبن المطلق أنفع المشروبات للبدن الإنسانىّ ، لما اجتمع فيه من التغذية والتروية ، والاعتياد له من حال الطفولية . رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «أُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرِى به ، بقدحين من خمر ولبن ، فنظر إليهما ، ثم أخذ اللبن . فقال جبريل : الحمدُ للهِ الذى هداكَ للفِطْرة ، لو أخذت الخمر غوتْ أمّتك » . أخرجاه فى الصحيحين .

واللبن الحامض بطىء الاستمراء ، خام الخلط ، ولكن المعدة الحارة تهضمه ، وتنتفع به .

---

(١) الفتح الكبير . (٢) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم اليشكرى . ويروى صبنت ، أى صرفت ، فى مكان : صددت .

﴿ لبن البقر ﴾ بين لبن الضأن و بين لبن المعز فى الرقة والغلظ والدسم . وهو يغذو البدن ويخصبه ، ويطلق البطن باعتدال ، فيكون حينئذ من أعدل الألبان وأفضلها . والدليل على ذلك : ما رُوى عن طارق بن شهاب[1] ، عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَدَاوَوْا بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ ، فإنى أَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللهُ فِيهَا شِفَاءً ، فإِنَّهَا تَأْكُلُ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ[2] » . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ ، فإِنَّهَا تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ ، وَهُوَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ داء[3] »

وعن صُهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ ، فإِنَّهَا شِفَاءٌ ، وَسَمْنُهَا دَوَاءٌ ، وَلَحْمُهَا دَاءٌ[4] » . وقد تقدم ذكر الحديث .

﴿ لبن الإبل ﴾ أرق الألبان ، وأقلها دسما ، وأكثرها إطلاقا للبطن ، تغذو البدن غذاء صالحا ، ولا يتجبّن فى المعدة ، وقد ينفع لأصحاب الذّرَب[5] التابع لضعف الكبد ، وسوء الطبيعة ، بما فيه من تقوية الكبد ، وتفتيح السُّدَد .

والدليل على ذلك : ما رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ فى أَبْوَالِ الإبلِ وَأَلْبَانِهَا شِفَاءً لِلذَّرِبَةِ بُطُونُهُمْ[6] » . وفى هذا اللبن من الخاصية أن الفأر لا يشرب به .

---

(١) طارق بن شهاب الأحمسى ، كوفى مخضرم ، مات سنة اثنتين وثمانين . « الخلاصة »

(٢، ٣، ٤) الفتح الكبير .

(٥) الذرب : هو الإسهال .

(٦) رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن ابن عباس .

رُوِى عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَلَا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ ، وَلَا أُرَاهَا إِلَّا الفَأْرَ ، أَلَا تَرَاهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا لَبَنُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا لَبَنُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ » أخرجاه فى الصحيحين .

﴿لُبان﴾ بالعربية : هو الكُنْدُر بالفارسية ، وقد تقدم الكلام فيه، وما رُوى من الحديث النبوىّ ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، فى حرف الكاف ، فيعلم من هناك .

حرف الميم

﴿ ماء ﴾ قال الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُ الشَّرَابِ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ المَاءُ[1] » .

أقول : الماء بارد رطب يقمع الحرارة ، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية ، ويردّ عليه ما تحلل منها ، ويرقق الغذاء ، وينفذه فى العروق ، وهو وإن كان لا يغذو البدن ، فإنه لا يتمّ أمرُ الغذاء إلا به . وأفضل مياه الأرض مياه العيون الحرّة الجارية نحو المشرق ، المكشوفة للشمس والرياح ، ثم ما يتوجه نحو الشمال والطينية التى تمر على طين حرّ: أفضل من الحجرية ، فإن الطين ينقّى الماء ويصفيه. والحجارة لا تفعل ذلك ، والذى ينحدر من مكان عال مع سائر الفضائل أفضل .

---

(١) الفتح الكبير . رواه أبو نعيم فى الطب ، عن بريدة .

وتعتبر جودةُ الماء من طرق خمسة : (الأول) من لونه : بأن يكون صادق الإشفاف (الثانى) من رائحته : بألّا تكون له رائحة البتة . (الثالث) من طعمه ، بألا يكون له طعم ، أو يكون عذب الطعم كماء النيل . (الرابع) بأن يكون وزنه خفيفا رقيق القَوام . (الخامس) بأن يكون بعيد المنبع ، كماء النيل .

قال ابن سينا : وقوم يُفرِطون فى مدح ماء النيل ، ومحامده فى أربع : بعد منبعه ، وطيب مسالكه ، وأخذه إلى الشمال عن الجنوب ، ومُلطف لما يجرى فيه من المياه . وأما عمورته فيشاركه فيها غيره . فيكون حينئذٍ أفضل المياه ما أخذ من نهر كبير سريع الجرى ، نحو المشرق والشمال ، بعيد المنبع كماء النيل والفرات ونحوها ، فإنهما من ألطف المياه وأشرفها .

رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَيْحَانُ ، وَجَيْحَانُ ، وَالنِّيلُ ، وَالفُرَاتُ : مِنْ أَنهارِ الجَنَّة » . أخرجاه فى الصحيحين .

وتعتبر خِفةُ الماء من وجوه ثلاثة : (الأول) سرعة قبوله الحرّ والبرد .

قال أبقراطِ : الماء الذى يسخُن سريعا ويبرد سريعا ، هو أخف المياه (الثانى) بالمكيال . (الثالث) أن تُبلّ قطنتان متساويتا الوزن بماءين مختلفين ، ثم تجففان تجفيفا بالغا ، ثم توزنان ، فالماء الذى قطنته أخف هو الأفضل .

والماء الردىء يفسد الأغذية وإن كانت جيّدة محمودة . والماء وإن كان باردا رطبا ، فإن قوّته تنتقل وتتغير ، لأسباب توجب انتقالها ، فإن الماء المكشوف للشمال ؛ المستور عن الجهات الأخَر ، يكون باردا يابسا ، على طبيعة ريح الشمال ، وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخَر . والماء الذى ينبع من المعادن ، يكون على طبيعة

ذلك الجوهر المعدنى ، و يؤثر فى البدن تأثيره . والماء المذب ينفع الأصحاء والمرضى ، والبارد منه أنفع وألذّ من غيره ، ولاينبغى أن يشرب على الريق ، وأما على الطعام إذا اضطر إليه ، فإنه يقوّى المعدة ، وينهض الشهوة ، ويكفى قليله فى إزالة العطش .

فقد رُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد ». والماء الفاتر ينفخ و يفعل ضد ما ذكرناه. و إذا برد وبات ، فإنه أجود من المستقى لوقته ، لتمييزه عنه ، بما يخالط من الأجزاء الحجرية أو الترابية . والبائت مع ذلك يستفيد بردا .

فقد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعذب الماء ، و يختارُ البائتَ منه » . رُوى عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها: «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يُستَقى له الماء العذب من بئر السُّقيا » . وعن جابر ابن عبد الله « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قوما من الأنصار فاستسقى ، وجدولٌ قريب منه ، فقال: إنْ كانَ عِندَكُم مَاءٌ قَدْ بَاتَ فى شَنٍّ وَإلاَّ كَرَعْنَا» انفرد باخراجه البخارى. وعن عبدالله بن عمر قال : «نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب على بطوننا وهو الكَرْع ، ونهانا أن نغترف باليد الواحدة ، وقال: لا يَلَغُ أحَدُكُم كما يَلَغُ الكَلْبُ ، وَلا يشْرَبْ بِاللَّيْلِ مِنْ إناء حتّى يُخَمِّرَهُ ، إلاّ أنْ يكُونَ إنَاءً مُخَمَّرًا » .

وينبغى تخمير الإناء ليلا لئلا يقع فيه ، أو ينزل به ما يضرّ الإنسان

فقد رُوى عن جابر بن عبد الله قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « غَطُّوا الإنَاءَ ، وَأوْكُوا السِّقَاءَ ، فإنَّ فى السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ

لا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ ، أَوْ سِقَاءٌ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاء ، إِلاَّ وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّاء » . رواه مسلم .

قال الليث : فالأعاجم عندنا يتّقُون تلك الليلة فى السنة، فى كانون الأول منها .

والماء البارد ينفع من داخل أكثر من نفعه من خارج ، والحار بالعكس . والبارد ينفع مع ماذكرناه، أنه يمنع من عفونة الدم، وصعود الأبخرة إلى الرأس، وقد يدفع العفونات ، ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان ، والمواضع الحارة ، ويضرّ كل حالة تحتاج إلى نضج وتحليل ، كالزكام والأورام . والشديد البرودة منه يؤذى الأسنان ، والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات ، وأوجاع الصدر . والبارد منه والحار بإفراط ضاران بالعصب ولأكثر الأعضاء، لأن أحدهما محلّل، والآخر منشّف . والماء الحار يسكّن لذع الأخلاط، والحدة والوجع، ويغسل ويحلّل ويُنضج الفضول ، ويرطب ويسخن .

ومن مضاره أنه يفسد الهضم إذا شرب ، ويطفو بالطعام إلى أعالى المعدة ويرخيها ، ولا يسرع فى تسكين العطش ، ويُذبل البدن ، ويؤدى إلى أمراض رديئة ، ويضرّ فى أكثر الأمراض ، على أنه صالح للشيوخ وأصحاب الصرع والصداع البارد والرمد ، وأنفع ما استعمل من خارج ، فإن سُخِّنَ بالشمس خيف منه البرص .

رُوى عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «سخَّنْتُ ماءً فى الشمس لأتوضأ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاتفعَلِي ، هذا يُورِثُ البَرَصَ » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنِ اغْتَسَلَ بماء مُشَمَّسٍ فأَصَابَهُ وَضَحٌ ، فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نفسَهُ » .

قال بعض العلماء : هذا الحديث لم يصح ، غير أنه لابد أن يتوقى .

القول فى ماء المطر

ماء المطر من أجود المياه وألطفها، موافق لأكثر الأبدان ، مرطب لها أكثر من سائر المياه ، نافع لأكثر المرضى ، لرقته وخفته و بركته . قال الله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً) . ورُوى عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَّمَنِي دَوَاءً يَشْفِي مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وقال : نسختُهُ من اللوح المحفوظ: تأخذ من ماء المطر مما لم يمس سقفا فى إناء نظيف، وتقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرة ، وآية الكرسى مثله ، وسورة الإخلاص مثله ، وقل أعوذُ برب الفلق مثله ، وقل أعوذ برب الناس مثله ، ولا إله إلا الله وحدهُ لاشريكَ له ، لهُ الملكُ ولهُ الحمد ، يُحيي ويُميت، وَهُوَحيٌّ لايموت، بيَدِهِ الخيرُ ، وهوَ على كلِّ شىْءٍ قدير . ثم يصوم سبعة أيام ، و يفطر كل ليلة بذلك الماء »

وأفضله : ما كان شَتَوِيًّا ، لضعف حرارة الشمس حينئذ ، فلا يتحير من ماء البحر وغيره ، إلا الألطف فالألطف ، ولصفاء الجو وخلوه من الأبخرة الدخانية والغبار . وقيل : أجودهُ ما كان صافيا ، ومن سحابٍ راعد .

وأفضل المياه من ماء السماء: المطر الذى وقع منه على الجبل، واجتمع فى نقرة ، يليه ماوقع على سطحٍ عُمل بالطين الحر أو ما يجرى مجراه . وماء المطر أرطب من سائر المياه ، لأنه لم تطل مدّته على الأرض فيكتسب من يبوستها ، ولم يختلط به أيضا جوهر يابس ، ولذلك يتغير و ينتن سريعا . و إصلاحه المبادرة إلى غليانه

قبل تغيره ، وأردأ المياه ما كان مجراها تحت الأرض مغطًى ، أو كان قد نبت فيه العشبُ فستره .

القول فى الثَّلْج والجَمَد(١)

الجَمَد إذا كان من ماء محمود، فسواء أذيب فى الماء، أو برِّد الماء فيه من خارج فهو جيِّد . وإن كان من ماء مذموم، فليس ينبغى أن يذاب فى الماء، بل يبرَّد الماء به من خارج . والثلج له فى نفسه كيفية حارة خافية ، فماؤه غير محمود . ثم إن كان وقوعُه على جبال فيها معادن ، أو على أرض فيها نبات لها كيفيات رديئة كان رديئا .

القول فى ماء الآبار والقِنِىّ

مياه الآبار قليلة اللطافة ، والمعطَّل منها ردىء . وأفضل مياه الآبار وألطفها وأجودها : ماء زمزم .

رُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ(٢) ، إِنْ شَرِبْتَهُ لِتَسْتَشْفِىَ بِهِ شَفَاكَ اللهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيُشْبِعَكَ أَشْبَعَكَ اللهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِقَطْعِ ظَمَئِكَ قطعَهُ الله ، وَبِئْرُ زَمزَمَ هَزْمَةُ جِبْرِيلَ ، وَسَقْىُ(٣) إِسْمَاعِيل » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زَمْزَمُ طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ » . أخرجاه فى الصحيحين .

---

(١) الجمد : هو الجليد .

(٢) زاد المعاد . رواه ابن ماجه فى سننه ، عن جابر بن عبد الله .

(٣) هكذا الأصل ، ولعلها « سقيا » . اه مصححه .

وماء العيون والمطر رديئان بالقياس إليه ، لأن أحدهما مُحتقن لا يخلو من تعفُّنٍ ما ، والآخر مستورٌ عن الهواء والشمس ، وأردؤه ما جُعل له مسالك من رصاص .

﴿ مِسْك ﴾ المسك : سُرَّةُ دابة كالظبي ، له نابان معقفان ، كأنهما قرنان ، أجوده التُّبَّتى ، وفأره مستدير شديد الاستدارة . [وتُبَّت] بلدٌ في أقاصى خراسان ، ثم الصينى ثم الهندى . وقد تقدم ذكره وما ورد فيه من الحديث ومنافعه ، في حرف الطاء ، عند ذكر الطيب ، فيعلم من هناك إن شاء الله تعالى .

﴿ مَرْزَنْجُوش ﴾ المرزنجوش : نبات طيب الرائحة ، منسوب إلى الرياحين . وتأويله حَبَقُ الفِيل ، ويسمى العَنْقَز أيضا .

قال أبو حنيفة الدينورى : المرزنجوش والمَرْقُوش ولم يبلغنى أنه ينبت بأرض العرب ، وقد كثر ذكره فى أشعارهم . قال الأعشى (١) :

لَنَا جُلَّسَانٌ (٢) عِنْدَنَا وَبَنَفْسَجٌ وَسِيسَنْبَرٌ (٣) وَالمَرْزَجُوشُ المُنَمْنَمَا

وأنشد بعضهم للأخطل (٤) :

سَـــلِّمْ سَلِمْتَ أبَا خَالِدٍ وَحَيَّاكَ رَبُّكَ بِالعَنْقَزِ (٥)

---

(١) أعشى قيس ، وهو ميمون بن قيس من بنى ضبيعة ، وكان أعمى ويكنى أبا بصير ، وكان يفد على ملوك فارس و لذلك كثرت الفارسية فى شعره .

(٢) جلسان : من نوع الريحان جميل الرائحة .

(٣) السيسنبر : الريحانة التى يقال لها النمام .

(٤) الأخطل : هو غياث بن غوث من بنى تغلب ، ويكنى أبا مالك ، وكان يمدح بنى أمية ، ويشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبيانى . « الشعر والشعراء » .

(٥) العنقز : هو المرزنجوش فى لغة نجد ، وهو المعروف فى مصر ، (بالبردقوش) .

والمرزنجوش : حار فى الثالثة ، يابس فى الثانية ، ينفع شمُّه من الصداع البارد ، الكائن عن البلغم والسوداء ، والزكام ، والرياح الغليظة . ويفتح السُّدَد الحادثة فى الرأس والمنخرين ، ويحلل أكثر الأورام الباردة . وبالجملة ينفع من جميع الأورام والأوجاع الباردة الرطبة ، وإذا احْتُمِلَ أدرَّ الطَّمث ، وأعان على الحبَل ، وإذا دُقّ ورقه اليابس وكمد به ، أذهب آثار الدم العارضة تحت العين ، وإذا ضمد به مع الخل ، نفع لسعة العقرب ، ودهنُه نافع من وجع الظهر والركبتين ، ويَذْهب بالإعياء ، وإذا استُعط بماء الأخضر منه مع دهن اللوز المرّ ، فتح سُدَدَ المنخرين ، ونفع من الريح العارضة فيها وفى الرأس ، ومن أدمن شمّه لم ينزل فى عينيه الماء ، وينفع من الزكام

والدليل عليه : ما رُوى عن عطاء بن أبى ميمونة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بِالمَرْزَنْجُوشِ فإنهُ جَيِّدٌ لِلخُشَامِ [(١)] » وَالخُشام : داء يحدث فى الأنف وهو الزُّكام ، وعلامته أنه لا يخرج النفس من المنخرين إلا بصعوبة .

﴿ ملح ﴾ أصنافه كثيرة ، وكلها حارة يابسة ، وتختلف فى ذلك بحسب اختلافها فى طعمها ، والمذكور هنا : ملح الطعام خاصة ، وهو حار فى الثانية ، يابس فى الثالثة . خاصيته : يطيب الأطعمة ، ويحفظ اللحم من العفونة والفتن .

رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا فى النَّاسِ كالمِلْحِ فِى الطَّعَامِ ، وَلا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إلاَّ بِالمِلْحِ » . رواه البزّار .

---

(١) زاد المعاد ، وقد ذكر صاحبه بأنه لا يعلم صحة الحديث .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَيِّدُ إدَامِكُمُ المِلْحُ » . رواه ابن ماجه .

والملح يصلح أجسام الناس وأطعمتهم ، ويُصْلح كلَّ شىء يخالطه ، حتى الذهب والفضة ، وذلك أن فيه قوّة تزيد صفرة الذهب وبياض الفضة ، ويغسل الأجساد من التلف والدنس ، ويحلّل ويجلو ، ويُذهب الرطوبات الغليظة وينشّفها ، ويجمع الأبدان ويقوّيها ، ويمنع تعفُّنها وفسادها ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ به فى أوّلِ طعامه وآخره .

رُوى عن أنس رضى الله عنه : أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أكل طعاما بدأ بالملح » . وعن علىّ كرّم الله وجهه : أنه قال : « من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء » . رواه البيهقى .

وهو ينفع من القوابى والجرب المتقرح . وإذا اكتُحِلَ به قلعَ اللحم الزائد من العين ، ومحق الظَّفَرَة[1] . (والأندرانى) فى ذلك أبلغ منه ، ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار ، ويحدِّر البراز ، وإذا دلكتْ به بطون أصحاب الاستسقاء نفعهم ، وينقِّى الأسنان ، ويدفع عنها العفونة ، ويشدُّ اللِّثة ويقوِّيها ، ومنافعه كثيرة ، وبركته غزيرة .

رُوى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنَّ اللهَ أنْزَلَ أرْبَعَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماء إلى الأرْضِ : الحَدِيدَ وَالنَّارَ ، وَالماء ، وَالمِلحَ[2] ذُكِرَ فى معالم التنزيل .

---

(١) الظفرة ، بفتحتين : الجليدة التى تغشى العين — ويقال لها ظفر ، بوزن قفل ، وقد ظفرت عينه من باب طرب .

(٢) زاد المعاد . ذكره البغوى فى تفسيره مرفوعاً .

حرف النون

﴿نَبِق﴾ النبق : هو ثمر شجرة شائكة ، يتخذ من ورقها السدر ، وهو بارد يابس فى الدرجة الأولى ، ويختلف فى ذلك بحسب اختلافه فى طعمه ، ورَطْبه ، ويابُسه ، وغضّه ، ونضيجه . وهو بالجملة يعقل الطبيعة ، وينفع من الإسهال ، ويدبغ المعدة ، ويسكّن الصفراء ، ويغذو البدن ويشهّى الطعام ولذلك اختاره آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض ، ولم يأكل قبله شيئا من ثمارها .

فقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ آدَمَ لَمَّا أُهْبِطَ إلى الأرْضِ كانَ أَوَّلَ شَجَرَةٍ أَكلَ مِنْ ثِمارِهَا النَّبْقُ » رواه أبو نعيم فى الطب النبوى .

﴿نَخْل﴾ قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمُ النَّخْلَةَ ، فإِنَّها خُلِقَتْ مِنَ الطِّينِ الَّذِى خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ[1] . وَهِىَ الشَّجَرَةُ الَّتِى نَزَلَتْ تَحْتَهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ » . وقد شرّفها الله تعالى بذكره لها فى الكتاب العزيز فى عدة أماكن .

وفى جميع أجزاء هذه الشجرة قبضٌ ومنافع . وكذلك جميع ما تحمله نافع للناس ، وليس يُرْمَى منها شىء حتى النَّوى .

قال جالينوس : جميع أجزاء النخلة تقبض ، ولا سيما عصارة قضبانها .

---

(١) زاد المعاد .

وقد رويت فى فضلها أحاديث كثيرة ، منها عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بينا نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم جلوسٌ ، إذ أُتِىَ بجمار نخلة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شجرةً لها بَرَكةٌ كبَرَكةِ المُسْلِمِ » . فظننت أنه يعنى النخلة ، فأردت أن أقول هى النخلة ، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم ، فسكتُّ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هِىَ النَّخْلَةُ » . أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : وشبه النخلة بالمسلم لكثرة خيرها ودوام ظلها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يطلع ثمرُها لايزال يؤكل منه أنواعا حتى يجفّ ، ثم يؤكل جافا أنواعا كالتمر والرطب والعجوة ، وتتخذ منه منافع كثيرة ؛ ومن خشب النخلة أيضا وورقها وأغصانها ، فيستعمل جذوعا وحطبا ، وعِصيًّا ومخاصِر ، وحُصُرا وحبالا ، وأوانى وغير ذلك . ثم آخر شىء منها نواها ، يستعمل فى الأدوية والأكحال على ما يذكر فى مكانه ، وينتفع به علفا للإبل وغيرها ، ثم جمال نباتها ، وحسن هيئة ثمرها ، فهى منافع كلها وخير وجمال . كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ، ومكارم أخلاقه ، وغير ذلك من الصفات الحسنة الجميلة .

﴿نوَى﴾ نوَى التمر معروف فيه قبض وتغذية ، ينفع محرقه من القروح الخبيثة ، وقد يحرق ويطفأ ويغسل ، فيقوم فى الأكحال مقام التُّوتيا ، ويحسِّن الهدب ، وينبته مع الناردين .

وهو جيِّد لقروح العين ، وإنبات شعر الأجفان .

رُوِى عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن وفد

عبد القيس من أهل هَجَر ، قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « خَيْرُ تَمْرِكُمُ(١) البَرْنِيُّ ، يُذْهِبُ الدَّاءَ وَلا دَاءَ فيهِ(٢) » .

﴿ نَرْجِس ﴾ النرجس حار يابس فى الدرجة الثانية ، وأصله يَدْمُل القروح الغائرة إلى العصب ، وله قوّة غسالة جالبة جاذبة . وإذا طُبخ وشرب ماؤه ، أو أكل مسلوقا هيّج القىء ، ويجذب الرطوبة من قعر البدن ، وإذا خلط بالكِرْسِنَّة والعسل نقّى وسخ القروح ، وفجّر الدُّبَيلات العسرة النضج ، وزهره معتدل الحرارة لطيف ينفع الزكام البارد ، وفيه تحليل قوىّ ، ويفتح سدد الدماغ والمنخرين ، وينفع من الصداع الرطب والسوداوى ، ويصدّع الرءوس الحارة . ونوع منه إذا شُقّ بصله صليبا وغرس صار مضاعفا . ومن أدمن على شم النرجس فى الشتاء أمِنَ البرسام فى الصيف ، وينفع من أوجاع الرأس الكائنة من البلغم والمرّة السوداء ، وفيه من العطرية ما يقوّى به القلب والدماغ ، وينفع من كثير من أمراضهما .

قال ابن زُهر : شمّ النرجس يذهب بِصَرَعِ الصبيان، ويفعل شمّه ما ذكره جالينوس فى الفاوانيا . وقد رُوِي عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عليكُمْ بِشَمِّ النَّرْجِسِ ، فإنّ فى القَلْبِ حَبَّةَ الجُنُونِ والجُذَامِ وَالبَرَصِ لايقْطَعُهَا إلاّ شَمُّ النَّرْجِس(٣) » ذكره صاحب الوسيلة .

---

(١) فى ل والنسختين : نواكم . (٢) الجامع الصغير .

(٣) الطب النبوى . وقد جاء فيه أن الحديث لا يصح .

﴿ نُورَة ﴾ النُّورة تُعْمَلُ من الكلس والزِّرنيخ على هذه الصفة : كِلْس جزأين ، زرنيخ جزء ، يخلطان بالماء ويتركان فى الحمام ساعة أو فى الشمس بقدر ما ينطبخ ، وعلامة ذلك اشتداد زُرقته ، ثم يطلى به ، ويجلس ساعة ريثما يعمل ولا يمس ماء ، ثم يغسل ، ويطلى مكانه بالحناء .

فقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحِنَّا بَعْدَ النُّوْرَةِ أَمَانٌ مِنَ الْجُذَامِ » ويقطع رائحته، أن يُطْلَى بالطين والخلّ ، وماء الورد ، وورق الخوخ له فى ذلك خاصية عجيبة . رُوِى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَلَى بالنُّورة ، فلما فرغ منها قال : «يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ : عَلَيْكُمْ بِالنُّوْرَةِ ، فإنَّهَا طَيِّبَةٌ وَطَهُورٌ ، إنَّ اللهَ يُذْهِبُ بِهَا عَنْكُمْ أَوْسَاخَكُمْ وَأَشْعَارَكُمْ ». ورُوى عن أم سلمة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا طلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة وسائر جسده » رواه ابن ماجه . ورُوى عن أبى موسى الأشعرىّ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْحَمَّامَ وَصُنِعَتْ لَهُ النُّوْرَةُ : سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ[1] » .

حرف السين

﴿ سَنَا ﴾ السَّنا : ورق شجر يجاب من مكة والبادية ، وجيِّده المكِّىُّ الحديث الكبير الأوراق ، وقد تقدم الكلام فيه فى الأربعين حديثا الأولى ، فيعلم من هناك .

---

(١) سبق ورود هذا الحديث بإسناده .

﴿ سُكّ ﴾ الأصلى منه هو الصينى ، وقد يتخذ من العفص والبلح على نحو ما يعمل (الرامك) لأن الرامك أصله ، فإذا صُيِّر سُكّ خلطت فيه أفاويه ومسك ، فيقال : سك المسك ، وبحسب ما يخلط به من ذلك تكون كثرة حرارته وقلتها . والساذج منه حار فى الأولى ، يابس فى الثانية ، قابض مقوٍّ للأعضاء ، وفى المطيّب منه تفتيح وتحليل ، جيِّد لأوجاع العصب ، يزيد فى الباه ، ويعقل البطن ، وينفع من النزف ، ويقوّى المعدة والأعضاء الباطنة ، مانع للقىء الحادث من الرطوبة ، ويقطع رائحة العرق الردىء ، ويطيِّبُ رائحة البدن . ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعمله ، ويختاره على ما سواه من نوعه .

فقد رُوى عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان له سكّ يتطيَّبُ به » رواه بن أبى شيبة وغيره .

﴿ سِوَاك ﴾ أصلح ما اتخذ من خشب الأراك ونحوه ، ولا ينبغى أن يؤخذ من شجرة مجهولة ، فربما كانت سُمًّا ، وينبغى القصد فى استعماله ، فإن بولغ فيه أذهب طلاوة الأسنان وصقالها ، وهيّأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ . ومتى استعمل باعتدال جلا الأسنان وقواها ، وقوّى العمور ، وأطلق اللسان ، ومنع الحفَر ، وطيّب النكهة ونقّى الدماغ ، وشهى الطعام . وأجود ما استعمل مبلولا بماء الورد . وذكر ابنُ زهر فى كتاب التيسير ، أن أصول الجوز له هذه الخاصية ، قال : زعموا أن أصول الجوز إذا استاك به المستاك كلّ خامس من الأيام ، نقى الرأس ، وصفى الحواس ، وأحدّ الذهن . قال الشاعر :

إنَّ السِّوَاكَ يُستَحبُّ لِسُنَّةٍ ... وَلأنَّهُ مِمَّا يَطِيبُ بِهِ الفَمُ
لَمْ تَخْشَ مِنْ حَفَرٍ إذَا أدْمَنْتَهُ ... وَبِهِ يُسَالُ مِنَ اللَّهَاةِ البَلْغَمُ

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فى السِّوَاكِ عشر خصال : يطيِّبُ الفم ، ويشدُّ اللثة ، ويُذْهِبُ البلغم ، ويجلو البصر ، ويَذْهبُ بالحفر ، ويصلحُ المعدة ، ويوافقُ السُّنة ، ويفرِّحُ الملائكة ، ويرضى الربّ ، ويزيدُ فى الحسنات[(١)] » . وعن حذيفة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل شوَّصَ فاهُ بالسِّوَاك[(٢)] » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِندَ كلِّ صَلاَةٍ » أخرجاه فى الصحيحين[(٣)] » .

قال أبو عبيدة : الشَّوْص والموْص : الغسل . قال ابن الأعرابى : الشَّوْصُ : الدلك ، والموْص : الغسل . رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن السِّوَاكَ لَيَزِيدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً » رواه أبو نعيم فى الطبّ النبوى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَالِي أرَاكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلْحًا اسْتَاكُوا[(٤)] » .

قال أبو عبيد : القَلَحُ صفرة تكون فى الأسنان ، ووسخ يركبها من طول ترك السِّواك . قال الأعشى يذم قوما :

قَدْ بَنَى اللُّؤْمُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ ... وَفَشَا فِيهِمْ مَعَ اللؤْمِ القَلَحُ

---

(١) فى الجامع الصغير الحديث عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالسواك : فنعم الشيء السواك : يذهب بالحفر ، وينزع البلغم ، ويجلو البصر ، ويشد اللثة ، ويذهب بالبخر ، ويصلح المعدة ، ويزيد فى درجات الجنة ، ويحمد الملائكة ، ويرضى الرب ، ويسخط الشيطان » .

(٢) الطب النبوى .

(٣) جاء فى الجامع الصغير حديث عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت » .

(٤) كنوز الحقائق للمناوى .

رُوى عن أبى أُمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَسَوَّكُوا فإن السِّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ، وَمَا جاءَ نى جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ إلاَّ أوصَانِى بالسِّوَاكِ، حتَّى خَشِيتُ أنْ يَفرِضَهُ عَلَىَّ وَعَلَى أُمَّتِى، وَلَوْلا أَنِّى أَخَافُ أنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى لفَرَضْتُهُ لهُمْ ، وَإِنِّى لأَسْتَاكُ حتَّى لقَدْ خَشِيتُ أنْ أُحْفِىَ مَقَادِمَ فَمِى» . رواه ابن ماجه .

﴿ سَفَرْجَل ﴾ بارد يابس . ويختلف فى ذلك بحسب اختلاف طعمه ، وكله بارد قابض ، جيِّد للمعدة ، والحلو منه أقلّ بردا ويبسا ، وأميل إلى الاعتدال ، والحامض أشدّ قبضا ويبسا وبردا ، وكله قد يسكن العطش والقيء ، ويدِر البول ، ويعقُل الطبع ، وينفع من قُرحة الأمعاء ، ونَفْث الدم والهَيْضة ، وينفع من الغَشَيان ، ويمنع من تصاعد الأبخرة إذا استعمل على الشراب وغيره . وحراقة أغصانه وأوراقه المغسولة بعد ذلك ، كالتوتيا فى فعله .

والسفرجل قبل الطعام يقبض ، وبعده يليِّنُ البطن ، ويسرع فى تخفيف الثقل ، والإكثار منه مضرٌّ بالعصب ، مولِّد للقُولَنج ، يطفىء المِرة الصفراء المتولدة فى المعدة ، وإن شوى كان أقلّ لخشونته وأخف . وَصِفةُ شَيِّهِ أن يقوَّرَ ويُخرَج حبُّه ، ويجعل فيه العسل ، ويطيَّن خُرْمُه بالعجين ، ويودع فى الرماد الحار ، وأجوده ما أكل مشويًّا أو مطبوخا بالعسل ، وذلك للأصحاء .

وحبُّه مليِّن ينفع من خشونة الحلق وقصبة الرئة ، وكثير من الأمراض . ودهنُه يمنع العرق ، ويقوِّى المعدة . وإذا شُرب نفع من أكل الذراريح[1] نفعا بيِّنا .

---

(١) الذراريح ، أكبرها كالزنابير تهوى النبات الطرى ، وأكثر وجودها فى الذرة أوائل الصيف ، وأجودها ما مال إلى السواد والحمرة وكان عليها خطوط صفر عريضة . « التذكرة » .

والسفرجل المربّى : يقوّى المعدة والكبد، ويشدّ القلب ، ويطيب النفس.

رُوى عن ابن طلحة بن عبيد الله قال : «أتيتُ النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى جماعة من أصحابه و بيده سفرجلة يقلبها ، فلما جلست إليه دحا بها إلىّ، ثم قال: « دُونَكَهَا أَبَا ذَرٍّ ، فإنّهَا تَشُدُّ القَلْبَ ، وَتُطَيِّبُ النَّفْسَ ، وَتُذْهِبُ بِطَخَاءِ الصَّدْرِ [١] » . وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ طَخَاءً عَلَى قَلْبِهِ فَلْيَأْكُلِ السَّفَرْجَل » .

قال أبو عبيد : الطّخاء ثقل وغشى ، يقال : ما فى السماء طخا : أي سحاب وظلمة . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كلُوا السَّفَرْجَلَ عَلَى الرِّيقِ [٢] » . وعن طلحة عن أبيه ، عن جده قال : «دفع إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرجلة وقال : دُونَكَهَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فإنَّهَا تُجِمُّ الفُؤَادَ [٣] » . وجاء من طريق آخر عنه قال: «دخلتُ على النبى صلى الله عليه وسلم و بيده سفرجلة فقال : « دُونَكَهَا فإنَّهَا تُجِمُّ الفُؤَادَ » رواه ابن ماجه . ورُوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلُوا السَّفَرْجَلَ فإنَّهُ يُجْلِي عَنِ الفُؤَادِ ، وَيَذْهَبُ بِطَخَاءِ الصَّدْرِ [٤] ، وَما بَعَثَ اللهُ نَبيًّا إلاَّ وَأَطْعَمَهُ مِنْ سفرْجَلِ الجَنَّةِ فَتَزِيدُ فى قُوَّتِهِ قُوَّةَ أَرْبعِينَ رَجُلاً » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلُوا السَّفَرْجَلَ فإنهُ يُجِمُّ الفُؤَادَ ، وَيُشَجِّعُ القَلْبَ وَيُحَسِّنُ الوَلَدَ [٥] » .

---

(١) الطب النبوى . رواه النسائي .

(٢) الفتح الكبير ، وتمام الحديث « فإنه يذهب وغر الصدر » .

(٣) الطب النبوى . (٤) الجامع الصغير . رواه ابن السنى و أبونعيم عن جابر .

(٥) الفتح الكبير .

قال أبو بكر بن الأنبارى: قال عمر بن خلف، قال أبو عبد الرحمن بن عائشة: يجمُّ الفؤاد: معناه يريحه. قال أبو بكر وغيره: يجم الفؤاد: معناه يفتحه ويوسعه، من جَمام الماء وهو اتساعه وكثرته، ذكره صاحبُ الأمالى. قال غيره: الجَمام المستريح، ومنه قولهم: الفرس الجَمام، والله أعلم.

﴿ سمن ﴾ السَّمن: حار رطب فى الأولى، فيه جلاء يسير ولطافة، وتفشيش للأورام الحادثة فى الأبدان الناعمة، وهو أقوى من الزُّبد فى الإنضاج والإرخاء، والتليين. وذكر جالينوس أنه أبرأ به الأورام الحادثة فى الأذن، وفى الأرنبة. وإذا دُلك به موضعُ الأسنان تنبت سريعا، وإذا خُلط مع عسل ولوز مرّ، جلا ما فى الصدر والرئة من الكَيموسات الغليظة اللزجة، إلا أنه ضارّ بالمعدة، لاسيما متى كان مزاج صاحبها بلغميًّا

وأما سمن البقر والمعز، فإنه إذا شرب مع العسل نفع من شرب السّم القاتل، ومن لدغ الحيّات والعقارب. رُوى عن علىّ كرم الله وجهه أنه قال: ما يستنشق الناس بشىء أفضل من السمن، وقد تقدم الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكُم بِألبَانِ البَقَرِ، فإنَّهَا شِفَاءٌ، وَسَمْنُهَا دوَاءٌ، وَلَحْمُهَا داءٌ[1]»

﴿ سمك ﴾ السمك: أصنافه كثيرة، أجودها ما لذّ طعمه وطاب ريحه، وتوسَّط مقداره، وكان رقيق القشر، ولم يكن صلب اللحم ولا يابسه، وكان فى ماء عذب جار على حصى فى مقابلة الشمال، يغتذى النبات لا الأقذار، وأجوده الشَّبُّوطُ،

---

(١) الجامع الصغير.

ثم البُنى . وأصلح أما كنه ما كان فى نهر جيِّد الماء ، وكان يأوى الأماكن الصخرية ثم الرملية ، والمياه العذبة الجارية التى لا قذر فيها ولا حمأة ، الكثيرة الاضطراب والتموّج ، المكشوفة للشمس والرياح ، والسمك البحرى فاضل محمود لطيف ، وأفضله اللجّى ، ثم ما كان مأواه الشطوط صخرا ورملا ، والطرىّ منه باردٌ رطب عسر الانهضام ، يولِّد بلغما كثيرا إلا البحرى وما يجرى مجراه ، فإنه يولِّد خِلطا محمودا . منفعته أنه يخصب البدن ، ويزيد فى المنىّ ، ويُصلح الأمزجة الحارة . فأما المالح فخيره ما كان قريب العهد بالتمليح ، وهو حار يابس كلما تقادم عهده زاد حرّه ويبسه

ومن السمك صنفٌ يسمى الجِرِّى وهو السلور ، كثير اللزوجة والسهوكة جدًّا ، أسود أملس ليس له فصوص ولا ريش ، وله رأس طويل وفم مستطيل كالخرطوم ، واليهود لا تأكله .

قال أبو حاتم : يُروى أن أمّةً من الأمم فقدت أو مسخت ، فإن كانت من البرّ فهى الضِّباب ، وإن كانت من البحر فهى الجرّى . وغذاؤه ردىء ، إلا أنه ينفع على جهة الدواء ، وإذا أكل طريا كان مغرّيا مليِّنا للبطن . وإذا مُلِّحَ وَعُتِّقَ وأكل ، صفّى قصبة الرئة وجوّد الصوت ، وإذا دُقّ ووُضع من خارج أخرج الفضول[1] من عمق البدن من طريق أن له قوّة جاذبة ، قاله جالينوس .

وماء ملح الجرىّ إذا جلس فيه من كانت به قُرحة المعدة فى ابتداء العلة وافقه ، بجذبه المواد إلى ظاهر البدن ، وإذا احْتُقِن به أبرأ من عرق النَّسا

---

(١) الفضول : جمع فضل ، وهو المادة الزائدة التى تتولد فى الجسم بسبب ورم ونحوه .

قال المؤلف : ومن السمك البحرى ما يعظم مقداره جدا ، ويكثر ودكه فيكون غذاؤه غير محمود . وأجود ما فى السمك ما قرب من مؤخرها . رُوى عن عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : « بعثنا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة راكب ، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، وأتينا الساحل ، فأصابنا جوع شديد ، حتى أكلنا الخَبَط(١) ، فألقى لنا البحر حوتا يقال له العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر ، وانتدمنا بودَكه حتى ثابت أجسامنا . فأخذ أبو عبيدة ضِلَعا من أضلاعه وحمل رجلاً على بعيره ، ونصبه فمرّ تحته » أخرجاه فى الصحيحين . ورُوى عن عبد الله بن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أُحِلّ لَنَا مِنَ الدَّمانِ ، وَمِنَ المَيْتَةِ مَيْتَتَان : مِنَ المَيْتَةِ الحوتُ وَالجَرَادُ ، وَمِنَ الدَّمِ الكَبِدُ وَالطِّحَالُ » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البَحْرُ حَلَالٌ مَيْتته ، طَهُورٌ ماؤُهُ » . أخرجهما الدارقطنى وغيره .

حرف العين

﴿ عقيق ﴾ العقيق : أجناس كثيرة ، يؤتى به من بلاد اليمن ، ومن سواحل البحر . أحسنه ما اشتدتْ حمرتُه وصفا ، وأشرق لونُه . ومنه صنفٌ لونه على لون الماء الذى يخرج من اللحم إذا أُلقى عليه الملح ، وربما كانت فيه خطوط خفيّة . ومن لبس منه حجرا انقطع عنه نزف الدم من حيث كان . ومن أخذ من حُكَاكته من أىّ ألوانه كان ، فدلك بها أسنانه ، أذهب عنها الصدأ والحفر وبيّضها ومنع سيلان الدم من أصولها . ذكره الغافقى عن صاحب [كتاب الأحجار] .

(١) الخبط بوزن سبب : ما يتناثر من ورق الشجر إذا خبط بعصا ونحوها .

قال أرسطو : من تختم بالعقيق سكنت عنه حدةُ غضبه ورُوى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَخَتَّمُوا بِالْعَقِيقِ ، فإنَّهُ يَنْفِي الفقرَ[١] ، وَالْيَمِينُ أَحَقُّ بِالزِّينَةِ » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ تَخَتَّمَ بِعَقِيقٍ لَمْ يَزَلْ يَرَى خَيْرًا[٢] » .

وعن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : « تَخَتَّمُوا بِالْعَقِيقِ ، فإنَّهُ مُبَارَكٌ » . رواه البيهقى .

﴿عود﴾ هو أنواع: أفضلها الهندى، ثم الصينى، ثم القَمارى، ثم المَندلى أجوده الأسود والأزرق الصلب الرزين الدسم ، ومنه نوع يقال له الكلاهى ، وهو أدسم العود . وأردؤه ما طفا على الماء ، ومن القَمارى صنف يسمى الصنصافى للونه وصفته ، وهذه الأنواع كلها منسوبة إلى أماكنها المذكورة ، حتى المندلى فإنه منسوب إلى مَندل ، وهو بلد بالهند ، وقيل بالصين ، وإن كانت عامة ضروبه هندية ، فقد خص بالهندى ضرب واحد منه، حتى صار لايعرف إلا به ، ويوجد كثيرا بجزيرة قبونة بالهند، بينها وبين قمار خمسة أيام ، وبين الصنف ثلاثة أيام ، وبها العود الصنفى ، ويقال : إن العود شجر يقطع ويدفن فى الأرض سنة ، فتأ كل الأرض منه ما ليس بعود، ويبقى العود لاتعمل الأرض فيه شيئا ، وقيل: إنه قد يصاب منه لقَطٌ فى الأدوية من شجر فى بلادهم، يتكسّر ويتعفّن فى الأرض، وتأتى به السيول .

---

(١) الجامع الصغير .

(٢) كتاب كنوز الحقائق للمناوى

قال الغافقي : العود عروق أشجار تقلع وتدفن في الأرض حتى يتعفن منها القشر والخشب ، ويبقى العود الخالص . وهو حار يابس في الثانية ، يفتح السدد ، كاسر للرياح ، يذهب بفضل الرطوبة ، ويقوي الأحشاء والقلب ويفرحه ، وينفع الدماغ جداً ، ويقوي الحواس ، ويحبس البطن ، وينفع من سلس البول الكائن عن برد المثانة[١]

قال ابن سمجون : العود ضروب كثيرة يجمعها اسم الألوة ، وأصله فارسي ويقال إن الهرنوة ثمرة شجرة ، وصورتها كصورة الفلفل الصغير ، إلا أن لونها أصهب وتعرف بالفليفلة . والعود قد يستعمل من داخل ومن خارج ، ويتبخر به وحده ومع غيره ، كما رُوى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « أنه استجمر بألوة غير مطراة ، وبكافور يطرح مع الألوة ، وأنه قال : هكذا كان يستجمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم . وقد تقدم ذكر الحديث وشرحه في حرف الطاء ، عند ذكر الطيب ، فيعلم من هناك .

﴿ عنبر ﴾ جوهر الطيب وسيده ، ولا يدخله من التغير على القدم إلا ما يدخل الذهب . وضروبه كثيرة . وألوانه مختلفة ، فمنه الأبيض ، والأشهب ، والأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والأسود ، والمختلط من ألوان كثيرة ، والمطابق للطبقات بعضها فوق بعض ، مثل حجر الطلق . وأجوده الأشهب القوي ، ثم الأزرق الدسم ، ثم الأصفر . وأردؤه الأسود ، والاختلاف في عنصره كثير ،

---

(١) في خ هذه الزيادة . (قال ابن جزلة : وشمه يضر بأمراض الدماغ الحارة ، ولذلك ينبغي أن يخلط بالكافور : يحل بالماء ويجعل العود فيه ثم يرفع) .

فزعم قوم أنه نبات ينبت فى قعر البحر المحيط، فتبلعه بعض دوابه ، فإذا امتلأت منه قذفته ، وقيل : طلٌ ينزل من السماء فى جزائر البحر ، فتلقيه الأمواج إلى الساحل ، وقيل : روث دابة بحرية تشبه البقرة

قال ابن سينا رحمه الله : العنبر فيما يظن ينبع من عين فى البحر ، والذى يقال عنه إنه زبد البحر ، أو روث دابة بعيد عن الوقع .

ومزاجه حار يابس ، مقوٍ للقلب والدماغ والحواس ، وأعضاء البدن . نافع من الفالج واللقوة ، والأمراض البلغمية ، وأوجاع المعدة الباردة ، والرياح الغليظة . ومن السُّدد إذا شرب أو طُلِىَ به من خارج ، وإذا تُبخِّرَ به نفع من الزكام والصداع والشقيقة الباردة .

ومنافعه كثيرة ؛ وقد رُوِى فيه هذا الحديث ، عن عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : « بعثنا النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمائة راكب ، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، فأتينا الساحل ، فأصابنا جوعٌ شديد حتى أكلنا الخَبَط ، فألقى لنا البحر حُوتا يقال له العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر وائتدمنا بوَدَكه وذكر الحديث بطوله » . أخرجاه فى الصحيحين

﴿ عَسَل ﴾ قال الله تعالى : (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) وقال تعالى : (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَعَلَ اللهُ البَرَكَةَ فى العَسَلِ وَفِيهِ شِفَاءٌ مِنَ الأَوْجَاعِ ، وَقَدْ بَارَكَ عَلَيْهِ سَبْعُونَ نَبِيًّا » .

والعسل حار يابس ، وقد تقدم الكلام فى ماهيته وطبعه ، ومنافعه فى الأربعين حديثا الأولى مستقصاة بحسب الإمكان ، فتعلم من هناك .

ولنذكر هنا من الأحاديث الواردة فى فضله غير ما تقدم ذكره :

عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ الحلوَ والعسل » رواه الترمذيّ . وعن عبد الحميد بن سالم[1] ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَعِقَ العَسَلَ ثَلاثَ غَدَوَاتٍ كلَّ شَهْرٍ ، لَمْ يُصِبْهُ عَظِيمٌ مِنَ البَلاءِ[2] » . عن عامر بن مالك قال : « بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ وَعَكٍ كانَ بي ، ألتمس منه دواء أو شفاء ، فبعث إليَّ بعُكَّةٍ من عسل » رواه البيهقيّ .

وعن ابن جريج قال : قال الزهري : عليك بالعسل فإنه جيِّدٌ للحفظ .

﴿ عجوة ﴾ العجوة : صنف من أعلى التمر ، كريم ملزَّز ، متين الجسم والقوّة ، وطبعه ومنافعه كالتمر ، إلا أنه أفضل من باقي أنواعه وأشرف ، لما جاء فيه من الحديث . رُوِى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ » . أخرجاه في الصحيحين . وعن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العَجْوَةُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ » . رواه ابن ماجه والنسائي وفي رواية الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا . قال صلى الله عليه وسلم : « العَجْوَةُ مِنَ الجَنَّةِ وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ ، وَالكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلعَيْنِ » قيل : وهذه الخاصية ، إنما خُصَّتْ بها عجوة المدينة ، لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن جميع أصناف العجوة تفعل ذلك . ورُوِى فيها أيضا : « أنفع تمر الحجاز العجوة » .

---

(١) عبد الحميد بن سالم — وعنه الزبير بن سعيد ، وثقه ابن حبان . « الخلاصة » .

(٢) الجامع الصغير .

﴿ عنب ﴾ الحلوُ منه حار رطب ، مختلف فى ذلك بحسب قوّة حلاوته وضعفها . وهو أصناف كثيرة ، وأجودها الأبيض اللَّحِم ، ثم الأحمر ، ثم الأسود ، إذا تساوت فى سائر الصفات : من المتانة والرِّقة والحلاوة ، وقشره بارد يابس بطيء المضم ، وحبه كذلك ، وحشوُه حار رطب . والمتروك منه بعد القطف يومين أو ثلاثة ، أحمد من المقطوف فى يومه ، فإنه منفخ مطلق . والمتروك حتى يضمر قشره جيد الغذاء ، مقوِّى البدن ، وغذاؤه شبيه بغذاء التين فى قلة الرداءة ، وإن كان التين أغذى ، وهو قريب منه في فضله على سائر الفواكه . وإذا أُلقى عَجَمه كان أكثر تليينا للبطن .

ومنفعته : يلين الطبع ويسمن ، ويغذو الجيِّد منه غذاء حسنا . والإكثار منه معطش مضرّ بالدماغ والمثانة . ودفع مضرّته بالرمان المزّ . وفى العنب منافع وفضائل لاتوجد فى غيره . وقد ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز منبهًا على فضله ، فقال سبحانه : (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) .

ويروى عن أمية بن زيد : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحبّ من الفاكهة العنب والبطيخ » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحَبَلَةُ أُخْتُ النَّخْلَةِ » والحبلة : هى الكرمة ، وقد تقدم الكلام فى فضلها .

وعن حبيب بن يسار . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « رأيتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم يأكلُ العنب خرْطا » . قال العقيلى : لا أصل لهذا الحديث .

﴿ عَدَس ﴾ فيه قوّتان متضادتان : إحداهما تعقل الطبيعة ، والأخرى تطلقها . فقشره حار يابس فى الثالثة ، حرِّيف مطلق للبطن ، وداخله بارد يابس فى الأولى

أرضى ثقيل بطىء الهضم ، يولِّد السوداء ، وهو عاقل للبطن ، ملائم لمن كانت به حرارة و إسهال الصفراء . ومن أدام استعماله عرض له ضعفُ البصر ، وعسر البول ، والأورام الباردة . وأصلحه ما قلّ سواده ، وأسرع نضجه .

قال ديسقوريدوس : هو عسِرُ الانهضام ، ردىء للمعدة ، يولِّد السوداء ، ويعين الرِّياح فيها وفى الأمعاء . و إذا أدمن أكله عرضت منه غشاوة البصر . وقد رُويت فيه أحاديث ضعيفة ، منها ما رُوى عن عطاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُدِّسَ العَدَسُ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا ، مِنْهُمْ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهُوَ يُرَقِّقُ القَلْبَ ، وَيُسْرِعُ الدَّمْعَةَ » . رواه البيهقى . وعن إسحاق بن إبراهيم قال : سُئل ابن المبارك عن الحديث الذى قيل فى أكل العدس ، أنه قُدِّس على لسان سبعين نبيًّا ، فقال : ولا على لسان نبىّ واحد ، وإنه لمؤذ منفِّخ ، مَنْ يحدثكم به ؟ قالوا : أسلم بن سالم ، فقال عن مَنْ ؟ قالوا : عنك ، قال : دعنى أنا أيضا . ذكره البيهقى فى كتاب « شعب الإيمان » .

حرف الفاء

﴿ فاغية ﴾ نَوْرُ شجر الحنا ، والفاغية كل نَوْرة طيبة الرائحة ، وقد خُصَّت فاغية الحنا بذكر الفاغية ، فيقال : الفاغية ، فتعرف من غير نسبة .

قال أبو حنيفة الدينورى : الفاغية تخرج أمثال العناقيد ، ويتفتح فيها نُوار صِغار ، فيجتنى و يربب به الدهن الذى يقال له : دهن الحنا . قال ديسقوريدوس : إذا دُقّ زهرُ الحنا وضمدت به الجبهة مع الخلّ ، سكَّن الصداع . قال البصرى :

زهرُ الحنا طيبٌ فى الشم . وإذا خُلط مع الشمع المصفّى ودهن الورد ، نفع من الشُّلاق العارض فى أفواه الصبيان . قال غيرُه : فاغية الحنا معتدلة فى الحرّ واليبس فيها بعضُ القبض. إذا دُقّ ووضع على الورم الحار نفع منه . وإذا مُضغ ورقه نفع من قروح الفم ، وإذا جُعلتِ الفاغية بين طىّ ثياب الصوف طيّبها ، ومنع السوس من إفسادها .

قال ابن سينا : فاغية الحنا مفيدة لأوجاع العصب ، وتدخل فى مراهم الفالج والتمدد ، ودهنُه يحلّل الإعياء ، ويليّنُ الأعصاب ، وينفع من كسر العظام .

أقول : ولكثرة نفعها وطيب رائحتها ، ذكرها ومدحها النبىّ صلى الله عليه وسلم فيما رُوى عن عبد الله بن بُريدة[1] ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «سَيِّدُ الرَّيَاحِينِ فى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ : الفَاغِيَةُ[2]» : يعنى فاغية الحنا . وعن أنس بن مالك قال : « كان أحبُّ الرياحين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية » . رواهما البيهقى فى كتاب « شعب الإيمان » .

﴿ فَرْفَحِين ﴾ هو الفرفح ، ويسمى الرِّجلة والبقلة الحمقاء أيضا وغيرها ، وزعموا أنها سميت الحمقاء أيضا ، لأنها تنبت على طرق الناس ، فتُدَاس ، وعلى مجرى السيل ، فيقلعها . وقيل لأنها تنبت مع ما هو أشرف منها ، كالرياحين وغيرها ، فتقلع ويرمى بها .

قال أبو حنيفة الدينورى : الفرفح كلمة فارسية عُرِّبتْ ، وقد جرت فى كلام العرب .

---

(١) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى أبو سهل ، قاضى مرو . مات سنة خمس عشرة ومائة . « الخلاصة » .

(٢) زاد المعاد .

والفرفخ بارد فى الدرجة الثالثة ، رطب فى الثانية ، وفيه قبض يسير .
ولذلك صار يدفع سيلان المواد ، لاسيما الصفراوية منها . ينفع من حرارة مفرطة :
أكلا وضمادا ، ويُذهب بالضَّرَس الذى يعرض من الأشياء الحامضة لزوجتها ،
وينفع من الدوسنطاريا ، ومن نزف الدم ونفثه ، ومن الحميات الحادة ، والأورام
الحارة ، وإن دُقّ وضُمِد به يافوخ الرأس ، أذهَبَ الصداع الحادث من حرارة الدم
والصفراء ، وعصارتُه أقوى فعْلاً منه . وهو محمود للمحرورين ، وفى الأزمان
والبلدان الحارة ، ينفع من التهاب المِرّة الصفراء حيث كانت ، ومن هَيَجان الدم ،
ومن وجع الكُلى والمثانة ، ويقطع شهوة الجماع والطين ، وحرقة البول .

ومن خواصه : أن من وضعه على فراشه لم يرَ حُلما ولا مناما ألبتة .

ذكر أبو عثمان الواعظ فى كتابه : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّ بالرجلة
ـ وهى البقلة المباركة ـ وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يجد حرارة ، فعصَر على
رجله منها ، فوجد لذلك راحة ، فقال : اللهمّ بارك فيها ، انبتى حيث شئتِ » .
وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« عليكُم بالقرْعِ فإنهُ يُذكِّى الصدْرَ ويجلُو القلْبَ » . وكان يدعو لهذه البقلة
الحمقاء ، ذكره صاحب الوسيلة .

حرف الصاد

﴿ صَعْتر[(١)] ﴾ : حار يابس فى الدرجة الثالثة ، وأصنافه كثيرة ، وكلها طاردة

---

(١) سقط من خ الكلام على الصعتر .

للرّياح مُحلِّلة للنّفخ ، هاضمة للطعام الغليظ ، محسنة للون ، مدرّة للبول والحيض ، محدّة للبصر الضعيف من الرطوبة . وهو نافع من برد المعدة والكبد والأمعاء ، ملطف للأخلاط الغليظة ، مفتح للسُّدد ، باعث للشهوة ، مخرج للحيّات. وكذلك حبّ القرْع إذا طُبخ وشُرِب ماؤه ، وإن قطر فى الأذنين مع ابن امرأة سكّن وجعهما . وإذا شُمّ نفع من الزكام ، ومنافعه كثيرة .

رُوى عن ابن أشهب العطاردى[1] ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطاننا وفيه شجرةٌ نابتة ، فقالت : خذنى يا رسول الله ، فوالذى بعثك بالحقّ نبيًّا ورسولا ما أنزلَ اللهُ عزّ وجل من داء إلا وفِىَّ منهُ دواء» يعنى الصَّعْتر . قال السنىّ : حدثنا محمد بن هارون الحضرمىّ ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بَخِّرُوا بُيُوتَكمُ بِاللُّبَانِ وَالصَّعْتَرِ» . ذكرهما ابن الجوزىّ .

﴿ صَـبِرٌ ﴾ قال أبو حنيفة الدينورىّ : قد يسكّن ويقال صَبْر ، قال الشاعر :

أتَانِى وَدُونِى الرَّانِيانِ كِلاهُما بِدِجْلَةَ أنْبَاءٌ أمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

قال : وأخبرنى رجل من العرب من أهل عُمان ، عن مَعاصر الصبر عندهم ، قال : نبات الصبر كنبات السوسن الأخضر ، غير أن ورق الصبر أطول وأعرض وأثخن كثيرا ، وهو كثير الماء جدًّا ، فيُخصد ويُلقى فى المعاصر ، ثم يدقّ بالخشب

---

(١) هو جعفر بن حيان التميمى السعدى العطاردى ، أبو الأشهب البصرى الحذاء الأعمى مات سنة خمس أو اثنتين وستين ومائة عن خمس وتسعين سنة . « الخلاصة » .

ويداس بالأقدام حتى يسيل عصيره ، فيترك حتى يثخن ، ثم يجعل فى الجرن[1] ، ويشمس حتى يجف ، وأجود ما يجنى منه من سقطرى ، وهى جزيرة بقرب ساحل اليمن . والصبر حار فى الدرجة الثانية، يابس فى الثالثة ، مسهل للأثقال[2] ، والمرة الصفراء، منق للمعدة والرأس، يجفف القروح، ويسرع لحامها ، ويفتح سدد الكبد ، ويذهب باليرقان ، ويحلل الأورام البلغمية ، ويغسل ويجلو القروح ولا يلذعها ، وينفع القروح التى تحدث فى المذاكير والفرج ، والمقعدة ونواحى الشرج نفعا بينا إذا ذر عليها . والمختار منه ما كان لونه أحمر شبيها بلون الزعفران السريع التفتت، ليس بكريه الرائحة، الصادق المرارة ، والشربة منه نصف درهم، إلى درهمين . ومضرته بالمعدة إصلاحه بالمصطكى والدارصينى ، وعود البيلسان ، ونحو ذلك . ومنافعه كثيرة ، ويؤيد ذلك ما روى عن الحسن بن ثوبان[3] ، عن قيس بن رافع القيسى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَاذَا فى الأمَرَّيْنِ مِنَ الشِّفَاء: الصَّبْرِ وَالثُّفَّاء » رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وغيره بالإسناد المذكور . وروى «أن عمر بن عبيدالله بن معمر اشتكى عينيه وهو محرم، فسأل أبان بن عثمان ، فقال : اضمدهما بالصبر ، فإنى سمعت عثمان بن عفان يخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » . رواه مسلم .

قال أبو عبيد : الثُّفَّاء : هو الحُرْف، ويقال : إنه نبات يكون باليمن لا يحتاج الذى يأكله إلى أن يشرب عليه الماء .

---

(١) هكذا الأصل ، ولعلها البيدر اه مصححه .

(٢) هكذا الأصل ، ومعناها والله أعلم إمساك الطبيعة اه مصححه .

(٣) الحسن بن ثوبان بن الهوزنى بفتح الهاء والزاى ، أبو ثوبان المصرى . مات سنة خمس وأربعين ومائة . « الخلاصة » .

حرف القاف

﴿ قَرْع ﴾ القرع : هو الدُّبَّاء ، وهو اليَقْطِين ، وقد تقدم الكلام فيه في حرف الياء ، فليعلم من هناك .

رُوى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يحبُّ القرع » رواه ابن ماجه . وعن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالقَرْعِ ، فإنَّهُ يَزِيدُ فى العَقْلِ ، وَيُكَثِّرُ فى الدِّماغ » رواه البيهقىّ

﴿ قِثَّاء ﴾ القثاء بارد رطب فى الدرجة الثانية ، ملطف لحرارة المعدة الملتهبة ، غير سريع الفساد فيها . نافع من وجع المثانة ، ورائحته تنفع من الغَشْى ، وبذره يدر البول ، وورقه نافع إذا اتخذ ضِمادا من عضة الكلب . وقد يسرع فساده فى المعدة ، ويبطئ على حسب الطبائع والمزاجات والعادات . فأما من كان فى معدته خلط ردىء ، فإن القثاء سريع الفساد فيها . قال المسيحى : والخلط المتولد من القثاء ردىء .

أقول : وذلك لغلظ جرمه ، فهو بطىء الانحدار عن المعدة ، مؤذٍ لها ببرده ، فلذلك ينبغى أن يستعمل ما يصلحه ، ويكسر برده ورطوبته ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد رُوى عن ابن جعفر رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل القثاء بالرطب » . رواه الترمذىّ وغيره .

﴿ قصب ﴾ أصناف القصب كثيرة : منها قصب السكر . وهو حارّ رطب ، ينفع من السعال ، ويجلو الرطوبة والمثانة ، وقصبة الرئة . وهو أشد تليينا من السكر ، وفيه معونة على القىء . يدرّ البول ، ويزيد فى الباه ، وتُعمل منه أصناف من الحلوى .

ومنافعه كثيرة . قال عفان بن مسلم المحدّث : من مصّ قصب السكر بعد طعامه ، لم يزل يومه أجمع فى سرور . ومنه قصب الذّريرة . وهو حار يابس فى الثانية ، ينفع الكبد والمعدة الباردة ، و يدرّ البول يسيرا ، و ينفع الاستسقاء والرّبو ، ومنه القصب الفارسىّ ، وهو بارد يابس ، ومنافعه فى العلاج والطب قليلة ، وزهره الشبيه بالصوف الطائر فى الهواء ، إذا وقع فى الأذن ولصق بها ، فربّما أحدث صمما ، ولذلك ينبغى أن يتوقّى ما فى القصب من الزّغب ، فإنه إذا دخل فى الأذن أورثها صمما ، ويُكره أن يتخلل بعوده . رُوى عن الزهرىّ عن قبيصة ابن ذؤيب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتخلّلوا بقصبٍ ولا بآسٍ ، ولا بقصب ريحانٍ ، فإنّ أكرهُ أنْ يحرّكَ عِرقَ الجذام » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « منْ تخلّلَ بقصبٍ أورثَهُ الأكَلَة » . ذكره صاحب الوسيلة . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كتب إلى أهل الأمصار : لا تتخللوا بالقصب ، فإن كنتم لابدّ فاعلين فانزعوا قشره .

﴿ قُسط ﴾ قال إسحاق بن عمران : الكست والقسط ضربان : أحدهما الأبيض المسمى البحرى ، والآخر الهندىّ ، وهو الغليظ الأسودالخفيف المرّ المذاق . وهما حاران يابسان فى الثالثة ، والهندى أشد حرّا ، منشفان للبلغم ، قاطعان للزكام ، و إذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة ، ومن بردهما ، ومن حُمّى الدّوْر والرّبع ، وقطعا وجع الجنب ، ونفعا من السموم ، و إذا طلىَ به الوجه معجونا بالماء والعسل قلع عنه الكَلَف

والبحرىّ : هو القسط الأبيض الحلو ، وهو ضربان : مغربىّ و يمانىّ ، وهو أجود أصنافه كلها ، وفى طعمه بعض المرارة ، وهو ألينُ وألطف من الهندىّ ، وأقلُّ حرّا ، وأجود فى الطبّ . و يؤتى به من اليمن مجففا

على صفة أصول الجزر الذى يؤكل مشققا، والعود الهندى هو القسط الدهلكى، يدخل فى الأعواد لاعتدال رائحته ، وأجوده الأبيض الرقيق القشر

قال جالينوس فيما ذكره من منافعه : أنه ينفع من الكزاز ، ووجع الجنبين ، ويقتل حب القرع . قال المسيحى : القسط ضربان : أحدهما الأبيض الذى يقال له : البحرى، والآخر الهندى، وهو أشدهما حرًّا ، والأبيض منهما أجود فى الطب والدواء ، ومنافعهما كثيرة . ولذلك نص النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « خَيْرُ ما تَداوَيْتُمْ بِهِ الحِجَامَةُ وَعلَيكُمْ بِالقُسْطِ البَحْرِىِّ ، وَلا تُعَذِّبُوا صِبْيانَكُمْ بِالغَمْزِ مِنَ العُذْرَةِ » رواه النسائى . وجاء فيه الحديث الثانى والثلاثين من الباب الأول ، والحديث الوارد فى شرحه ، فيعلمان من هناك .

حرف الراء

﴿ رُطَب ﴾ قال الله تعالى : (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا)

الرُّطَب : حار رَطْب ، يقوّى المعدة الباردة ويوافقها ، ويزيد فى الباه ، ويُخصِب البدن ، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة ، ويغذو غذاء كثيرا ، لكنه بمفرده سريع التعفّن ، والدم المتولد منه ليس بجيّد ، والإكثار منه مصدّع مولد للسُّدَد ، مؤذٍ للأسنان ، وإصلاحه بالسكنجبين ونحوه . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبه ، ويسرّ بقدومه . رُوى عن عبد الله بن جعفر قال : « رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكلُ الرُّطبَ بالقِثاء » . أخرجاه فى الصحيحين .

وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قالت عائشة: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء الرُّطَبُ فَهَنِّئِينِي يا عائِشَةَ[(١)]» وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم: «أنه كان يحبُّ من الثمار البطيخ والرُّطب، ويحب مرقة القرْع».

قال بعض العلماء: ويستحبُّ أن تطعم المرأة النفساء الرُّطَب، لأن مريم عليها السلام أكلته فى نفاسها. ورُوى حديث مرفوع عن علىّ كرّم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَطْعِمُوا نِسَاءَكُمُ الوُلَّدَ الرُّطَبَ، فإنْ لمْ يكُنْ فالتَّمْرُ». وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبُّ أن يفطر على الرطب ما دام الرطب، وعلى التمر إذا لم يكن الرطب. وقال الربيع بن خُثَيْم: ليس للنساء عندى دواء إلا الرّطب.

﴿رُمان﴾ قال الله تعالى: (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)

الرُّمان الحلو: وهو حار رطب، جيِّد للمعدة مقوٍّ لها، بما فيه من قبض لطيف، نافع للحلق والصدر والرئة، جيِّدٌ للسعال، وماؤه مليِّنٌ للبطن، يغذو البدن غذاء فاضلا، إلا أنه يسير لطيف، سريع التحلل لرقته ولطافته، وهو أطيب طعما من سائر أصنافه، ويولد حرارة يسيرة فى المعدة ونفخا، ولذلك يعين على الباه، ولا يصلح للمحمومين. وله خاصية إذا أكل بالخبز، فإنه يمنعُه من الفساد فى المعدة، وكذلك الحامض إذا طبخ به الطعام. والحامض بارد يابس

---

(١) كتاب كنوز الحقائق للمناوى والحديث: (إذا جاء الرطب فهنينى، وإذا ذهب فعزينى).

قابض لطيف ، ينفع المعدة الملتهبة ، ويدرّ البول أكثر من غيره من الرمان ، ويسكّن الصفراء ، ويقطع الإسهال ، ويمنع القيء ، ويلطف الفضول ، ويطفىء حرارة الكبد ويقوّى الأعضاء ، نافع من الخفقان الصفراوىّ والآلام العارضة للقلب وفم المعدة ، ويقويهما ويدفع الفضول عنهما ، ويطفىء ثائرة الصفراء والدم ، وإذا استخرج ماؤه وطبخ بيسير من العسل ، حتى يصير كالمرهم واكتحل به ، قلع الظفَرة من العين ، ونقاها من الرطوبات الغليظة . وإذا لُطّخ على اللثة نفع من الأكلة العارضة لها ، وإن استخرج ماؤه وخلط بالعسل وشرب أطلَق البطن ، وأحدَر الرطوبات المرّة المعفنة ، ونفع من حُمّيات الغِبّ المتطاولة .

وأما الرمان المزّ ، فهو فى طبعه وفعله متوسط بين طبيعتى الحامض والحلو ، إلا أنه أميل إلى لطافة الحامض قليلا . ومن ابتلع ثلاثة من حبّ الرُّمان فى كل سنة ، أمِن من الرّمد سنتَهُ كلها . وحبُّ الرُّمان مع العسل جيّدٌ طلاءً للداحس والقروح الخبيثة ، وأقماعُه للجراحات مفيدة لا سيما إذا كانت محرقة . والجلنار[1] يلصق الجراحات بحرارته . رُوى عن محمد بن عجلان[2] ، عن أنس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ رُمّانِكُمْ هذا إلاّ وَهُوَ مُلَقّحٌ بِحَبّةٍ مِنْ رُمّانِ الجَنّة[3] » . وعن سعيد بن غشم أبى معمر الهلالى قال : حدثتنى ربيعة ابنة عيّاض الكلابية قالت : سمعتُ عليًّا رضى الله عنه يقول : كلوا الرُّمان بشحمه فإنه دبّاغ للمعدة .

---

(١) الجلنار : هو ورد الرمان قرب الانعقاد .

(٢) محمد بن عجلان القرشى أبو عبدالله المدنى أحد العلماء العاملين . توفى سنة ثمان وأربعين ومائة . « الخلاصة » .

(٣) زاد المعاد . والحديث روى موقوفاً مرفوعاً .

﴿ ريحان ﴾ الريحان كل نبات طيب الرائحة . وهو عند أهل المغرب الآس، وعند أهل الشام الحبق .

وهو حار يابس في الأولى ، شمه ينفع من الصداع ، واللهيب بالذات ، ويجلب النوم . وبذره حابس للإسهال الصفراوى ، مسكن للمغص ، مقو للقلب ، نافع للأمراض السوداوية . وقد روى فيه من الحديث الصحيح ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ عُرِضَ عليهِ رَيحَانٌ فلا يَرُدَّهُ ، فإنَّهُ خفيفُ المَحْمَلِ طَيِّبُ الرَّائحَةِ » . رواه البخارى .

حرف الشين

﴿ شُونيز ﴾ الشونيز بالفارسية: هو الحُلبة السوداء بالعربية . وهو حار يابس، أجوده الرزين ، وهو الثقيل في وزنه . وقد تقدم الكلام في مزاجه ومنافعه ، مستقصى في الأربعين حديثا الأولى ، فليعلم من هناك .

ولنذكر هنا من متن الأحاديث غير ما تقدم ذكره فيه . روى عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا مِنْ داء إلاَّ في الحبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنهُ الشِّفَاءُ إلاَّ السَّام » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « عليكُمْ بِهذِهِ الحَبَّةِ السَّوْداءِ ، فإنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كلِّ داء إلاَّ السَّام والسَّام : الموت[1] » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشُّونيزُ فِيهِ دوَاءٌ مِن كلِّ داء إلاَّ المَوْتَ » . رواه النسائى .

﴿ شُبْرُم ﴾ شجر صغير وكبير ، وكبيره قامة ، له خشب وقضبان حمر ملمعة

---

(١) رواه الصحيحان .

ببياض ، وجُمة من ورق فى رءوس قضبانه ، وله نوّارٌ صغير أصفر إلى البياض ، يسقط وتخلفهُ مراود صغار فيها حبٌّ صغير مثل البُطْم فى قدره ، أحمر اللون ، وله عروق عليها قشور حمر ، داخلها أبيض . والمستعمل منه قشر عروقه ولبن قضبانه .

وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة ، يسهل السوداء والكيموسات الغليظة ، والماء الأصفر والبلغم . وهو مكْرِبٌ مُغْثٍ ، والإكثار منه يقتل . وينبغى إذا استعمل أن يُنقع فى اللبن الحليب يوما وليلة ، ويغيَّر عليه اللبن فى اليوم مرتين أو ثلاثا ، ويُخرَجُ منه ويجفف فى الظل ، ويخلط معه الورد والكثيرا ، ويشرب بماء العسل أو عصير العنب ، والشربة من المصلح منه ما بين أربعة دوانيق إلى دانقين على القوة . قال حُبيْش : فأما لبن الشبرم فلا خير فيه ، ولا أرى شربه البتة ، فقد قتلَ به أطباء الطرقات خلقا من الناس . وقد روى فيه الحديث الثالث والعشرون من الأربعين الأولى من هذا الكتاب ، فيعلم من هناك .

﴿ شعير ﴾ الشعير بارد يابس فى الأولى ، أجوده الأبيض السمين ، وهو أقلّ غذاء من الحنطة ، وماء الشعير أكثر غذاء من سَوِيق الشعير .

وهو نافع للسعال وخشونة الحلق ، صالح لقمع حدة الفضول ، مدرّ للبول ، صالح المعدة ، قاطع للعطش ، ملطف للحرارة . وفى الشعير قوة يجلو بها ويلطف ويحلل

وصفة ماء الشعير : أن يؤخذ من الشعير الجيِّد المرضوض المقشور مكيال ، ومن الماء الصافى العذب خمس مكاييل ، ويلقى فى قدر نظيفة ، ويطبخ بنار معتدلة إلى أن يتبقّى منه مكيالان ، ويصفى ويحلّى ، ويستعمل منه مقدار الحاجة .

رُوى عن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ أحداً من أهله الوَعَكُ، أمر بالحساء من الشعير فصنع ، ثم أمرهم فتحسّوا منه ، ثم يقول : إنّهُ ليَرْتُو فُؤادَ الحَزِينِ ، وَيسْرُو عَنْ فُؤادِ السَّقِيمِ كما تسْرُو إحْدَاكُنَّ الوَسَخَ بالمَاءِ عَنْ وَجْهِهَا » رواه ابن ماجه وغيره .

قال أبو عبيد عن الأصمعىّ : يرتو : يشدُّه ويقوِّيه ، ويسرو : يكشف .

حرف التاء

(تمر) جيِّده البرنىّ الحديث الكبار . وهو حار فى الثانية ، يابس فى الأولى ، وقيل : رَطْبٌ فيها . يقوِّى الكبد ، ويليِّنُ الطبع، ويزيد فى الباه [لا سيما إن أُكِلَ مع حبِّ الصنوبر ، ويبرئ خشونة الحلق إلا أنه(١)] يولِّد السُّدَد، ويؤذى الأسنان، ويصدِّع . ودفع ضرره أن يؤكل مع اللوز والخشخاش وجالينوس يمدح من التمور القليل الرطوبة ، الخفيف الذى فيه عفوصة يسيرة كالقَسْب(٢) ، لأن ما كان كذلك كان أدبغ للمعدة وأعقل للطبيعة . وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن ، بما فيه من الجوهر الحار الرطب ، وأصلح ما اتخذ لادخار القوت منها ، ويؤيد ذلك ما روى عن سلمى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بيْتٌ لا تمْرَ فيهِ كالْبَيْتِ ليْسَ فِيهِ طَعَامٌ » . وعن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بيتٌ لا تمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أهْلُهُ » . رواه مسلم وغيره .

---

(١) الجملة التى بين القوسين سقطت من خ .

(٢) القسب : الصلب . وهو التمر اليابس يتفتت فى الفم .

قلت : وهو مع ما فيه من تقوية الحرارة الغريزية ، فيه قوة ترياقية ، يدل عليها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ» وفى لفظ : «من تمر العالية ، لم يضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ[١]» . قلت : وفى الكلام تقدير محذوف تقديره سم من السموم الباردة ، والله أعلم

ومن السُّنة إفطار الصائم عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ وَجَدَ تَمْرًا فَلْيُفْطِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لا يَجِدْ فَلْيُفْطِرِ عَلَى ماء فإِنَّهُ طَهُورٌ» رواه النسائى . وعن كُرَيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كُلُوا التَّمْرَ عَلَى الرِّيقِ ، فإِنَّهُ يَقْتُلُ الدُّودَ[٢]» .

قال المؤلف : إنما يفعل ذلك مع وجود حلاوته، بما فيه من الحرارة واليبوسة المجففة لمادة الدود ، فإذا أديم على استعماله خفَّفَ مادة الدود ، وأضعفه وقتله ، وذلك بما فيه من القوة الترياقية ؛ كما تقدم ذكره ، لاسيما القَسْب . وأكله على الرِّيق أبلغ فى ذلك ، لعدم وجود الغذاء فى المعدة الموجب لضعف أثره .

﴿ تِين ﴾ التين حار رطب ، وقيل : حار يابس فى الدرجة الأولى ، ورطوبته مكتسبة من الماء . أجوده الأبيض الناضج المقشر .

منفعته أنه يجلو رمل الكلى والمثانة ، ويؤمِّن من السموم ، وهو أغذى من جميع الفواكه ، وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة ، غسّال للكبد والطحال ، منقٍّ للخلط البلغمى من المعدة ، ويغذو البدن غذاء جيِّدًا ، إلا أنه إذا أكثر منه أقمل البدن .

وإصلاحه أن يؤكل مع الجوز ، واليابس منه يغذو غذاء صالحا ، ويسخن وينفخ ، وينفع العصب .

---

(١) زاد المعاد .   (٢) الجامع الصغير .

قال جالينوس : والتين اليابس مع الجوز واللوز ، محمود الكيموس ، وإذا أكل مع الجوز والسذاب أخذ السمّ القاتل ، ونفع وحفظ من الضرر .

قال ديسقوريدوس : وقد يعمل من لبنه ضماد نافع للنقرس إذا خلط به دقيق الحلبة والخل . قال جالينوس: وقوّة التين الفض حرّيفة، والثمرة نيئة تطرح البواسير من القروح . وقد رُوى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال: «أهدِىَ للنبى صلى الله عليه وسلم طبقٌ من تين، فأكل منه ، وقال لأصحابه : كلوا التين ، فلو قلتُ : إن فاكهةً نزلت من الجنّة بلا عجَم لقلتُ هى التين ، وإنه يُذهِبُ البواسير ، وينفع من النقرس[1] » .

حرف الثاء

﴿ ثُفّاء ﴾ بالثاء المثلثة والفاء المشدّدة : حبّ الرشاد ، وهو الحُرْف أيضا وقد تقدم الكلام فيه فى حرفى الحاء والصاد ، وما ورد فيه من الحديث النبوىّ على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، فيعلم من هناك .

﴿ ثوم ﴾ الثوم حار يابس فى الدرجة الرابعة ، يسخّن إسخانا قويًّا، ويجفف تجفيفا بالغا ، نافع للمبرودين . ولمن كان مزاجه بلغميًّا ، ولمن أشرف على الوقوع فى الفالج . مجفف للمنىّ ، مفتّح للسدد والرياح الغليظة ، هاضم للطعام ، قاطع للعطش ، مطلق للبطن ، مدرّ للبول ، يقوم فى لسع الهوامّ وجميع الأوجاع الباردة مقام الترياق . وإذا دُقّ وعمل منه ضماد وحده ، أو شرب على نهش الحيّات

---

(١) الجامع الصغير .

واسع العقارب نفعها ، وجذب السمّ منها ، وهو يسخن البدن ، ويزيد فى جوهر حرارته ، ويقطع البلغم ، ويحلل النفخ ، ويصفى الحلق ، ويحفظ صحة أكثر الأبدان ، وينفع من تغير المياه والسعال المزمن ، ويؤكل نيئًا ومطبوخًا ومشويا ، وينفع من وجع الصدر الكائن من البرد ، ويُخرجُ العلَق . وإذا دُقّ مع الخلّ والعسل والملح ، ثم وضع على الضرس المتآكل فتّته وأسقطه ، أو على الضرس الوجع سكّن وجعه ، وكذلك إن مُضغ على سِنّ وجِعٍ سكّن وجعه . وإن دُقّ منه مقدار درهمين وأُخذ مع العسل ، أخرج البلغم والدود ، ورمادُ الثُّوم إذا طُلِيَ بالعسل على البهق والقوابى نفع .

وللثوم منافع كثيرة . وقد رُوى حديث مرفوع عن علىّ كرّم الله وجهه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُوا الثُّومَ ، فَلَوْلاَ أَنِّى أُنَاجِى المَلَكَ لأَكَلْتُهُ » . وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : « أُهدِىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طعامٌ فيه ثوم ، فأرسل به إلى أبى أيوب الأنصارىّ ، فقال أبو أيوب : يا رسول الله ، آكل شيئا كرهته ؟ فقال : إِنَّمَا كَرِهْتُهُ أَنْ يُنَاجِيَنِى جِبْرِيلُ فَيَجِدَ رِيحَهُ » .

ومن مضارّ الثُّوم : أنه يصدّع ويضرّ الدماغ والعينين ، ويضعف الباه ، ويعطّش ويهيّج الصفراء ، ويجيّف رائحة الفم . ويستحبُّ لمن أكله ألاّ يجتمع بالناس ، ولا يحضر المساجد . فقد رُوى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ الثومَ وَالبَصَلَ وَالكُرَّاثَ فَلاَ يقْرَبْنا فى مَسْجِدِنَا ، فإنَّ المَلاَئِكةَ تتأذَّى مِمَّا يتأذَّى بِهِ بنُو آدم » .

رواه مسلم . وعن عبد العزيز بن صُهيب[١] قال : سُئِل أَنَس عن الثوم ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلاَ يقْرَبْنَا ، وَلا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا » . أخرجاه فى الصحيحين . ومما يُذهب رائحة الثوم والبصل ، أن يمضغ عليه ورق السَّذاب

حرف الخاء

﴿ خُبز ﴾ الخبز أنواع ، أفضلها ما مدحه جالينوس فى كتاب أغذيته فقال : أفضل أنواع الخبز فى الاستمراء أجودها اختمارا وعجنا ، ويؤيد ذلك ما رُوِيَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « امْلِكُوا العَجِينَ فإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ » ثم أجودها نضجا فى التنور بنار معتدلة ، وما فيه من الملح مقدار كاف . وأردؤها ما كان على خلاف ذلك ، و بعد خبز التنور فى الجودة ، خبز الفُرْن ، وما خُبِزَ فى غيرهما فهو ردىء ، وخبز المَلَّة يكاد يكون أردأ أنواع الخبز

أقول : وأجوده مع ذلك ، ما اتخذ من الحنطة الجيِّدة السليمة الحديثة . وأكثر أنواعه تغذية خبزُ السميذ ، وهو أبطأ هضما لقلة نخالته ، ويتلوه خبزُ الحُوَّارَى ثم الخُشْكار وأحمد أوقات أكله فى آخر اليوم الذى خبز فيه . والخبز اللَّيِّنُ أكثر تليينا وغذاء وترطيبا ، وأسرع انحدارا ، والجاف على خلاف ذلك .

---

(١) عبد العزيز بن صهيب البنانى (بنانة بن سعد بن لؤى بن غالب) . مات سنة ثلاثين ومائة .
« الخلاصة » .

ومزاج الخبز فى الحرارة فى وسط الدرجة ، وفى الرطوبة واليبوسة قريب من الاعتدال ، لكن اليبس على ما جففته النارُ منه ، وبالعكس

وللخبز منافع كثيرة : الغذائية والدوائية ، وله فضل وكرامة على غيره من الأغذية ، بحيث أنه لا يقوم غيره مقامه . وقد رُوى فى فضله أحاديث منها : ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أكرِمُوا الْخُبْزَ ، وَمِنْ كَرَامَتِهِ أنْ لا يُنْتَظَرَ الإدَامُ » . رواه البيهقىّ . وعن ابن عباس قال : « كان أحبُّ الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز ، والثريدُ من الْحَيْس » رواه أبو داود . والْحَيْس : طعام متَّخذ من التمر ، والسمن والأَقِط . قال الشاعر :

التَّمْرُ وَالسَّمْنُ جَمِيعاً والأَقِطْ[1] وَالْحَيْسُ[2] إلاَّ أنَّهُ لَمْ يَخْتَلِطْ

وعن أنس بن مالك أنه بلغه أن عيسى بن مريم عليه السلام ، كان يقول : « يابنى إسرائيل ، عليكم بالماء القَراح ، والبقل البرِّى ، وخبز الشعير . وإياكم وخبز البر ، فإنكم لن تقوموا بشكره » . رواه مالك فى الموطأ .

﴿ خَلٌّ ﴾ الخل مركب من حار وبارد ، وكلا جوهريه لطيف ، والبارد أغلب عليه .

يابس فى الدرجة الثالثة ، وهو قوىُّ التجفيف ، يمنع من انصباب المواد ويلطف . وجيِّده الخمرى ، ينفع المعدة الملتهبة ، ويقمع الصفراء ، ويدفع ضرر الأدوية القتَّالة ، ويحلِّل اللبن والدم إذا جمُدَ فى الجوف ، وهو نافع للطحال ، دابغٌ .

---

(١) الأقط : شىء يتخذ من المخيض الغنمى .

(٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ، وقد يضاف إليه الدقيق .

للمعدة ، عاقل للطبيعة ، قاطعٌ للعطش ، ويمنع الورم حيث يريد أن يحدث ، ويعين على الهضم ، ويضادُّ البلغم ، ويشفى الحمرة أكلاً وطلاء ، ويلطفُ الأغذية الغليظة ، ويرقق الدم . وإذا شرب بالملح نفع من أكل القِطرْ(١) القتال . وإذا حُسِىَ قلع العَلق المتعلِّق بأعلى الحنك ، وإذا تمضمض به ساخنا نفَع من وجع الأسنان ، وقوّى اللثة . وهو نافع للدّاحس إذا طُلى به . والنملة والأورام الحارة ، وحرق النار ، مشهٍ للأكل ، مطيب الأطعمة ، صالح للشباب فى الصيف ، ولسكان البلاد الحارة

رُوى عن أبى سعيد ، عن جابر بن عبدالله : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادُم . فقالوا : ما عندنا إلا خلّ . قال : فدعَا به ، وجعلَ يأكلُ ويقول : نِعْمَ الإدَامُ الخَلُّ » انفرد بإخراجه مسلم . وعن أم سعد قالت : «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وأنا عندها ، فقال : هلْ مِنْ غِذَاء ؟ قالت : عندنا خبزٌ وتمر وخلّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الإدَامُ الخَلّ اللّهمَّ بَارِكْ فى الخَلّ ، فإنّهُ كانَ إدَامَ الأنْبِيَاءِ قَبْلِي ، وَلَمْ يفتَقِر بيْتٌ فِيهِ خَلٌّ » . رواه ابن ماجه . ومضرّتُه بالعَصب والصدر والأمعاء ودفع مضرته بالماء والسكر .

﴿ خمر ﴾ الخمر : هو ما اتخذ من عصير العنب خاصة ، وأصنافه كثيرة . وله منافع ومضار ، لاحاجة لنا فى ذكرها فى هذا المختصر . وقد يتخذ من غير العنب ، ويكون تسميته بذلك مجازا ، وإثمه أكبر من نفعه . وقد ورد تحريمه فى الكتاب

---

(١) القطر : هو النحاس . اه محقق . ولعل المراد الأكل فى آنية النحاس الصدئة اه مصححه .

العزيز ، وكذلك فى الأحاديث النبوية . ولم يختلف اثنان من الصحابة[١] والتابعين وسائر علماء المسلمين فى تحريمه ، بخلاف الأنبذة ، وسميت خمرا لمخامرتها للعقل : أى تغطيه .

روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ اللهَ حَرَّمَ الخمرَ وَثمنَها ، وَحَرَّمَ المَيتةَ وَثمنَها ، وَحَرَّمَ الخنزِيرِ » . وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ مِنَ العِنَبِ خمرًا ، وَإنّ مِنَ التَمْرِ خمرًا ، وَإنّ مِنَ العَسَلِ خمرا ، وَإنّ مِنَ البُرِّ خمرا ، وَإنّ مِنَ الشَّعِيرِ خمرا ، وَأنْهَاكُمْ عَنْ كلِّ مُسْكِرٍ » رواه أبو داود والترمذىّ . وفى رواية لأبى داود : « إنّ الخمر من العصير والزبيب ، والحنطة والشعير والذرة ، وإنى أنهاكم عن كل مسكر » . والأحاديث فى مثل ذلك كثيرة . وأما الأحاديث الطبية ، وما ورد فيها النهى عن التداوى بالخمر ، فكثيرة أيضا ، منها هذا الحديث . عن طارق بن سويد الحضرمى[٢] قال : «قلت يارسول الله ، إنّ بأرضنا أعنابا نعتصرها ونشرب منها ، قال : لاَ ، فراجعتُه قلتُ : إنا نستشفى بها المريض . قال : إنّ ذَلِكَ لَيْسَ بِشِفَاء ، ولَكِنَّهُ دَاء » رواه مسلم والترمذىّ . وعن وائل بن حُجْر[٣] قال : « سُئل النبى

---

(١) من هنا سقط الكلام فى خ ، حتى آخر حرف الخاء ، وجزء من صدر الكلام عن الذهب فى حرف الذال .

(٢) طارق بن سويد الجعفى ، أو عكسه ، صحابى له حديث وعنه علقمة بن وائل . « الخلاصة » .

(٣) وائل بن حجر ، بضم المهملة ، الحضرمى ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فأطلعه على المنبر . وعنه إبناه عبد الجبار وعلقمة . « الخلاصة » .

صلى الله عليه وسلم عن التداوى بالخمر ، فنهاه وقال : « إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ » . رواه مسلم وأبو داود .

وقد ذكرنا فى الحديث الموفِّى للثلاثين، من الأربعين حديثا الأولى فى هذا المعنى ، ما يغنى عن إعادته ، فيعلم من هناك .

﴿خلال﴾ الخلال: ما يتخلل به بعد الطعام ، أجوده ما اتخذ من عيدان الأخلة ، وخشب الزيتون والخِلاف[1] ، والمراد بالخلال إخراج ما حصل بين الأسنان من الغذاء ، فإنه إذا حصل ابتدأت الحرارة فى إفساده وتعفينه ، وتتأذى بذلك الأسنان واللثة . وقد تقدم الكلام فى النهى عن التَّخَلُّلِ بالقصب والآس والريحان ، فليكن ذلك معلوما .

رُوى عن واصل بن السائب[2] ، عن أبى سَورة ابن أخ له[3] أيوب الأنصارى عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا حَبَّذا المُتَخَلِّلُونَ مِنَ الطَّعَامِ ، إِنَّهُ لَيْسَ شَىْءٌ أَشَدَّ عَلَى المَلَكِ مِنْ بَقِيَّةٍ تَبْقَى فى الفَمِ مِنَ الطَّعَامِ[4] »

﴿خِرْبِز﴾ هو البطيخ الأصفر بلغة أهل الحجاز، وكذلك هو باللغة الفارسية بفتح الخاء وضم الباء. وقد تقدم ذكره وما ورد فيه من الحديث النبوىّ، فى ذكر البطيخ ، فليعلم من هناك .

---

(١) صنف من الصفصاف ، وخشبه مشهور .

(٢) واصل بن السائب الرقاشى أبو يحيى البصرى. مات سنة اثنتين وخمسين ومئة . « الخلاصة »

(٣) هكذا الأصل ، ولعله : ابن أخ لأبى أيوب اه مصححه . (٤) زاد المعاد .

حرف الذال

﴿ ذهب ﴾ قال الله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) الآية .

الذهب معتدل فى سائر الكيفيات ، وفيه حرارة لطيفة . أجوده الخالص من الغشّ ، يدخل فى سائر المعجونات اللطيفة والمفرحات ، وهو أعدل الأجساد المعدنية كلها وأشرفها .

ومن خواصّه : أنه إذا دفن الخالص منه فى الأرض لم يضرّه التراب ، ولم يأكل منه شيئاً ، وإذا أصابه الصّفر تكسّر وصارت فيه زجاجية ، وسُحالة الذهب[1] إذا خلطت بالأدوية نفعت من ضعف القلب والرجف ، والخفقان العارض من السوداء ، وينفع من انقباض النفس والحزن ، والغم والفزع والعشق . ويسمّن البدن ويقوّيه ، ويُذهب الصّفار ويحسّن اللون ، وينفع من الجذام وجميع الأوجاع والأمراض السوداوية ، وتدخل سُحالته فى أدوية داء الثعلب وداء الحيّة ، شربا وطلاء ، ويجلو العين ويقوّيها ، وينفع من كثير من أمراضها ، ويقوّى جميع الأعضاء ، وإمساكه فى الفم يزيل البَخَر ، ومن كان به مرض يحتاج إلى الكىّ ، وكوى به لم يتنفّط موضعه ، ويبرأ سريعا . وإن اتخذ منه ميل واكتحل به قوّى العين وجلاها ، وإن اتخذ خاتم ذهب فصه منه ، وأحمى وكويت به قوادم أجنحة الحمام ، ألفت أبراجها ، ولم تنتقل عنها ، وإن ألقى الذهب فى البطيخ بعد

---

(١) السحالة : هى برادة الذهب أو الفضة .

غسله قوّى البدن على العموم . والذهب كثير المنافع ، محبوبٌ للأنفس طبعا .

رُوى عن قتادة قال : سمعتُ أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِياً ، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِياً لابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثاً ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابَ ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ » أخرجاه فى الصحيحين .

قال المؤلف : يحتمل أن يراد بالجوف : القلب ، ولأنه لا يملّ من محبة المال ، والله أعلم

﴿ ذَرِيرة ﴾ دواء هندىّ يتّخذُ من قصب الذّريرة ، وهى حارة يابسة ، تنفع من أورام المعدة والكبد والاستسقاء ، وتقوّى القلب لطيبها .

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «طيَّبْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى بذَريرة فى حِجة الوداع للحِلّ والإحرام » أخرجاه فى الصحيحين . وقيل لاشىء أفضل لحرق النار من الذّريرة بدهنِ وردٍ وخلّ ، حكاه الرئيس ابن سينا رحمه الله فى القانون .

رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم «أنه دخل على بعض أزواجه، فسألها عن ذريرة ، فقالت : نعم وجاءته بها ، فوضعها على بثْرَةٍ بين أصابع رجليه وقال : اللهُمّ مُصَغِّرَ الكَبِير ، ومكَبِّرَ الصَّغِير ، أطْفِئْهَا عَنِّى فطَفِئَتْ » ذكره صاحب الوسيلة وغيره . وقد روينا فى كتاب ابن السُّنى عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : «دخل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد خرجت فى أصبعى بثْرَة فقال : عِندَكِ ذَرِيرَةٌ ؟ قلت : نعم ، فوضعها عليها وقال : قولى : « اللّهُمّ مُصَغِّرَ الكَبِيرِ ، وَمُكَبِّرَ الصَّغِيرِ ، صغِّرْ ما بى[1] » .

---

(١) زاد المعاد .

قلت : البَثرة بفتح الباء وإسكان الثاء المثلثة ، وفتحها أيضا لغتان ، وهى خُرّاج صغير ، يُقال : بَثِر وجهُه ، و بثِر بكسر الثاء وفتحها وضمها ثلاث لغات ، وقد تقدم ذكر الذريرة ، وأنها فُتات قصبٍ من قصب الطيب ، يُؤتى به من الهند .

﴿ ذباب ﴾ الذباب معروف ، إذا دلك به موضع لسع الزنبور والعقرب ، نفع نفعا بيِّنا ، وإذا دلك به الورم الذى يخرج فى شفر العين ، المسمى شعيرة بعد قطع رءوسها أبرأه وفيه مع ذلك قوّة سمية ، يدل عليها الورم والحكّة العارضة عن لسعه ، ويؤيد ذلك ما رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فى شرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْه ، فإنَّ فى أَحَدِ جَنَاحَيْهِ داء ، وَالآخَرِ شِفَاءً » رواه مسلم والبخارى . وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَحَدُ جَنَاحَى الذُّبَابِ سُمٌّ ، والآخرُ شِفَاءٌ ، فإِذا وَقَعَ فى الطَّعَامِ فامْقُلُوهُ ، فإنّهُ يُقَدِّمُ السُّمَّ ، وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاء » رواه ابن ماجه وغيره .

حرف الضاد

﴿ ضَبّ ﴾ لحم الضبّ حار يابس ، يقوِّى شهوة الجماع ، وإذا دُقّ ووضع على موضع السهام والشوكة اجتذبها ، وأكثر الطباع تعافه ولا تميل إليه .

رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما : «أن خالد بن الوليد رضى الله عنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميمونة ، فقدّمت إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم لحم ضب حنيذ[١] ، فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فقال بعض النسوة : أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريد أن يأكل ، فقيل : هو ضب . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، فقلتُ : أحرام هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، وَلَـكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي ، فَأَجِدُنِي أعافه . قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر » . أخرجاه في الصحيحين .

﴿ ضِفدَع ﴾ : هو حيوان معروف .

قال ابن سينا : من خواصه أن رماده إذا جعل موضع الدم حبسه ، ومَرَقه نافع لأورام الأوتار إذ صُبَّ عليها . ومن أكل من دمه أو جِرْمه ورِمَ بدنُه ، وكَمَد لونه ، وقذف المنيّ حتى يموت . ولذلك ترك الأطباء استعماله فيما ينفع منه ، خوفا من ضرره . وقد رُوى عن عثمان بن عبد الرحمن « أن طبيبا ذكر ضفدعا في دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاه عن قتلها » . رواه النسائيّ .

وعن أبي هريرة أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلّ دواء خبيثٍ ، كالسّمّ ونحوه » . رواه أبو داود .

حرف الظاء

﴿ ظُفُر ﴾ قال الخليل بن أحمد : الأظفار من العطر : شيء أسودُ شبيه بالظفر ، مُتَقَفِّف من أصله ، يُجعلُ في الدُّخنة ولا يفرد منه . الواحدة ظُفُرة ، ورو عاقيل : أظفارة

---

(١) أي مشوى نضيج .

وليس بجائز فى القياس ، وكذلك أفاويه الطِّيب وأظفار الطيب : نوع من الأغطية التى تكون للصّدف الكائنة ببلاد الهند يغتذى بالسنبل ويقال : إنها تكون ملتصقة باللحم والجلد ، أجودها الضارب إلى بياض . وقوّتها فى الحرارة من الدرجة الثانية ، وفيها قبض يسير . لطيفة ملطفة للكيموسات الغليظة ، وإذا بُخِّر بها تحت النساء المختنقات الأرحام ، أظهرت الوجع ثم كشفته ، وكذلك تفعل بالمصروعين . وإذا شُربت بالخلّ حركتِ البطن وأسهلت . وإذا شُرب منها وزن درهمين بالماء الحار ، أخرجت الدم المنعقد فى الكُلَى والمثانة . وإذا تدخّنت بها المرأةُ أنزلت الحيض ، وهى نافعة من الخفقان ، وإذا تحمّلت به أكسب المحل حرارة وطيب رائحة ، سيما عقيب الطهر ؛ ولذلك كان النساء يؤمرن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتطيب به إذا طَهُرن . وقد جاء فى الصحيحين عن أم عطية أنها قالت من جملة حديث روته : «وقد رُخِّص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من حيضها ، فى نبذة من كُسْت(١) أو أظفار» .

ومضارها : أنها تثقّل الرأس وتصدع . وأظفار الإنسان رديئة لا أعرف فيها نفعا بعد انفصالها عن البدن ، وأما قبل ذلك فلها منافع أربع : (أحدها) ليكون سندا للأنملة . (الثانية) ليتمكن بها الأصبع من لقط الأشياء الصغيرة . (الثالثة) ليتمكن بها من الحل والتنقية . (الرابعة) ليكون سلاحا فى بعض الأوقات . وخلقت دائمة النشوء ، إذ كانت معرّضة للانحكاك والانجراد ، ولذلك ينبغى أن تقص عند الزيادة فى كل جمعة ، لأن الزيادة فيها مضرة . والدليل عليه ما روى عن النبى

---

(١) هو نوع من القسط المسمى بالعود الهندى .

صلى الله عليه وسلم «أنه كان يقلِّم أظفاره، ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج إلى الصلاة» . وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الفِطْرَةُ قَصُّ الأظفَارِ ، وَأَخذُ الشَّارِب ، وَحلْقُ العَانَةِ » . رواه النسائى.

وروى فى صفة قصها من الأثر ما نذكره، أنه قيل : من قصَّ أظفاره مخالفا لم ير فى عينيه رمدا .

وفى تفسيره أربعة أقوال : (أحدها) رواه وكيع باسناده ، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِذَا أَنْتَ قَلَّمْتَ أَظْفَارَكَ فَابْدَأ بالوُسْطَى ثمَّ الخِنْصَرِ ثمَّ الإِبْهَامِ ، ثمَّ البِنْصَرِ ثمَّ السَّبَّابَةِ ، فإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الغِنَى » . (والثانى) حكاه ابن بطة عن أبى حفص بن رجاء قال : « من قصَّ أظفاره يوم الجمعة أدخل فيه شفاء وأخرج منه داء » ذكره صاحب الوسيلة . (والثالث) حكاه الغزالى فى الإحياء قال : سمعت « أنه صلى الله عليه وسلم بَدَأَ بِمُسَبِّحَةِ اليُمْنى ، وختم بإبهام اليمنى ، وابتدأ فى اليُسرى بالخنصر إلى الإبهام» . (والرابع) روى عن علىّ رضى الله عنه ، ونظمَه بعضُ الفُضلاء فقال :

ابْدَأْ بِيُمْنَاكَ مِنَ الخِنْصَرِ ... قَصَّكَ لِلأَظْفَارِ وَاسْتَبْصِرِ
وَثَنِّ بالوُسْطَى وَثَلِّثْ كَمَا ... قَدْ قِيلَ بالإِبْهَامِ وَالبِنْصَرِ
وَاخْتِمْ بِسَبَّابَةٍ هكَذَا ... فى اليَدِ وَالرِّجْلِ وَلا تَزْدَرِى
وَابْدَأْ بِالأَبْهَامِ وَمِنْ بَعْدِهِ ... بالإِصْبَعِ الوُسْطَى وَ بِالخِنْصَرِ
وَأَتْبِعِ الخِنْصَرَ سَبَّابَةً ... بِنْصَرَهَا خَاتِمَةَ الأَيْسَرِ
تَأْمَنْ بِهِ مِنْ وَجَعٍ حَادِثٍ ... مِنْ رَمَدِ العَيْنِ فَلاَ تُنْكِرِ

قد جاءَ فى هذا حَدِيثٌ رُوِى ... عَنِ الإمامِ المرْتَضَى حيدَرِ
قائِلُهَا مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ ... فَارْحَمْ لَهُ يارَبَّنَا وَاغفرِ

واعلم أن فى تقليم الأظفار فائدتين: إحداهما تحسين الهيئة والزينة . والثانية : أنه أقرب إلى تحصيل الطهارة الشرعية على أكمل الوجوه ، لما عساه أن يحصل تحتها من الوسخ المانع من وصول الماء إلى البشرة . وتقليم الأظفار هو قطع ما طال عن اللحم منها ، يقال: قلم أظفاره تقليما ، والمعروف فيه التشديد، والقُلامَةُ: ما يُقطع من الظفر ، والله أعلم .

حرف الغين

« غيث » قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ) الآية والغيث : هو المطر ، وقد تقدم ذكره ومنافعه وما ورد فيه من الحديث الطبى فى ماء المطر فى حرف الميم ، فليعلم من هنالك .

رُوِى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصابنا مطرٌ ، فحسَرَ عنه ، وقال: إنَّهُ حديثٌ عَهْدٍ بِرَبِّهِ[1] » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يكشفون رءوسهم فى أول قطر يقطر من السماء فى ذلك العام » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُوَ أَحْدَثُ عَهْدٍ بِرَبِّنَا وَأَعْظَمُ بَرَكَةً » ، وفى أخرى : « كان صلى الله عليه وسلم يتجرد من ثيابه فى أول مطر ما خلا إزاره » .

---

(١) زاد المعاد .

﴿ غراب ﴾ الغراب طائر معروف ، وهو أربعة أنواع : (أحدها) الغراب الأسود الكبير . (والثانى) الغراب الأبقع ، وهما جميعا يأكلان الجيف ، وأكل لحمهما حرام على الصحيح من مذهب الشافعى رضى الله عنه . (والثالث) غراب الزرع ، ويقال له الزاغ ، وسمى غراب الزراع ، لأن أكثر غذائه فى زمن الزرع مما يبذر فى الأرض للزراعة من الحبّ . (والرابع) يسمى الغذاف وهو صغير الجثة ، ولونه لون الرماد ، فقد قيل : إنهما يؤكلان لأنهما يلتقطان الحبّ ، فأشبهت الفواخت . وقيل : لا يؤكلان كالأبقع .

وأما من حيث الطبّ ، فإن لحم جميع أنواعه ردىء عسر الهضم ، يولد خلطا رديئا سوداويا ، ويورث أمراضا رديئة سوداوية ، كالوسواس السوداوىّ ، والبرص الأسود ، والسرطان والجذام ، وكثير من الأمراض . وكذلك نهى الأطباء عن استعمال لحمه ، لرداءته وعسر هضمه . وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « لن نأكل لحم الغراب ، وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فُوَيْسِقاً ، والله ماهو من الطَّيِّبات » . رواه ابن ماجه ، والله أعلم .

« تمّ والحمد لله أولا وآخرا »

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه والصلاة والسلام
على رسوله وآله وصحبه ؛ قد تم طبع :
« الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية »
لأبي الحسن بن تقي الدين الحموى علاء الدين الكحال
مصححاً بمعرفة لجنة التصحيح برياسة الشيخ أحمد سعد على
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

القاهرة فى { ٩ جمادى الثانية ١٣٧٤ هـ
٢ فبراير ١٩٥٥ م }

(١/٢/٣٠٠٠/١٩٥٥)

ملاحظ المطبعة — مدير المطبعة

محمد أمين عمران — رستم مصطفى الحلبي

فهرس الجزء الثانى

من الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية
